يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، ربيع الثاني - جمادى الاولى ١٤٠٦

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest January 86 N° 86



(ص ٤٤)

أخطار الحمل بعد الأربعين

(ص ١٢٣)

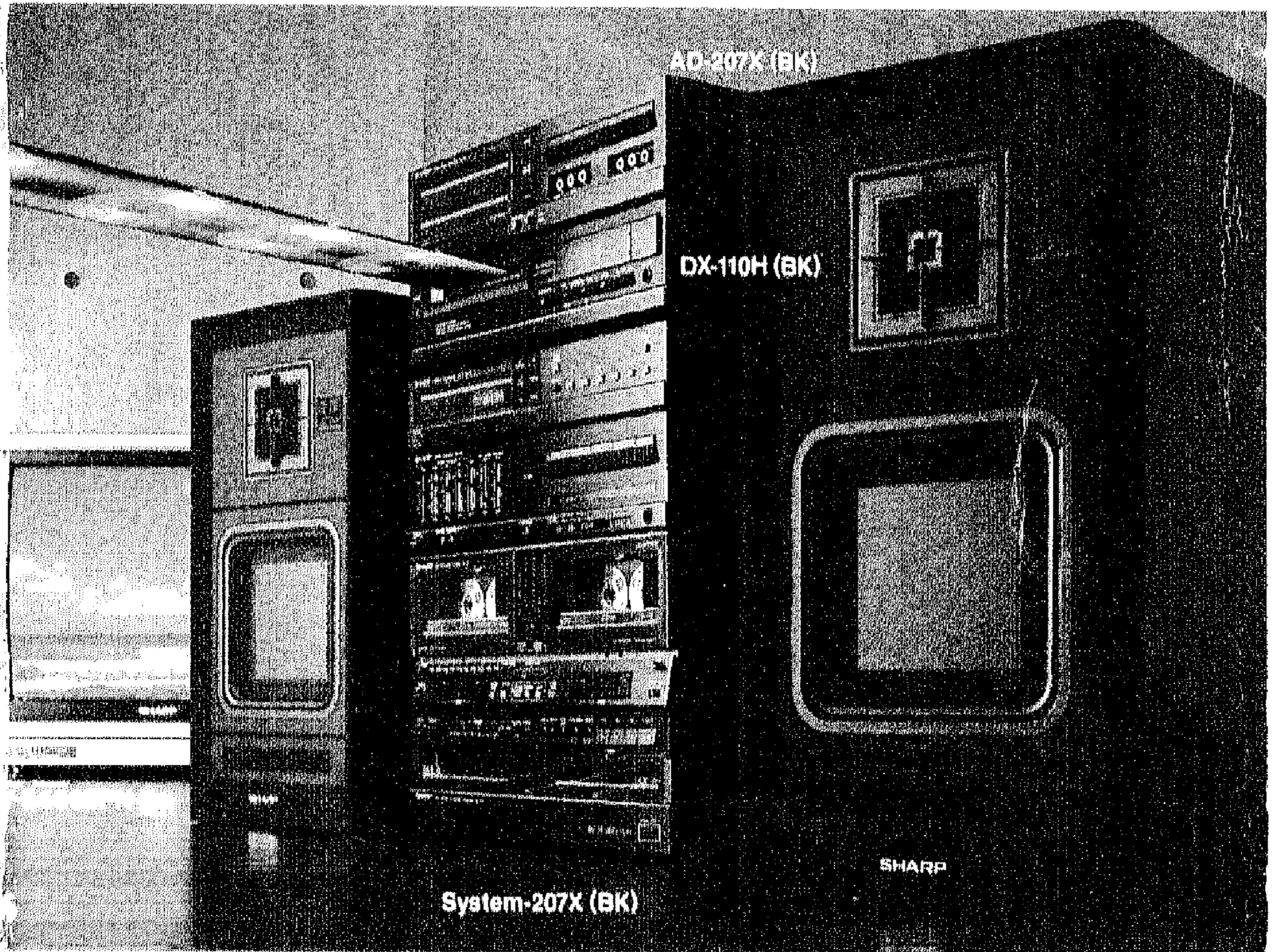
انتفاضة عالمية ضد المخدرات

(ص ٣٤)

ان ١٠ل - سوريه ٦ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربيه المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف
سعوديه ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - الجمهورية العربية اليمنيه ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف
نس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

كان لنا حلم

نحلم بابتكار اكثر اجهزة التسلية المنزلية شمولاً في عالم
وتيات والفيديو



جهاز شارب (BK) 207X الجديد يحقق احلامك في الاجهزة السمعية والفيديو بالدقة الصوتية الرفيعة ومشغل الاسطوانات على الجهتين الفريد والمميز بذراع ابرة يتحرك في خط مستقيم وهكذا تنمو احلامك ولكن ان جهاز الاملاء السمعي الفيديو من شارب يمكن توصيله بجهازي فيديو ومشغل اسطوانات فيديو وتلفزيون وتشكيلة واسعة من الاجهزة السمعية ان كنت لا تصدق ما نقول فصدق احلامك

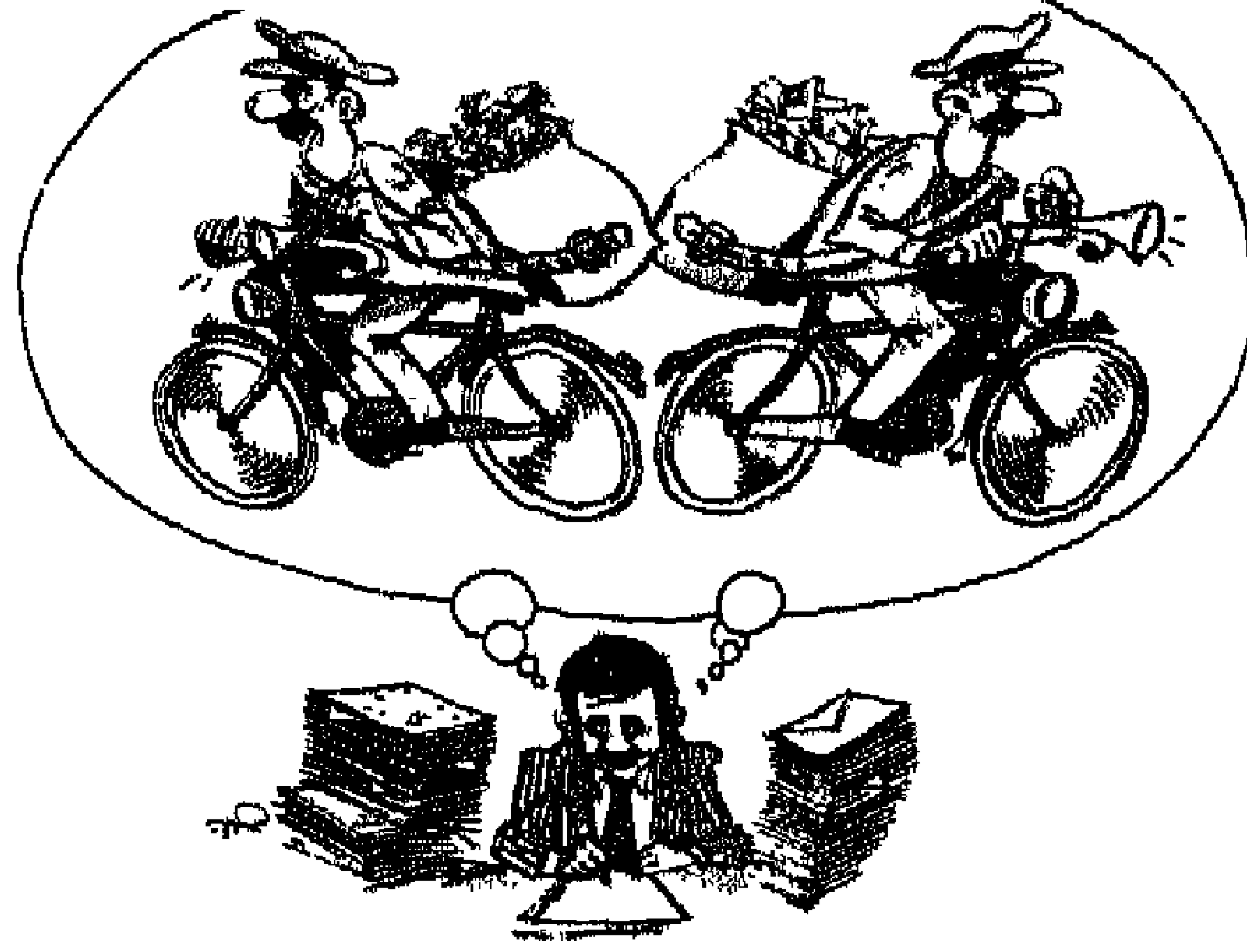
System-207X (BK) نظام قطع هاي - فاي متوسط الحجم مزود بمشغل اسطوانات على الجهتين بذراع ابرة يتحرك بخط مستقيم وطبقة الكاسيت المزدوجة

DX-110H (BK) مشغل اسطوانات سمعي رقمي صغير الحجم مزود باشعة ليزر ... وذات صوت رقمي للحصول اداء افضل ...

AD-207X (BK) جهاز املاء سمعي - فيديو مع نظام توصيل لسبعة اجهزة وامكانات التسجيل المزدوج السمعي الفيديو

فليكن حلمك

شارب
SHARP
شركة شارب اليابانية



هل لديك نكتة. هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؛ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فندفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

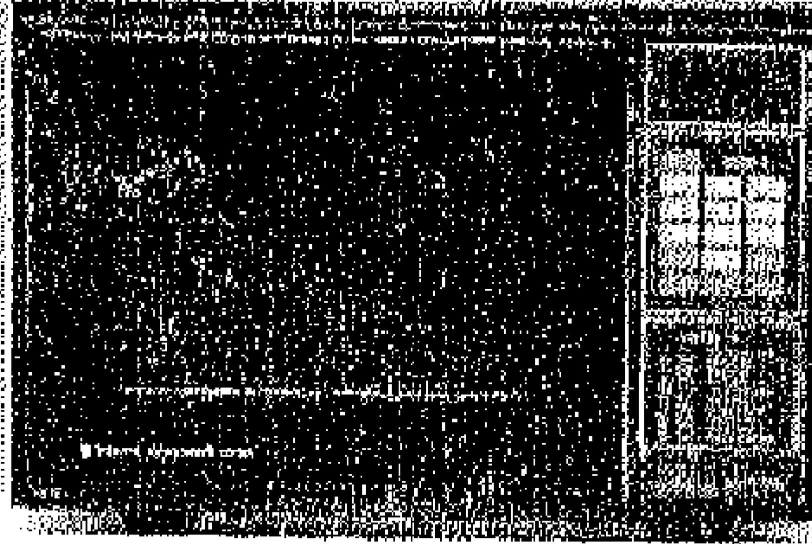
المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

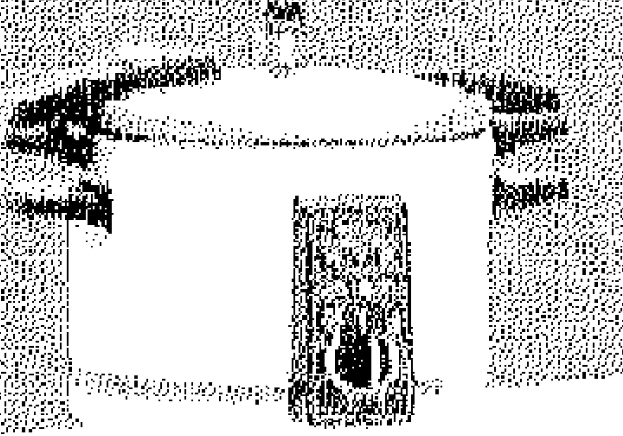


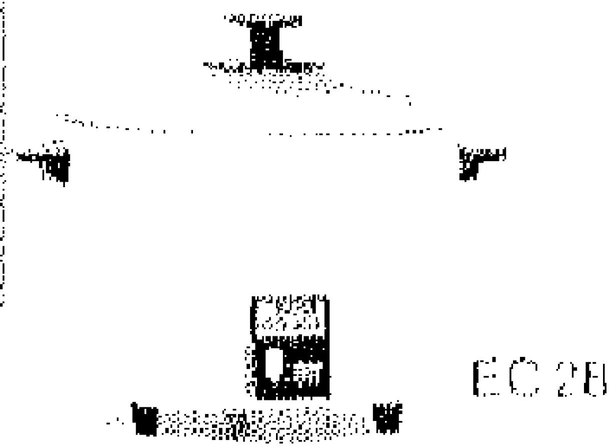
● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولاً، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

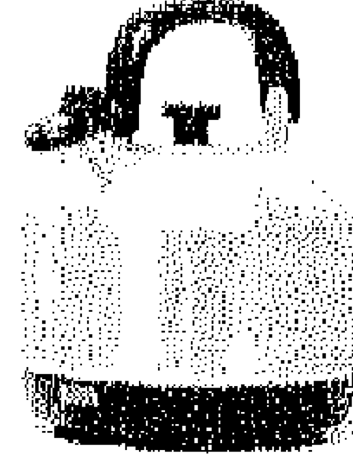
توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.

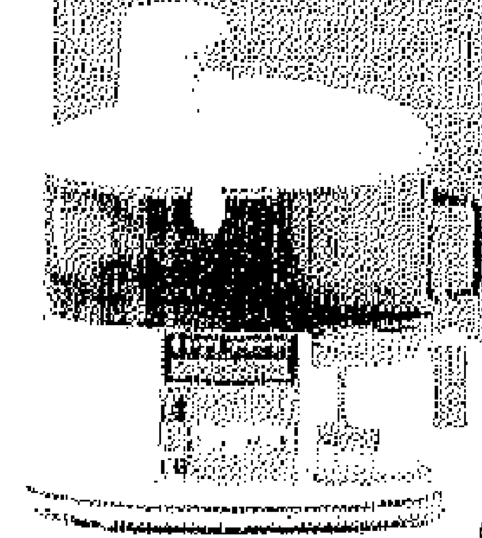
فن تجهيز الطعام

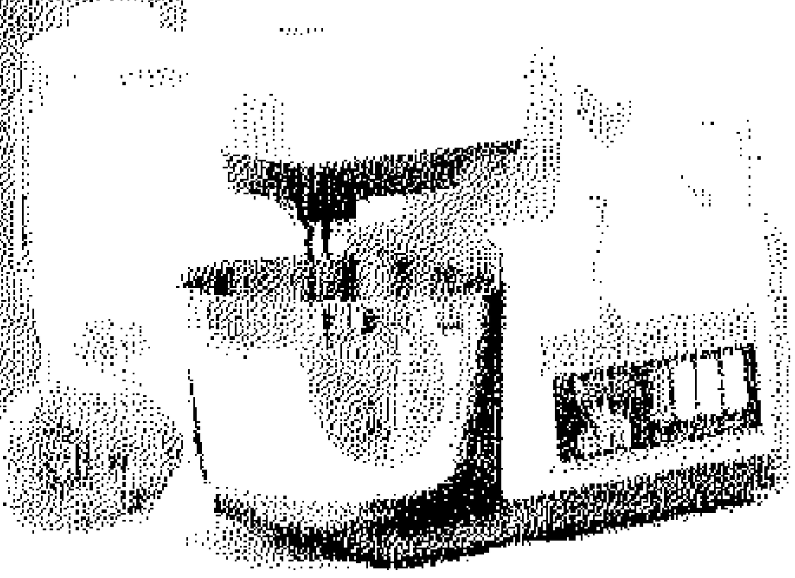


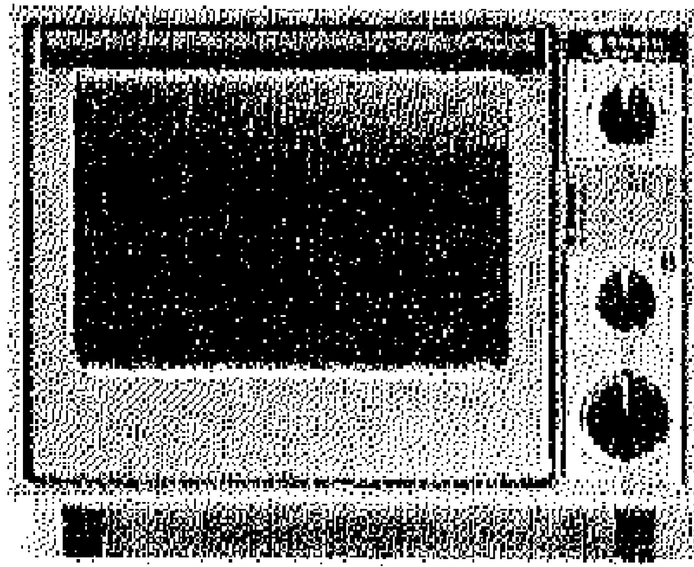




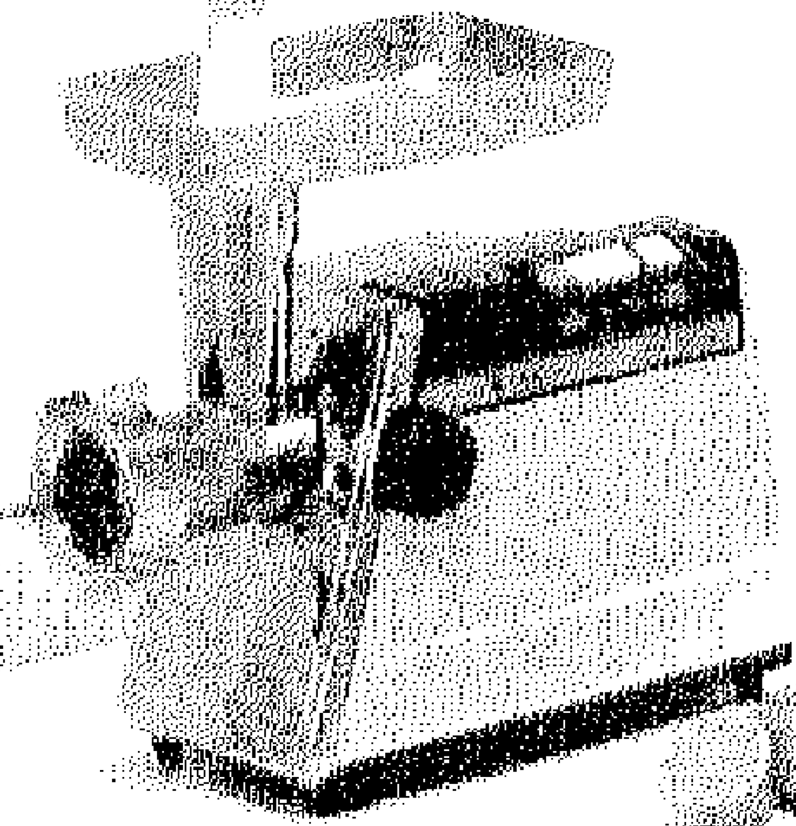


















سانيو تفتخر بتقديم مجموعتها الجديدة من أجهزة المطبخ الصغيرة. كل جهاز منها متقن الصّنع وصُمّم خصّيصًا لتوفير وقتك في المطبخ وجعله أكثر متعة. المأكولات المعلّبة؟ نفتحها لك. لعلّها غير جاهزة؟ نعصرها، نقطّعها، نخلطها، نطحنها أو نفرمها. أو نيّئة؟ نغليها، نخبزها، نطبخها بالضّغط أو في فرن المايكروويف. ومن ثم، نحضّر لك القهوة أيضًا! كل هذا بلمستنا الخاصّة. لأننا سانيو.

عصّارة SJ 60EK
خلاّطة SM 2300MK
مصنع الطعام JBG 600EK 1
مفرمة لحم MG 5500
فرن كهربائي SK 6000E
فرن مايكروويف EM 2510
مفتاح معلّبات SCO 85K

إبريق كهربائي KTL 1300
صانع القهوة SAC 605
طنجرة ضغط DPN 81
خلاّطة مع مطحنة SM 1610CK
عصّارة / خلاّطة SJ 5201MBK
طبّاخ EC 28





من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير راعدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدوليه - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة. مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠
ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١-٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ. المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة. المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE



AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 - 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.


MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

January 86 N° 86 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير. كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.
تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والمولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

إروِ نكتة

فكاهي بارز يقول ان رواية النكات ليست بالامر السهل، لكن ثمة قواعد سهلة لهذه الغاية

لا تزال ذكرى أول نكتة سمعتها راسخة في ذهني ولا تزال في عرفي مثالا يحتذى في فن رواية النكات. كانت أحجية رواها لي والدي.

سألني: "ما هو الشيء الذي يعلّق على الجدار وهو أخضر اللون ودبق ويصفّر؟"

عقدت حاجبيّ وأخذت أفكر وأفكر، واخيراً قلت: "لقد عييت... ما هو؟"

- انها سمكة السردين.

"سمكة السردين! لكنها لا تعلّق على الجدار."

- علّقها!

"انها ليست خضراء اللون."

- اذاً اطلها باللون الاخضر.

"وهي ليست دبقة."

- حين تطليها تصبح دبقة.

"ولكن"، وهنا جمعت في قولي كل ما



جاش في نفسي من حنق، "سمكة السردين لا تصفّر!"

- صحيح، أنا أضفت هذه الصفة لتعسير حل الأحجية.

النكتة قصة قصيرة جداً مموّهة بالدلالات البارعة والتوريات المثيرة.

ومعظم النكات يصمم لكي ينتهي بنقطة فصل مفاجئة ومثيرة تطلق عاصفة من الضحك. اعتبر بهذه المجموعة من الحيل التي يعمد اليها راوي النكتة الحاذق ليسحرك: ابتسامة، هزّة كتف، هزّة رأس، أنة مخادعة، دمدمة مهدّئة كاذبة، ثم اندفاع متسارع نحو الخاتمة. كل من هذه المظاهر يهدف الى تحريك التجاوب.

لكنك تقول انك لا تملك الموهبة التي يتميّز بها الراوي الذي فطر عليها، أي انك لا تملك ذلك الاحساس بوتيرة الرواية ولا الصفة الفطرية للايحاء الهزلي أو براعة التمويه. فماذا عليك أن تفعل؟ اتبع ثلاث قواعد سهلة:

١. تكلّم بلهجة حماسية.
٢. اتجه نحو الخاتمة من دون انحراف.
٣. أصدم سامعيك بمسك الختام.

هل أنت في حاجة الى مساعدة أخرى؟ اليك ست نصائح تعلمك كيف تهيىء النكتة التي ترويها:

١. لا تقدّم لقصتك الفكاهية بوعد مبالغ فيه أو باعتذار مبتذل مثل: "هذه النكتة ستجعلكم تستلقون على ظهوركم" أو "لا أدري ما اذا كنت أستطيع رواية هذه النكتة على النحو الصحيح." فالمبالغة في الامر والتقليل من شأنه يثيران مقاومة لدى المستمع.

٢. عرّف فقط بالاشخاص الذين سيكون لهم دور أساسي في النكتة. فاذا ذكرت أسماء معروفة دفعت المستمعين الى انتظار دور مهم لهؤلاء. واذا لم يتحقق ذلك تلاشى مغزى النكتة أو ضاع كلياً لأن الترقب الذي أثرته فيهم لم يشبع.

ولا تبدأ روايتك بذكر "الطبيب فلان" أو "اللاعب فلان" لأن مستمعيك سيتساءلون: "أي طبيب؟" و"أي لاعب؟" وهذا يصرف انتباههم عمّا ترويه.

تأمل كيف يقضى على النكتة الآتية بادخال أسماء وأشخاص لا دور لهم في نقطة الفصل النهائية:

وقف السجناء الحُول الأعين أمام القاضي الأحول. حدّق القاضي الى السجين الاول وسأله: "ما اسمك؟" فأجاب السجين الثاني: "اسمي فؤاد صادق." وصاح القاضي: "لم أكن أسألك أنت." فأجاب السجين الثالث: "لكني لم أفه بكلمة."

هذه نكتة قصيرة. وفي النكات الاطول اعتمد الاسلوب عينه بالتزام المسار الصحيح للقصة ولا تنحرف الى متاهات جانبية. وبعد أن تذكر حقيقة ما، كأن تقول ان النكتة وقعت في القطب الشمالي، سيتوقع الحاضرون أن يسمعوا منك كلاماً على أكواخ الثلج والكلاب التي تجر المزالج والاسكيمو في فرائهم وأيام الشتاء الطويلة، لكي تلاقي النكتة وقعاً صحيحاً في نفوسهم. فاذا لم يتحقق ذلك فان اصدقاءك سيصابون بخيبة، بل ربما ببعض سأم.

٣. حين تندفع في رواية نكتتك أظهر أنك تستمتع بها أنت كذلك. ابتسم واضحك وابعث البهجة حولك. لا تقطّب حاجبيك وتتكلم برصانة وان تكن تروي نكتة من جملة واحدة: "الديبلوماسي هو الرجل الذي لا ينسَى عيد ميلاد زوجته لكنه لا يتذكر عمرها أبداً." أو: "الثقيل هو الرجل الذي اذا خرجَ من الغرفة شعرت كأن شخصاً فاتناً دخلها."

٤. أبق نظرك مثبتاً في عيون سامعيك. واذا كنت تحدّث أكثر من شخص واحد، نقّل بصرك من وجه الى آخر. لا تحدّق الى السقف أو الى قفص العصفور المعلق في الزاوية، لأن ذلك يجعل سامعيك يحدّقون حيث تنظر.

٥. استعمل الافعال البسيطة مثل "قال" و"سأل" و"صاح" ولا تستعمل الافعال العويصة أو التي لا تناسب المقام، فهي تصرف انتباه سامعيك. فقولك مثلا: "وجلجل صوته صائحاً مرحباً" أو "جاء مهرولا عبر الساحة" يثير الضحك لدى سامعيك فيضيع مغزى النكتة.

٦. أهم من كل أمر آخر أن تهيىء الكلمات المناسبة والوتيرة المناسبة التي توصلك الى نقطة الفصل في النكتة، ثم أطلق الجملة الاخيرة ببراعة وثقة.

تأمل ما سبق وأنت تقرأ الطريقة المخيفة لتشويه نكتة جيدة:

اسمع. البارحة سمعت نكتة جعلت أضلاعي تتفجّر ضحكاً. ولكن أرجو أن أرويها لك على النحو الصحيح:

التقت ليلى نور صديقتها سعاد سرور، وكلتاهما مولعتان بزراعة الازهار، في شارع الحمراء، أظن على مفترق المصارف، لا بل على مفترق البريد. الخلاصة، قالت ليلى معاتبة: "يا سعاد، لم أرك منذ تلك النزهة على شاطىء البحر في مدينة الملاهي."

قالت سعاد: "لم تكن النزهة في مدينة الملاهي، الا تذكرين؟ كانت في حديقة الازهار."

قالت ليلى: "أوه... أنت على حق. لكنك سمنت كثيراً منذ ذلك الحين."

قالت سعاد: "ذلك لأني حامل."

صاحت ليلى جذلة: "حامل؟ هنيئاً لك."

قالت سعاد: "شكراً. ولكن أهم من ذلك أن الدكتورة سميرة وجدي، وهي طبيبتي، قالت لي، وأنا في الواقع آتية من عيادتها في شارع الروضة، اني سألد ثلاثة توائم."

صاحت ليلى: "أوه يا سعاد، هذا مدهش. ولكن قولي لي متى..."

سأتوقف عن متابعة سرد هذه النكتة التي هشمتها طريقة روايتها لاقصها على النحو البسيط:

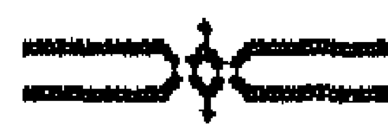
التقت سعاد وليلى في الشارع ذات يوم. قالت سعاد: "اني حامل وسأضع ثلاثة توائم."

قالت ليلى: "أوه، ذلك عظيم."

قالت سعاد: "ولكن هل تعرفين؟ أخبرتني طبيبتي ان الحمل بثلاثة توائم يحدث مرة واحدة في كل ثلاثة ملايين جماع."

صاحت سعاد: "ثلاثة ملايين؟ رحماك يا رب! وهل يبقى لديك متسع من الوقت للاهتمام بشؤون بيتك؟"

ليو روستن ■

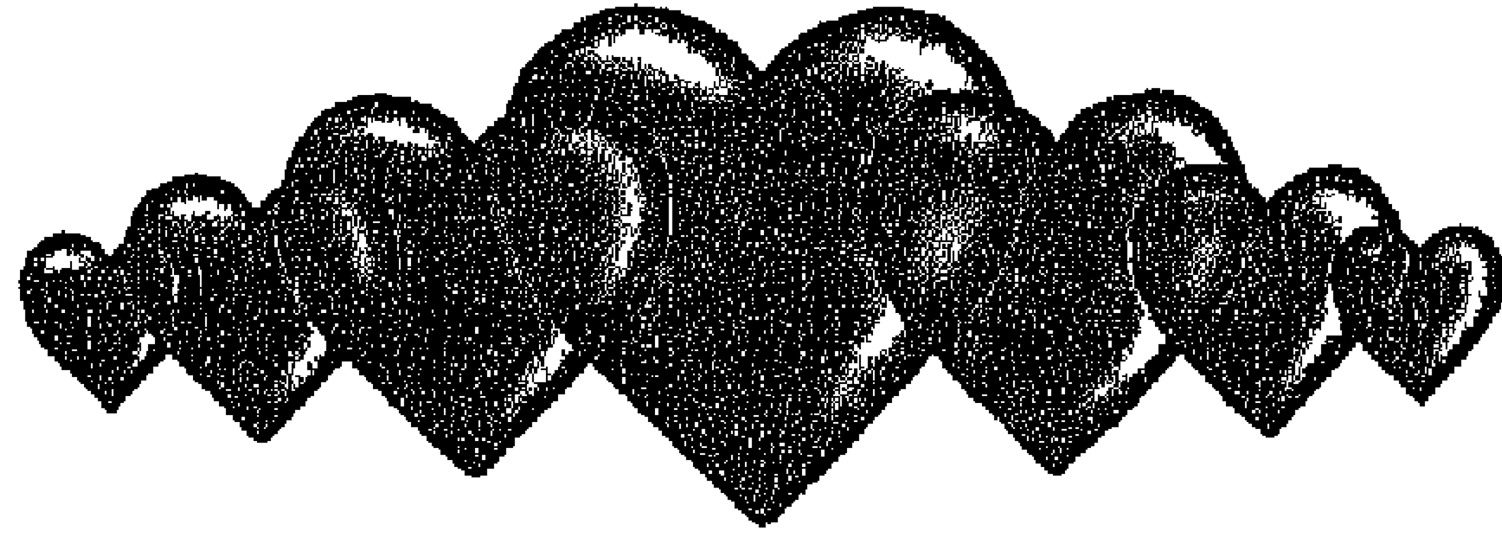


كتبت الاشارة الآتية على مدخل بلدة: "ليس لدينا عدد فائض من السكان. فالرجاء قيادة سياراتكم بروية."

ج.م.ر.

المختار
من ريدرز دايجست
يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

لا شيء في الحياة أعظم من الحب



عشر نصائح من أبرز الخبراء تعلمك كيف تقيم علاقة حب حقيقية وتنمي هذه العلاقة

تكتسي علاقات الحب أهمية حيوية بالنسبة الينا جميعاً. وعلى رغم ذلك فاننا لا نوليها سوى القليل من الوقت للتفكير في الوسائل التي تؤمن نجاحها. وقبل سنوات عزمت على أن أتعلم أكثر ما يمكن عن كفاحنا اليومي للتعايش في محبة ووفاق. وقررت أن أبدأ باستنطاق أولئك الذين أقاموا مثل هذه العلاقات.

أرسلت ١٠٠٠ نموذج تحوي أسئلة عن هذا الموضوع الى أناس كانوا كتبوا الي عن الحب. وطلبت منهم أن ينعموا النظر في علاقة الحب الاولية (بالنسبة الى ثلثي الاشخاص الـ٦٠٠ الذين أجابوا عن الاسئلة كانت العلاقة مع الزوج أو الزوجة) والعلاقة الثانوية (مع الوالدين والجدود والاولاد والانسباء والاصدقاء والزملاء.)

سألتهم ما هي الصفات التي شعروا أنها تؤدي الى اقامة علاقة حب دائمة ونامية. واظهرت الاجوبة أن الصفات الاربع الآتية هي الأبرز:

التفاهم. مع أن التفاهم هو الصفة الاساسية في المحافظة على أي علاقة حب، فيبدو أننا نكتفي معظم الوقت بمخاطبة أنفسنا. فاما اننا لا نوضح ما نريد أن نقوله واما اننا نعجز عن التعبير عنه بالكلمات المناسبة. والذين يجيدون الاصغاء نادرون كالذين يجيدون التحدث بلباقة. فالمشاركة، وهي الأمر الحيوي في التفاهم الحبي، تتوقف عندما تشعر بأن الشخص الآخر لم يعد يعيرك انتباهاً. وأي علاقة حب تتعزز اذا راعى كل فريق الاقتراحات الآتية وتصرف على أساسها:

● أخبرني دائماً أنك تحبني عبر أفعالك وأقوالك. لا تفترض أني أعرف ذلك. قد يبدو علي اني منزعجة أو حتى منكرة حاجتي الى اهتمامك. ولكن لا تصدقني. أخبرني في أي حال.

● إمتدحني غالباً على الاعمال التي أنجزها جيداً وشجعني عندما أخفق في عمل ما. لا تفترض أن ما أفعله من أجلك أمر طبيعي لا يستحق التنويه.

● دعني أعرف ما اذا كنت تشعر بالقنوط أو الوحشة أو بأن الآخرين يسيئون فهمك. معرفتي أني قادر على الترويح عنك تعطيني قوة. تذكر أنني على رغم محبتي لك لا أستطيع قراءة أفكارك.

● عبّر بعفوية عن أفكارك ومشاعرك المفرحة. فالعفوية تضفي حيوية على علاقتنا. العالم زاخر بالمباهج وغني بالامكانات. علينا أن ندع الامور العفوية أو غير المتوقعة تشيع البهجة في حياتنا الرتيبة.

● أصغ الي من دون أن تصدر أحكاماً. لا تقل لي ان ما أشعر به لا أهمية له أو ليس حقيقياً. انها تجربتي، ولذا فهي مهمة وحقيقية بالنسبة الي.

● دع الآخرين يعرفون أنك تقدرني كما أستحق. فالتأكيد على حبنا أمام الناس يجعلني أشعر أني مميزة فأعتز بذلك.

العاطفة. يبدو أننا نخاف التعبير عن العاطفة جسدياً سواء في الاخذ أم في العطاء. ولعل هذا يعود الى ربط الملامسة بالمحظورات الجنسية القديمة واللاواعية غالباً. لكن اظهار العاطفة أمر صحي ضروري. ويقول الدكتور هارولد فوث الطبيب النفساني في مؤسسةماننغر في توبيكا بولاية كنساس: "العناق أو الاحتضان يزيل الانقباض أو الكمد النفسي. انه ينفخ حياة جديدة في الجسد المرهق ويجعل المرء يشعر بأنه أصغر سناً وأوفر حيوية."

ديفيد برسلر المدير التنفيذي للفريق الطبي في مركز برسلر في سانتا مونيكا بولاية كاليفورنيا ينصح مرضاه بأن يتعانقوا أربع مرات كل يوم. حتى انه يكتب وصفة طبية رسمية يقول فيها: "لا تستهينوا أبداً بقوة تأثير هذه المعالجة وبالدور الذي يمكن أن تؤديه لتحقيق الشفاء. وبحسب علمي لم يمت أحد قط من جراء جرعة مفرطة من العناق."

اذا كنا غير معتادين العاطفة الجسدية فلا بد من أن تسبب لنا بعض الانزعاج في بادىء الامر. قد نفضل أن نباشرها مع أفراد العائلة والاصدقاء، بمصافحة اليد وتربيت الكتف والملامسة بالاصابع. من هنا يمكننا أن ننطلق الى

العناق الحار أو القبلة الرقيقة. ان فتح ذراعينا للآخرين لا يكلفنا سوى جهد ضئيل، لكنه يبقى أوضح تعبير عن الحب عندنا.

الغفران. في كلمة "الغفران" حرارة وقوة. انها توحي بالقدرة على الترويح والشفاء والالتئام والانبعاث.

غير أن الغفران يبدو عسيراً، خصوصاً حين لا نجد لتصرف الشخص المؤذي تبريراً. ولن نقوى على الغفران الا حين ننظر الى المسيئين الينا بحنان ونعتبرهم بشراً ضعفاء بعيدين عن الكمال مثلنا ويمكن أن يقعوا ضحية الوهن والتخاذل والزلل.

الحب يتيح لنا أن ننظر الى الاساءة في بعدها الحقيقي ونعتبرها عملا منفصلا عن الشخص الذي ارتكبها. فنرى أن العلاقات البعيدة المدى هي أعظم من الاذى العارض الذي سببه عمل سلبي منعزل.

الصدق. يرتكز ضماننا الذاتي على افتراض أن أولئك الذين نحبهم سيكونون دائماً صادقين معنا. وحين يهتز هذا الضمان بفعل خديعة يمكن أن تتحطم الحياة كلها.

الثقة لا تقوم من دون صدق. وحيث يغيب الصدق لا يمكن أن يحضر الحب. وحتى الكذبات الصغيرة التي تكون الغاية منها تحاشي ايذاء المشاعر قد توقع المرء في حبائل الشك.

يمكننا أن نعلن الحقيقة بمحبة، كأن نقول: "اني لا أحب هذا الثوب مثلما أحب فستانك الازرق، ولكن لا تنسي أن هذا هو رأيي فحسب، وأنا لست أيف سان لوران." مثل هذا القول أخف وقعاً من: "انه كريه، وأن أمقته."

ينبغي أن نقر بأننا قد نحيد عن جادة الصدق بين الحين والآخر. ولكن اذا شئنا أن تدوم علاقتنا وتنمو، فيجب أن يبقى الصدق والثقة رائدينا دائماً.

الى هذه الصفات الاربع الاساسية أبرز الذين أجابوا عن أسئلتي صفات أخرى تساعد على تنمية الحب وهي:

التحرر من الغيرة. بما ان قلة منا متحررة تماماً من الغيرة، فينبغي أن نجد حلا لهذه المسألة.

قد تصبح الغيرة وحشاً يلتهم كل شيء فيحطمنا كما يحطم من نحب، أو تحدياً يحدونا على تنمية احترام الذات واكتساب المعرفة الشخصية. وعندما نقهر المغالاة في الغيرة يمكننا أن نغدو أكثر محبة ووفاء لمن نحب.

لا يمكن أن نحد من الغيرة الا اذا أقررنا بأننا لن نستطيع أبداً امتلاك انسان آخر. وعلينا أن نتعلم أن محبتنا للآخرين تعني أن نريد لهم أن يعيشوا ذواتهم مهما يكن ذلك مؤلماً لنا. وقد يفترض الحب الاعظم منح أقصى الحرية. يجب أن يطلق الحب حراً، وعندما يؤوب الينا سيتاح لنا أن نعرف حقيقته.

القبول بالواقع. ان بناء الذات عملية تستغرق الحياة بكاملها. وفي الوقت الراهن علينا أن يقبل أحدنا الآخر

كما هو، غير كامل وغير معصوم عن الخطأ. واذا كنا نخاف كشف ذواتنا الناقصة، فلا يحق لنا أن نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك، وهكذا نبقى غرباء. لي صديق يؤكد أنه قد لا يكون عظيماً، انما هذا كل ما هو في الوقت الراهن، وهذا ما هو على استعداد ليعطيه، ولذا فعطاؤه فوق الكفاية.

لكي نقيم علاقات دائمة مع الآخرين ينبغي أن نكون سعداء بما نحن وهم عليه. ويجب أن نحترم حقوقهم ومواقعهم ومشاعرهم كما نحترم ما لنا.

التقدير والمراعاة. ان تدهور العلاقات لا ينجم غالباً عن مشاكل كبيرة، بل عن تراكم أمور صغيرة على مدى طويل: تصرفات طفيفة غير لائقة وتعليقات في غير محلها وكلمات لا تقال، وبوادر حسنة نؤجلها دائماً.

نحن غالباً نولي معارفنا العرضيين اهتماماً أكبر مما نولي من نحب. "شكراً"، "اني أستحسن هذا"، "اذا لم يكن لديك مانع"، هذه أساليب للتعبير عن الحب.

يجب أن نخلق جواً حميماً ملؤه المحبة والتقدير لمن نحب. فيعامل أحدنا الآخر باحترام، ونتقدم على أحسن وجه في جو من المراعاة.

التقاليد. في هذه الايام نقلل من قيمة التقاليد باعتبارها سخفاً رومنطيقياً. فقد أقلعنا عن اقامة الولائم العائلية أيام العطل والاجتماعات في الاعياد والمناسبات التي كانت تلمنا وتقربنا بعضنا الى بعض.

تذكر أغنية قديمة، رسالة مخطوطة على بطاقة، كعكة عيد، تجديد عهود الزواج. كل هذه الاشياء من شأنها أن تشدّنا الى من نحب، واذ تنتقل من جيل الى جيل تظل شيئاً ثابتاً في هذا العالم المتغير.

مشاركة الاماني. ترفعنا الاماني الى ما وراء هذا العالم الدنيوي وتزخر مستقبلنا بالامكانات. فالمشاركة في التمنيات تضفي على علاقاتنا عنصراً من الاعجاب. اننا نحلم معاً بما سنحقق من نجاح في الغد، بأولادنا، بالسفر، بالضمان المادي. نحلم بالسلام والمتعة والسرور.

الحلم مكان خاص. فاذا أشركنا فيه من نحب أتحنا له أن يعرف حقيقتنا.

الشجاعة. التخاذل قد يمنعنا من التقارب. العلاقة تتطلب أن يكون المرء جريئاً وأن يجزم ويلتزم. المشاكل والنزاعات والاخفاقات أمور لا مناص منها. ولذا نحتاج الى الشجاعة لمواجهتها. يجب أن نتيح لعلاقاتنا فرصة النجاح، اذ لا شيء في الحياة أعظم من أن يحب المرء ويبادله الآخرون حباً بحب.

ليو بوسكاليا ■



أنت تبدأ من جديد عندما تقول لنفسك ان ما مضى قضى وولّى.

م.ك.

تأملات معاصرة



الانسان نقطة!

قال عالم فلكي مرة لرجل دين: "بالنسبة الى الفلكي ليس الانسان سوى نقطة متناهية في الصغر في هذا الكون غير المحدود."

فقال رجل الدين: "هذه وجهة نظر مهمة. الا ان نقطتك المتناهية في الصغر لا تزال مع ذلك عالماً فلكياً."

و.و.٠

لوحة الانجازات

الجميل في لعبة كرة القدم أن فيها لوحة تسجل لكَ انجازاتك. أما في مجالات الحياة الاخرى فلا تتاح لك هذه اللوحة، أو انها تكون غير مرئية.

تشاك نول، مدرب كرة قدم

مفاجآت السفر

المسافرون متشردون هائمون كرواد الفضاء الذين يخرجون في نزهة فضائية على حبل. الواقع هناك يبدو جميلاً، فالحجر الذي لا يستحق نظرة منك على الارض يستوقف أنظارك بخصوصيته المطلقة.

بالنسبة الى المتشرد المسافر ليس ثمة شيء لا يستحق الملاحظة: لا صخرة ولا كتف عابر طريق ولا ابريق شاي. لا شيء غير مألوف كالمألوف. لا شيء يهز القلب بمقدار ما يهزه أن ترى هناك في البعيد ما رأيته للمرة الاخيرة في موطنك.

هذا ما يكتشفه المسافرون: حين تقطع صلاتك بالمعتاد ومتطلباته فان ابريق الشاي هو الذي يمثل لك المفاجأة الحقة.

سينثيا أوزيك

رثاء صديق

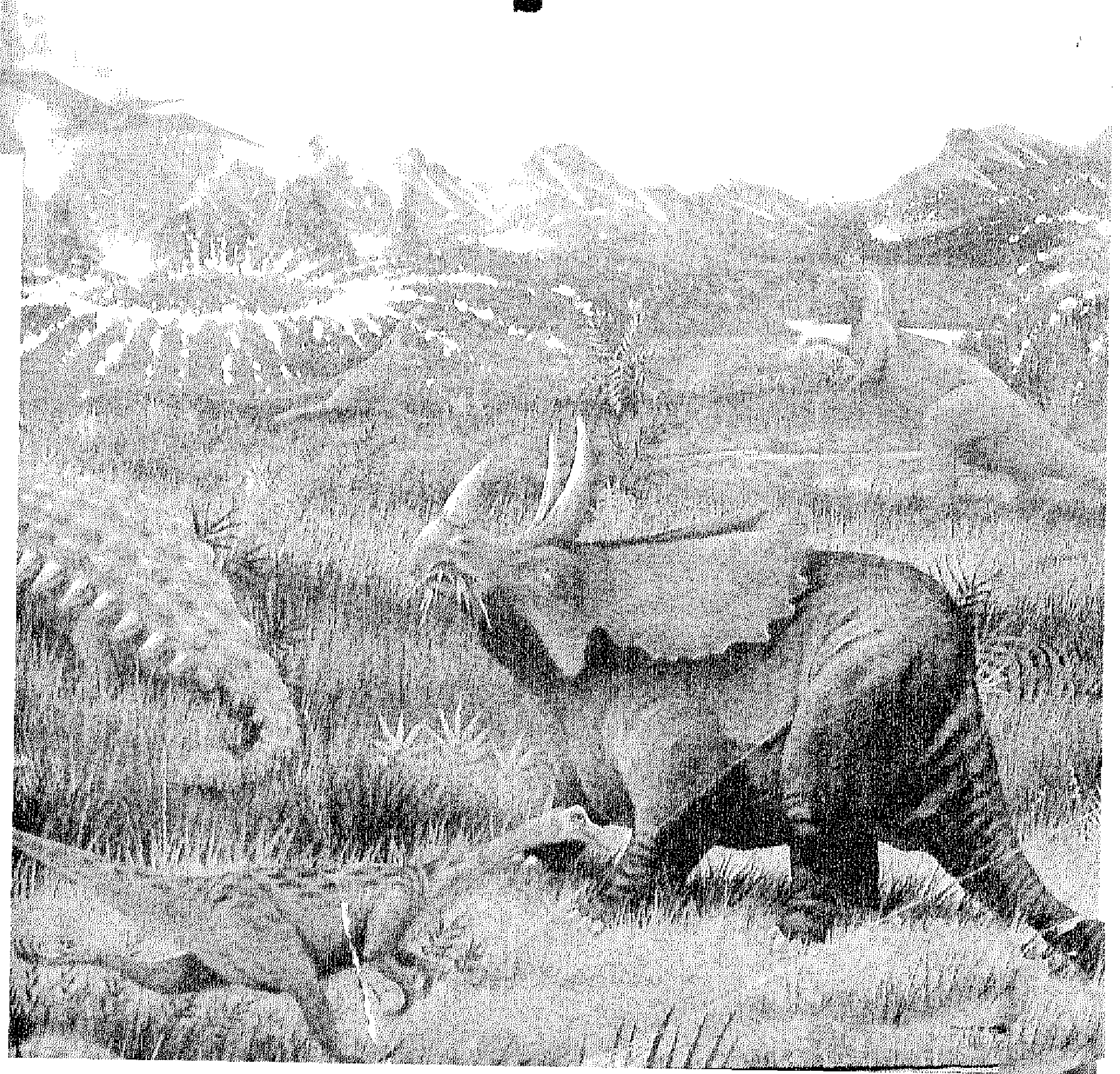
كان بطيء التفكير،
قليل الكلام،
ولم يكن كلامه أو فكره
مدعاة الى التأمل.
لكن حضوره كان بهجة الجُلّاس،
لأنه كان أمير الاصفياء.

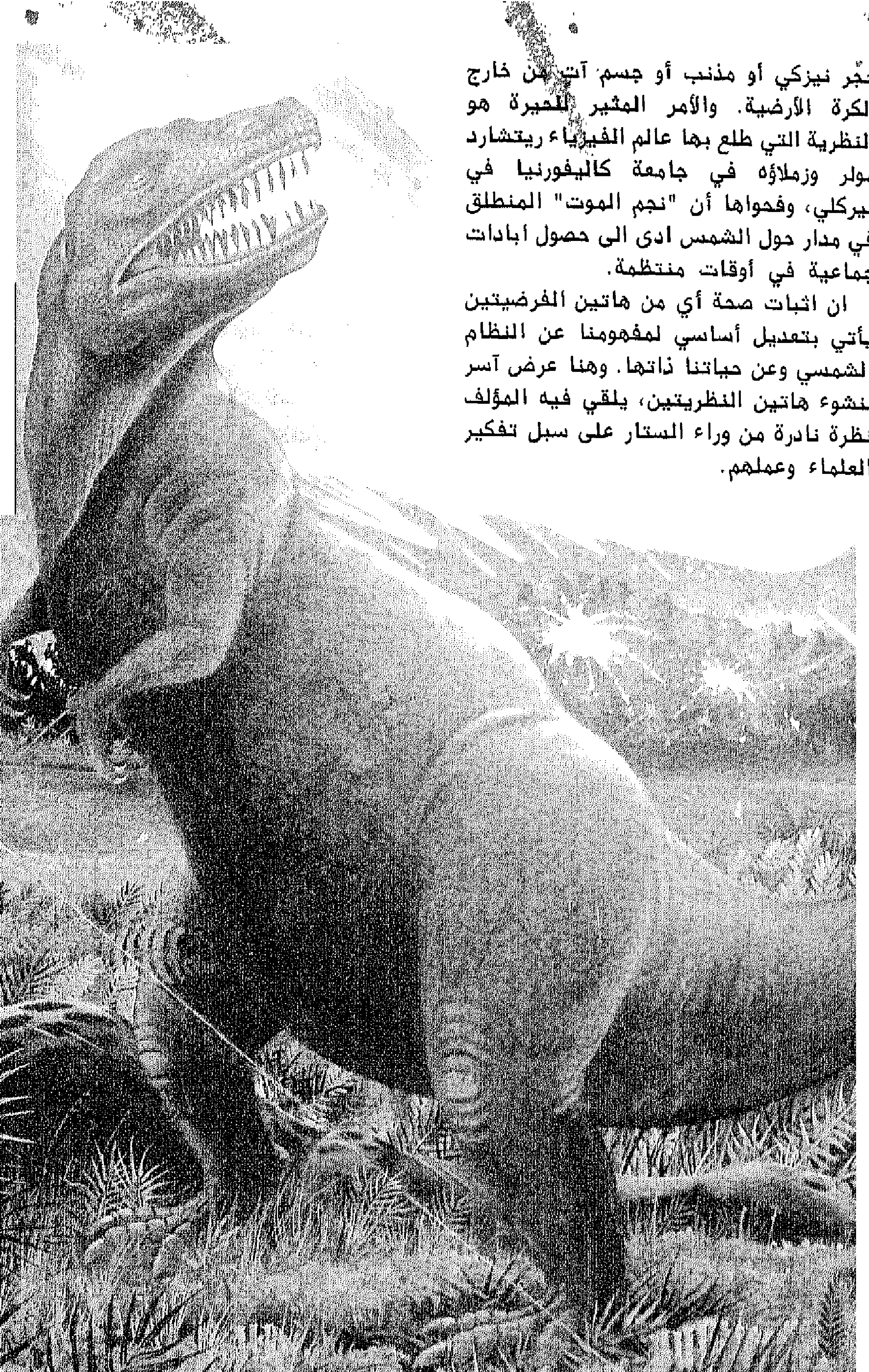
شاعر مجهول

الدينوصور والنجم الأحمر

في أزمنة ماضية اختفت أشكال من الحياة عن وجه الأرض. وحدث أعظم الانقراضات الجماعية قبل ٦٥ مليون سنة حين تلاشت على نحو مفاجىء مجموعة كبيرة من النبات والحيوان بما فيها الدينوصور.

ما السبب في هذه الكارثة؟ انه وفقاً لاحدى الفرضيات المعروفة باسم "نظرية التصادم"





حجّر نيزكي أو مذنب أو جسم آتٍ من خارج الكرة الأرضية. والأمر المثير للحيرة هو النظرية التي طلع بها عالم الفيزياء ريتشارد مولر وزملاؤه في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وفحواها أن "نجم الموت" المنطلق في مدار حول الشمس ادى الى حصول ابادات جماعية في أوقات منتظمة.

ان اثبات صحة أي من هاتين الفرضيتين يأتي بتعديل أساسي لمفهومنا عن النظام الشمسي وعن حياتنا ذاتها. وهنا عرض آسر لنشوء هاتين النظريتين، يلقي فيه المؤلف نظرة نادرة من وراء الستار على سبل تفكير العلماء وعملهم.

الدينوصور والنجم الأحمر

أحببت في طفولتي حيوان الدينوصور. وكنت أرسم صورة كل يوم في حصة الألعاب نقلا عن كتاب "صيادي الدينوصور". وتعلمت آنذاك أن جميع الكائنات العملاقة اختفت قبل ٦٥ مليون سنة من دون أن يدري أحد السبب. وكانت هذه أول مسألة علمية أسمع بأن لا حل لها. وعلى الأثر أخبرت أبوي أني أود أن أصبح عالم إحاثة (★).

ولفتتني نسخة من كتاب "سيرة الأرض" لمؤلفه جورج غاماو على رف في احدى الصيدليات، وكان يحوي نسخاً طبق الأصل لرسوم عن الدينوصور، اضافة إلى صور للقمر والكواكب. وأفلحت في اقناع أبويّ ليشترياه لي. ومن بعد اشتريت كتاباً آخر للمؤلف هو "واحد، اثنان، ثلاثة... لا نهاية."

كان هذان الكتابان مترعين بالاثارة: نقاشات حول اللامتناهي، صور فوتوغرافية للجزيئات، نظريات حول بداية الزمن وحجم الكون. ووجدت أن هذا العمل قام به علماء الفيزياء، فعزمت على أن أصبح في عدادهم.

اثناء دراساتي العليا في جامعة كاليفورنيا في بيركلي أكببت على دراسة الجسيمات الاولية، وهي القطع البالغة الصغر التي تؤلف نواة الذرة. وبدا ذلك للوهلة الاولى بعيداً كل البعد عن دراسة الدينوصور. وبالتأكيد لم أكن لأقدّر أن المشرف على أطروحتي، وهو لويس ألفاريز الحائز جائزة نوبل، سيرئس الفريق الذي اقترح حلا لأحجية ابادة حيوانات الدينوصور وهو يقوم على نجم الموت الدائر حول الشمس.

دروس الاستاذ – العمل مع ألفاريز مثير باستمرار. ويبدو أنه بين قلة من علماء الفيزياء الذين يبتكرون مناهج جديدة لاستقصاء مجالات حديثة في العلوم. وبعد ست سنوات من التدريب المنهجي في الفيزياء بدأت دراستي أخيراً. ووجدتني أدرس ألفاريز محاولا أن أفهم طرق مقاربته المسائل.

كان ألفاريز حقق اكتشافات أكثر من أي عالم فيزياء على قيد الحياة ممن أعرف، وكنت أشعر بأنه أجراها ابتغاء الاثارة والمغامرة.

لم يكن عالماً اكاديميا. وقد ذهلت غير مرة لحقائق الفيزياء الكثيرة التي لا يلم

(★) علم الاحاثة أو البليونتولوجيا يبحث في اشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة.

بها. ولم يكن ليكدس المعلومات في ذهنه من دون داع. ولكن إذا ما أراد أن يعرف أمراً كي يحل مسألة، فإنه يتعلمه بسرعة وتركيز مدهشين.

ونويت أن أصوغ أبحاثي مستقبلا على غرار الطريقة التي رأيته يعالج بها مشروعه الهرمي. وبيان ذلك أن الاهرام المصرية تُقذف على الدوام باشعاعات كونية طبيعية. وقد أدرك ألفاريز باستعمال مكشاف ملائم (فالافلام فائقة الحساسية) انه في امكانه أن يستعمل هذه الاشعاعات في تصوير الأهرام "بالاشعة". ولربما كشف عن حجرة متوارية داخل الهرم.

وظننت أن عجائب الأهرام ليست سوى مسائل قرأ عنها ألفاريز حين كان طفلا كما قرأت أنا عن الدينوصور. واذا اكتشف حجرة جديدة ملأى بالكنوز فسيكون ذلك أعظم انجاز في حياته، أعظم حتى من اكتشافه للجسيمات الأولية المتكاثرة التي أنالته جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٦٨.

أجرى ألفاريز "فيزياءه التجريبية" من مكتبه، متفكراً في المسألة بجهد وعناية قبل استعمال أي أجهزة. وحين أبدى الآخرون اهتماماً بعمله رحب بمساعدتهم. وكان منهجه في التنظيم اكبر درس لي.

لقد نجح تصوير الهرم بالاشعة، ولكن لم تكن ثمة حجرات خبيئة. وكانت خيبة كبيرة، الا أن هذه هي طبيعة الاختبار العلمي الذي قد لا يأتي بنتيجة.

الصخرة العجيبة – في أحد الأيام من العام ١٩٧٨ أطلعني ألفاريز على هدية جاءته من ابنه والتر الذي كان حينئذ جيولوجياً في جامعة كولومبيا في نيويورك. والهدية قطعة صخر رسوبي من ايطاليا يبلغ عمرها ٦٥ مليون سنة، وفيها أحافير صغيرة لكائنات بحرية. لكن الاحافير منحصرة في النصف الأسفل من الصخرة، وكأن شيئاً ما أفنى كل الحياة الدقيقة قبل أن يتشكل النصف الأعلى. وأخبر والتر والده بأن الفاجعة حدثت في الوقت نفسه الذي انقرضت فيه حيوانات الدينوصور.

بدا لويس ألفاريز مبهوراً، وفكر في استعمال تقنية اشعاع حديثة كنت ابتكرتها لتحديد التواريخ، وذلك للمساهمة في فكّ اللغز. وأخفقت التجربة. لكن الاخفاق شحذ اهتمام ألفاريز الذي أخذ يبحث طوال أسابيع فوجد مقترباً آخر أيقن من صلاحيته. وكان مفتاح الحل الايريديوم، وهو عنصر فلزي نادر من مجموعة البلاتين "يمطَر" على الكرة الارضية بمقادير ضئيلة حين تتبخّر النيازك الصغيرة لدى دخولها جوّ الأرض.

وعند تحليل الصخرة الآتية من ايطاليا فوجىء ألفاريز وزملاؤه اذ وجدوا أن كثافة الايريديوم ارتفعت فجأة وقت فناء الدينوصور أكثر مما يمكن أن يعزى إلى تبخر النيازك وحده.

ويرجّح أن هذه كانت مجرد غلطة. ولكن لا بد من تقصي أسباب حدوثها. فقد فات ألفاريز مرة اكتشاف طريقة شطر الذرة لأنه أخفق في تتبع ملاحظة لم تبد ذات أهمية.

وتبيّن أن المحتوى الكثيف من الايريديوم في الصخرة صعب التفسير مما

نبّه شهية ألفاريز، اذ انه حين يواجه مسألة مستعصية تنمو لديه "غريزة القاتل". ومن المحتمل أن تكون البراكين مصدر الايريديوم. وبحسب افتراض ألفاريز فإن هذه المادة موجودة في باطن الأرض ويمكن أن تكون البراكين قذفتها إلى السطح. وبعد استبعاد هذه الفرضية انتقل ألفاريز إلى احتمال آخر هو أن يكون المصدر ترسبات كيميائية في المحيطات. غير أنه وجد ذلك غير قابل للتصديق.

وكان ألفاريز يأتي بتعليل جديد كل أسبوع ويشرحه لي ولزملائي بصبر. ولكن حين نستوعب كل التفاصيل (بعد اسبوع أو نحوه) يكون دحض الفرضية التي وضعها وأتى بأخرى بديلة.

وجدتُها! - بعد أشهر من التركيز الذهني توصل ألفاريز إلى تفسير: ان جسماً غريباً اصطدم بالارض متسبباً في وابل من الغبار المشبع بالايريديوم. وتمكن من تقدير قطر ذلك الجسم بطريقتين مختلفتين وكلتاهما توصلان الى الرقم ذاته: عشرة كيلومترات (ان جسماً بهذا الحجم اذ يصطدم بالارض يحرّر طاقة هي عشرة آلاف ضعف طاقة الترسانة النووية للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مجتمعة). أما الغبار الذي تطاير على الأثر فقد يفسّر القضاء على الحياة، اذ ان أشعة الشمس حجبت لأشهر عدة مما أوقف التركيب الضوئي وخفض الحرارة الى حد كبير. وبذا يُحتمل أن تكون حيوانات الدينوصور قضت جوعاً وتجمداً.

ولم يستطع أي منا أن يجد ثغرة في استنتاج ألفاريز. ونشرت نظريته هذه عام ١٩٧٩. وقوبلت في البداية بالشكوك، ولكن بحلول منتصف الثمانينات لم ينازعه في رأيه سوى عدد قليل من الخبراء. ويقوم ذلك الرأي على أن جسماً خارجياً اصطدم بالأرض في الوقت نفسه الذي تم فيه الفناء الجماعي.

لقد رصدت كل هذا العمل لكنني لم أساهم فيه. ثم لاحت الفرصة المناسبة حين عثر ديفيد راوب وجون سيبكوسكي، وهما عالمان احاثيان في جامعة شيكاغو، على دلائل تشير إلى أن الفناء الجماعي كان يحدث بانتظام كل ٢٦ مليون سنة (وبناء على حساباتهما فان الفناء التالي موعده بعد ١٣ مليون سنة!).

ولم يقرّ ألفاريز لهما بنتائج أبحاثهما، وسطّر رسالة بيّن فيها أوجه اعتراضه. ثم طلب مني أن أبحث عن الاخطاء فيها. ووجدت ان عملهما صعب تجاهله، ولم أقنع ألفاريز بذلك لكني أقنعت نفسي.

من المزعج أن تعتقد بصحة أمر في حين لا يوافقك معظم زملائك. وقد أغرتني ضغوط الحياة الاكاديمية العادية بالتخلي عن البحث والتنقيب، كل الضغوط الا واحداً هو ألفاريز.

ودأب يسألني كل يوم عن سير عملي وهل توصلت الى نظرية تفسّر الفناء الدوري (نظرية لا يعتقد هو بها).

وخلال شهرين أتيت بست نظريات أثبت خطأ كل منها. ثم ابتكرت بمساعدة الفلكي مارك ديفيس من جامعة كاليفورنيا وبيت هات الخبير في الديناميكا المدارية بمعهد الدراسات

العليا في برنستون بولاية نيوجرزي، نموذجاً يفسّر الفناء الدوري.

نتائج صاعقة - النظرية سهلة: كان للشمس نجم مواكب يدور في مدارها. وكل مدة تراوح بين ٢٦ مليون سنة و٣٠ مليون سنة يقترب النجم نسبياً من مجموعة تضم نحو ألف مليار مذنب على حدود النظام الشمسي (أبعد من بلوتو). وتضطرب المذنبات بفعل جاذبية "نجم الموت" وتهب عاصفة من مليار مذنب على نظامنا الشمسي الداخلي ويصطدم واحد منها أو أكثر بالارض.

ومنذ ابريل (نيسان) ١٩٨٤ تاريخ طباعتنا النظرية باسم "نظرية نيميسيس" (تيمناً بالاغريقية التي كانت تعاقب المبالغين في قوتهم وتبجحهم، كالدينوصور على سبيل المثال) وعلى رغم اختبارات أجرتها مصادر خارجية، لم يثبت أحد بعد بطلان النظرية. وألفاريز نفسه يعتقد أنها أفضل تعليل متوافر في الوقت الحاضر. وسواء كنا على صواب أو كانت نظرية ألفاريز صحيحة، فان نتائج ذلك على نظرية الارتقاء ستكون مذهلة.

فالتطور وفقاً للداروينية الكلاسيكية يشمل أنواعاً تتبارى ضد أنواع أخرى. لكننا في أبحاثنا نفترض أن هذا ينطبق فقط خلال الفترات الفاصلة بين الاصطدامات الفاجعة التي تحدثها الأجسام الخارجية. وتوضح "نظرية نيميسيس" أن الارض تعاني صدمة كل ٢٦ الى ٣٠ مليون سنة لا يمكن أن تتوقعها الأنواع الراقية أو تعد العدة لمواجهتها. ان البيئات الملائمة متوافرة، وهي تفسح في المجال للأنواع التي لم تنم نمواً طبيعياً في السابق كي تأخذ دورها. ولو لم تصطدم المذنبات بالارض قبل ٦٥ مليون سنة فان الثدييات لم تكن لتنتزع الارض من حيوانات الدينوصور. ومن المرجح أن الدينوصور حين اختفائه كان أكثر ذكاء من الثدييات. ويحتمل أن تكون كائنات فائقة الذكاء تطورت. لكن بخصائص الزواحف.

من الغريب والرائع أن نفكر بجدية في الدينوصور للمرة الاولى منذ أيام المدرسة الابتدائية، وأن يكون هذا التفكير متابعة لاول مسألة علمية غير محلولة وصلت الى علمي.

قبل مدة قصيرة رسمت لابنتي ذات الاعوام الستة دينوصوراً ضخماً من نوع تيرانوصوروس ريكس يصارع دينوصوراً آخر من نوع تريسيراتوبس. واذ انسابت الخطوط من أناملي أدركت أن مهارتي لم تنقص مثقال ذرة عبر تلك السنين.

بالطبع لا برهان على "نظرية نيميسيس"، ولكنه اذا كان للشمس نجم يواكبها فينبغي أن نجده ونتأكد من مداره في المستقبل القريب. وهو على الأرجح نجم أحمر يبعد حوالى ٣٢ ألف مليار كيلومتر، بريقه خافت لكنه يرى بالمنظار. ويعكف الآن فريق من الفيزيائيين والفلكيين في بيركلي على النظر في خمسة آلاف نجم مرشح. واذا عثروا على "نجم الموت" الحقيقي فلا موجب للنقاش بعد، فالمغامرة في سبيلها الى الحدوث.

ريتشارد مولر ■

الطفل ذو البصيرة الخارقة

يركب الدراجة ويلعب بالكرة ويذهب الى المدرسة ويقرأ ويكتب. لكنه أعمى!

العينان واسعتان ولونهما أزرق فاتح بلون بيضة أبي الحناء. ولو نظرت في يوم مشمس الى صميم هاتين العينين العاجزتين عن رؤيتك لوجدت أن النور يبهت لونهما فيصبح كزرقة السماء الصافية.

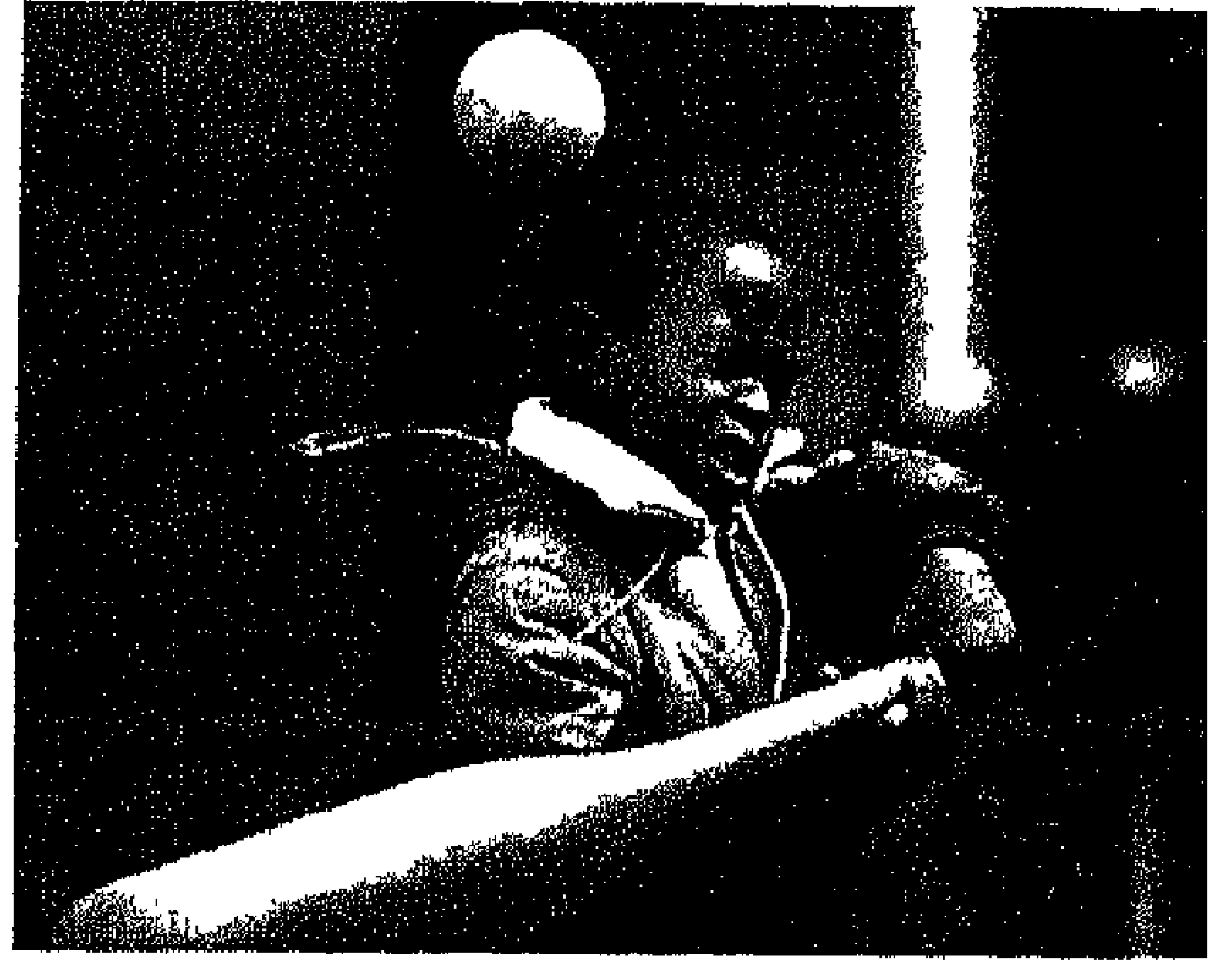
صاحب هاتين العينين هو كالفين ستانلي (١١ عاماً) الذي ولد ضريراً. وهو معجب بهذا الوصف ويطلب ترداده على مسمعه. يقول: "أعرف ان الازرق الفاتح موجود، كذلك الازرق القاتم. ولكن كيف هي زرقة السماء؟" انه يريد أن يعرف. ولو تأملت وجهه وهو يستمع الى وصفك لخيل اليك أن صورة انطبعت خلف تينك العينين. خزن عقل كالفين صوراً كثيرة صاغتها كلمات العائلة والاصدقاء والاساتذة الذين يحبونه. من صورة البرق: "تقول أمي انه كشجرة الميلاد، يومض وينطفئ في أرجاء السماء." ومن صورة قوس القزح: "هو مجموعة من الألوان الجميلة المتوازية وكل لون منها في شكل قوس."

وذات مرة قالت له أمه: "يا بني، لن أكون الى جانبك ذات يوم آت لأرفعك حين تسقط. فيجب أن تتدبر أمرك بنفسك. لذلك عليك أن تتعلم كيف تفكر."

ان ايثل ستانلي (٣٥ عاماً) امرأة جميلة قوية البنية وصاحبة ابتسامة مشرقة. وتروي أن ابنها كان شديد الفضول في صغره: "أراد كالفين رؤية كل

Condensed from Baltimore Sunday Sun (May 27, '84), © 1984 by The Baltimore Sun, Baltimore, Md. Photos: David Harp / The Baltimore Sun

شيء ولمس كل شيء. واضطررت الى أن أبين له كل صغائر الامور كالملعقة والشوكة. وكنت أسمح له بأن يعبث بالاوعية والطناجر وبكل شيء آخر. وعندما خطا خطواته الاولى لم أخبره بما يجب أن يفعل. فكان لدى وصولنا الى حافة رصيف يعرف أن عليه النزول لحظة أتوقّف وارتقاء رصيف آخر لحظة أتوقف ثانيةً.



كالفين يلعب البيسبول.

ولم انطق له بكلمة واحدة. وهكذا كنا ننجز ذلك معاً."

ويتذكر كالفين يوم بدأ يدرك أنه "مختلف" في أمر ما عن غيره: "تصوّرت ذلك بنفسي وأنا في الرابعة من عمري. فكنت أحمل الاشياء من دون أن أبصرها في حين قال غيري انه يراها." وتتذكر الوالدة يوم سألها عن سبب عماه: "شرحْتُ له أنه ولدَ ضريراً ولا لوم في ذلك على أحد. فسأل: ولماذا أنا؟ فقلت له: أجهل السبب يا كالفين، ولكن ربما كان لك نصيب خاص من الحياة."

ثم أجلسته قائلة: "أنت تبصر يا كالفين، لكنك تستعمل يديك بدل عينيك. وتذكّر أنك لا تعجز عن انجاز أي عمل."

"كيف تبدو أمي؟" – انها عطلة الربيع وكالفين في الخارج يركب دراجته في الممشى خلف البيت. وهي دراجة "ضخمة" ذات عجلتين. حاول أن تتخيّل أنك تقود دراجة وأنت غير قادر على رؤية دربك. وحاول أن تتخيّل أنك تجتاز مسافة غير موجودة الا في خيالك. ثم حاول أن تتخيل شعور كالفين وهو يركب درّاجته في هذه الفسحة هاتفاً بجذل.

مع أن كالفين عاجز عن رؤية ملامح الربيع التي تتفتّح حوله فهو يحِسّ بملامح من نوع آخر: الكلب الراعي الذي ينبح باستمرار ويعلمه انه على بعد ثلاثة شوارع من منزله، ونبتة الياقوتيّة على بعد خمس حدائق، وطقطقة الدعامة العريضة المنحرفة التي ترفع العجلة الامامية وتنذره بأنه بلغ الحدود وعليه أن يعود.

تعلّم كالفين ركوب دراجة بعجلتين في السادسة من عمره. وأتاح له والده أن يساعده في تركيبها، فأنجز العمل كاملا بيديه وتعرّف الى كل قطعة منها. ويقول: "سقطت عنها مراراً في البداية."

وتجري في الفناء الخلفي مباراة بيسبول (كرة القاعدة). السيدة ستانلي تقذف الكرة الى ابنها، ومونيه كلارك (٧ أعوام) تلتقط الطابة. ومن واجب مونيه أيضاً أن تنبّه كالفين الى الوقت الذي يجب أن يسدّد فيه الضربة، فتصرخ له: "سدّد!" فيفعَل، ويدفعه صوت الطابة التي تلامس المضرب بعنف الى الركض

نحو القاعدة الاولى ويداه ممدودتان أمام جسمه تتلمسان الدرب.

ووالد كالفين (٣٨ عاماً) شرطي واسمه كالفين ستانلي أيضاً من بلتيمور في ولاية مريلاند. وهو علّم ابنه كيف يغيّر السرعات في سيارة العائلة



والده يلقنه أصول اللعبة.

الفولكسفاغن وكيف يركّب أجزاء الالعاب. وهما يترافقان الى السينما ويقول أحدهما للآخر انه وسيم.

ويخبر الأب: "يفعل كالفين كل شيء ما عدا الرؤية. فهو يسبح في الحوض. وفي حين يخاف بعض الاولاد من الماء تراه يقفز اليه ويغطس رأسه. ولو كنت مكانه لما تحلّيت بشجاعته، فهو مستعدّ دائماً للانطلاق والقيام بعملٍ ما. لكنه يبدو كئيباً في بعض الاحيان. وتعرف بمجرّد أن تنظر اليه أنه شديد الحزن."

ويقول كالفين وهو يرفع عينيه والغصّة في حلقه: "أتمنى أن أعرف كيف تبدو أمي. من تشبه؟ يخبرني الناس أنها جميلة."

وتتابع الأم: "ذات يوم حين كان كالفين في السادسة من عمره كان الاولاد في المدرسة يرسمون صور أمهاتهم لمناسبة عيد الام. وأراد أن يتعرّف الى مظهري فأزعجني الامر لاني لم أعرف كيف أصف له نفسي. وحاولت أن أشرح شكل الانف وملامح الوجه، وأخذت بيدِه وجعلته يلمس بشرتي.

"وأعتقد أن تلك كانت لحظة أدرك فيها حقاً أنه ضرير لانه قال: لن أستطيع أبداً أن أرى وجهك يا أمي ولا وجه أبي." وردّدت الأم ذلك بصوتٍ خافت وهي تغطي عينيها بيديها.

لكن السيدة ستانلي عرفت كيف تجيب ابنها الوحيد: "قلت له: يا كالفين، يمكنك أن ترى وجهي بواسطة يديك وبالاستماع الى صوتي. وأنت أقدر على وصفي من أي شخص آخر يرى بعينيه."

مع المبصرين - مستشفى بروفيدانت في بلتيمور، ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣. هناك ولِدَ كالفين ستانلي. وتتذكّر والدته: "حين تأكد للاطباء أنه الماء الازرق (غلوكوما)، وأنه وراثي، وأخبروني أن نسبة الشفاء ضعيفة جداً، شعرت بالرهبة. ثم حملوا كالفين الى جرّاح في مدينة نيويورك. فاجريَت له سبع جراحات، الا أن أي تحسّن لم يُلحظ حين بلغ الثالثة

من عمره. وعندئذ قيل لآل ستانلي انه لم يعد في اليد حيلة.

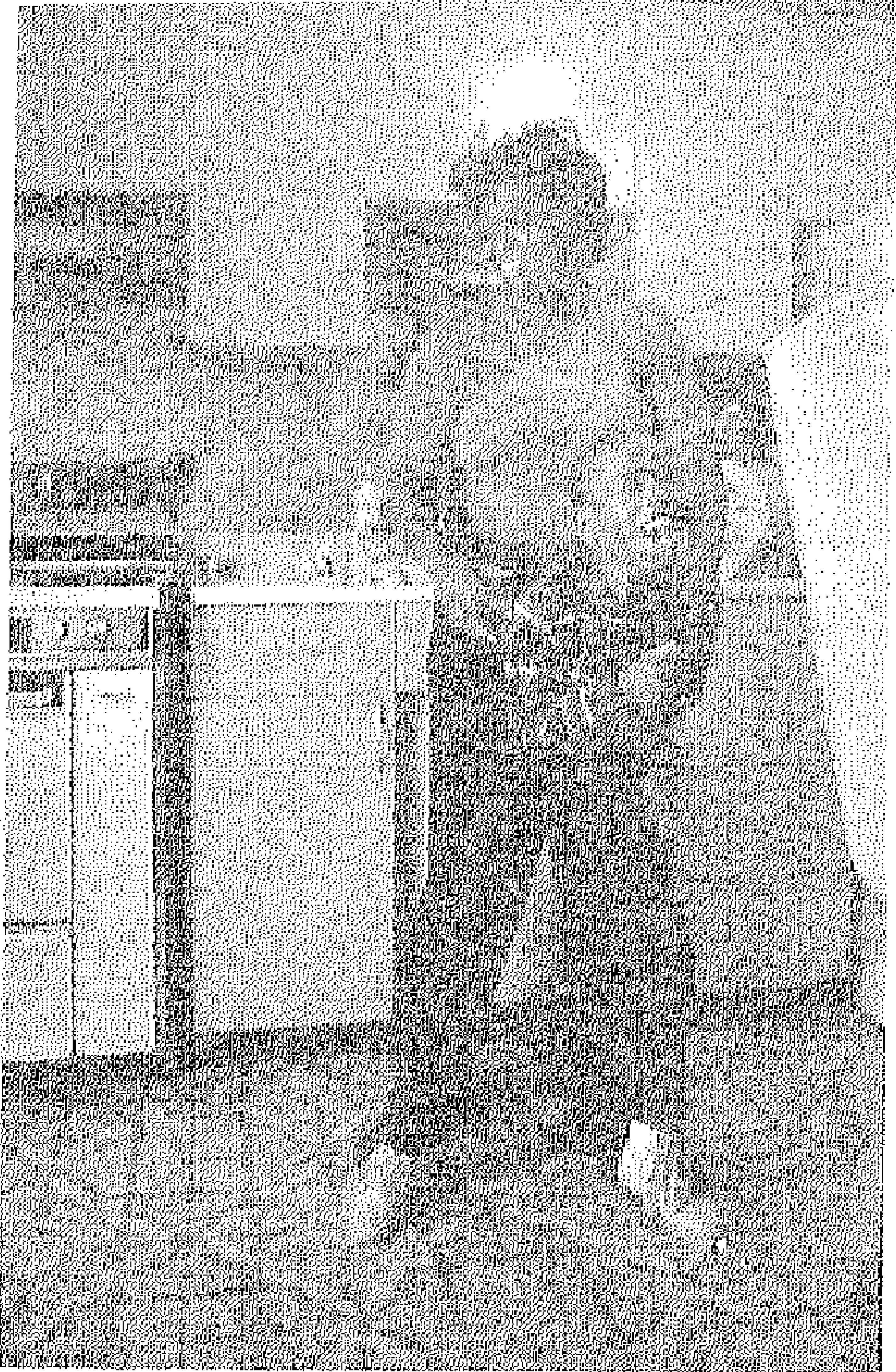
لكن ايثل ستانلي كانت اكتسبت في مكان ما القدرة على التربية والتعليم، ربما من خبرتها الذاتية أيام حداثتها اذ كانت تعتني باخوتها وأخواتها الستة الاصغر منها سناً حين تذهب والدتها الى العمل. وها هو الدليل على ذلك. فقد دخل كالفين عالم الرؤية بفضل الرجاء والايمان والثقة الوطيدة التي يحظى بها طفل تلازمه أمه أبداً لمساعدته.

وكانت تقول له تكراراً بصراحتها المعهودة الخالية من التردّد: "اذا لم تفهم أمراً، اسأل فحسب."

ويقول والد كالفين ضاحكاً: "عندما كان صغيراً شاء أن يصبح مثل ستيفي وندر. وهو بلغ مستوى لا بأس فيه في عزف البيانو. أما الآن فيريد أن يصبح مبرمج دماغ الكتروني ويضع برامج للعميان."

جُهّزت غرفة نوم كالفين بكل وسائل الراحة التي تجدها في غرفة تلميذ عمره ١١ عاماً: تلفاز، أسطوانات، أشرطة تسجيل، ولعبة مونوبولي من طبعة برايل (*). وهو يتنقّل في غرفته بكل ثقة: "اني أعرف هذا المنزل غيبا." وهو يرغب في الاستماع باستمرار الى صوت ما، الى صوت صاخب، فتقول له أمه بهدوء: "اخفِض صوت هذا التلفاز، فلست أصمّ!"

وكانت عائلة ستانلي عقدت العزم منذ البداية على ارسال ابنها الكفيف الى مدرسة رسمية. وتلقى كالفين دروسه في مدرسة بلتيمور الريفية الابتدائية من



كالفين وأمه يلهوان في المطبخ.

الروضة الى السنة الابتدائية الخامسة. وانتقل في خريف ١٩٨٥ لمتابعة السنة السادسة في مدرسة فولستاف المتوسطة. وهو أحد الطلاّب العميان الاثني عشر الذين يحضرون كل الحصص مع الطلاب المبصرين.

أفضل صديق — انها الساعة الثانية في صف فيفيان جاكسون في المدرسة الريفية. وما لا يستطيع كالفين رؤيته هو الفتاة الصغيرة الحلوة التي تجلس في الجهة المقابلة وقد وضعت في ضفائر

(*) كتابة خاصة بالعميان تعتمد أحرفاً مؤلفة من نقاط نافرة.

شعرها مشابك حمراء وصفراء وزرقاء في شكل طائرات، والنبتات الصغيرة الخضراء المصفوفة على عتبة النافذة المشمسة، والسيدة جاكسون بثوبها الزهري.

لكن كالفين يقدر أن يتحسّس النسيم الربيعي الدافىء الذي ينفخ عبر النافذة وأن يسمع صوت السيدة جاكسون الموسيقي العذب. والافضل من كل ذلك أنه يحسن القراءة والتهجئة وحلّ المسائل الحسابية. وهو يتابع الدروس في كتبه المطبوعة بطريقة برايل. وسألت السيدة جاكسون: "ما الكلمة التالية يا كالفين؟" فأجاب: "أحد عشر." فأعقبت مسرعة: "تهجأها الآن من دون أن تنظر الى الكتاب." وابتعدت أنامل كالفين عن الكلمة المحظور لمسها. وتهجأها بسهولة.

وكم بدا تكيّفه مع صفّه أمراً سهلا على رغم كونه كفيفاً. لكن عدد الاساتذة والاختصاصيين ومجموعة التجهيزات التي شاركت في ايصال كالفين الى هذا المستوى كان مذهلا. فهناك دوروثي لويد الاختصاصية التي تلقّنه طريقة استعمال الاوبتاكون، وهو جهاز يخوّل الكفيف قراءة صفحة مطبوعة بتحويل الاحرف صوراً نافرة يمكنه لمسها. وهناك تشارلي داير التي تعلّم كالفين طريقة استعمال عصا للصعود الى الحافلة والنزول منها، أي القدرة على التحرك بحرية ومن دون خشية في العالم الاوسع.

وتتذكّر والدته: "حين ذهب كالفين الى المدرسة للمرة الاولى عاكسه بعض الاولاد في شأن عينيه: هما كبيرتان ولا ترى بهما. فقلت له: "انهم أولاد ولا يدرون أنهم يتصرّفون بفظاظة. وليست هي المرة الاخيرة يتصرّف بعضهم بفظاظة معك، لكن الامر عائد اليك ومن واجبك الذهاب الى المدرسة ومواجهة الموقف."

ويقول اساتذة كالفين انه محبوب جداً، وان الامر الوحيد الذي يميّزه عن غيره في الملعب هو أن أحداً ما مستعدٌّ دائماً لمد يد العون اليه.

برايان باتلر (٩ أعوام) أحد أصدقائه. وهو ولد وقور المنظر وصاحب عينين متيقظتين جدّيتين خلف نظّارتيه. وحين يعرفك كالفين اليه يقول: "انه أفضل



مع معلمته تشارلي داير.

صديق لي." وهما ليسا في صف واحد، ولكن سرعان ما أصبحا صديقين لدى عودتهما الى البيت في الحافلة نفسها.

ويشرح برايان سبب محبته كالفين: "انه مرح ويجعلني أضحك." وعلى حدّ قوله ان صديقه لا يختلف عن أي صديق آخر الا في امر واحد: "اذا أوشك كالفين على الاصطدام فاني أحذّره بكلمة: انتبه."

عالم خاص - يعمل كالفين في المدرسة مع لويز سيفيتس التي تدرّس البرايل، وهي معلمته المفضّلة. وهو يرتاح معها كثيراً لانها لطيفة وصبورة وذكيّة وكفيفة مثله. وكلاهما واقفان أمام النافذة والضوء يتسرّب من خلفهما. يستمع كالفين الى ساعة ناطقة تخبره "انها الحادية عشرة والدقيقة الثانية والخمسون." وتحمل الآنسة سيفيتس قاموس برايل ضخماً بين يديها وأصابعها تقلب الصفحات وهي تقرأ فيه بهدوء.

وللحظات بقيا في مكانهما وكأنهما متجمّدان في لوحة وكلٌ منهما غارقٌ في عالمٍ خاص، عالمٍ من الصوتِ واللمسِ فحسب.

قبل سنواتٍ مرّت لحظة أخرى حين عرف والدا كالفين أن الجراحات أخفقت وأن ابنهما قد لا يرى النور الى الابد. فقال الأب وهو يحاول مؤاساة زوجته: "سنقوم بواجبنا على أكمل وجه، وسيكون كالفين بألف خير."

هو بخير الآن. وهما أيضاً.

أليس ستاينبك ■

حصان في المبوّب

نفق جوادنا المحبوب فنشرنا اعلاناً في قسم الاعلانات المبوبة في صحيفة محلية جاء فيه: "سرج جواد ولجام بـ٤٥ دولاراً."

لكن الصحيفة أدخلت فاصلة خطأً في النص فظهر الاعلان هكذا: "سرج، جواد ولجام بـ٤٥ دولاراً." فانهالت علينا العروض لان الثمن بدا زهيداً. ولم تكن ابنتنا سوسو تعرف شيئاً عن هذا الخطأ. وحين اتصل بها أحدهم هاتفياً دار بينهما الحوار الآتي:

الزبون: "اني اتصل بكم بخصوص الاعلان الذي نشرتموه في الصحيفة. انه ثمن زهيد جداً لجواد وسرج ولجام. ما خطب الجواد؟"

سوسو: "الجواد؟ آه... مات."

ف.ن.

من التعليمات في وصفة طعام: "الوجبة تكفي أربعة أشخاص جائعين أو ستة مهذبين."

أ.ف.

طوال سنوات دأبت على قراءة البخت في أوقات فراغي. كنت أجلس في خيمة أيام السوق المزدحمة لأساهم في الأعمال الخيرية. وتتدلى من خيمتي قطعة كبيرة من القماش تعلن أن "المنجم المصري العظيم شبكة" جالس في الداخل لكي "يكشف الستار الذي يخفي مستقبلكم."

كنت أرتدي جلباباً وأعتمر عمامة أثبتها بزهرة شوكية، وأتلفع بوشاح طرز بنقوش يرسمها السكان الأصليون على تروسهم، وأطلي ذراعي ووجهي بلون قاتم، وأجلس متربعاً على وسادة من حرير قرب مجمرة يتصاعد منها دخان معطّر يتسرب الى الجمهور المنتظر.

ويصيح المنادي: "شبكة العظيم يبتهل الآن." عندئذ أرفع عقيرتي في ترنيمة غير مفهومة.

بعد ذلك نبدأ العمل الجدي.

يصيح المنادي: "تقدموا واحداً واحداً من فضلكم. ادفعوا ربع جنيه لقراءة حظكم وكشف ماضيكم ومستقبلكم. هل أنت مستعد يا شبكة؟"

وأجيب بلكنة مصرية: "مستعد."

يدخل أحد الزبائن، ويكون في الغالب امرأة ارتسمت علامات الجد على قسماتها. وكان زبائني الاول من الهواة المبتدئين في علم الفراسة أو قراءة الكف أو التنجيم وما الى ذلك من العلوم. وسرعان ما يلاحظون اختلاف أسلوبي عن الاسلوب التقليدي المألوف. انهم نقّاد ويتوقعون أن يحصلوا على قراءة بخت من الدرجة الاولى.

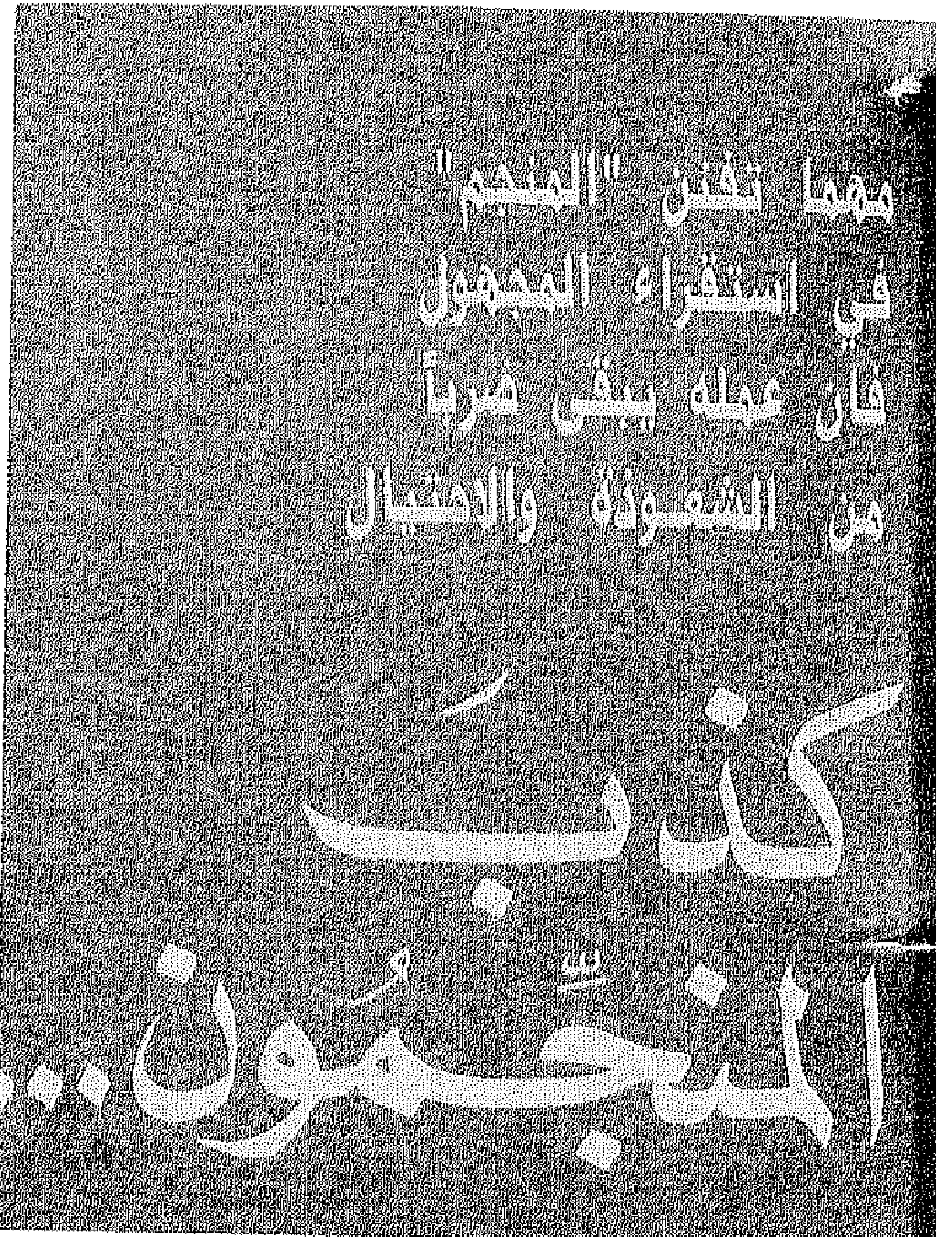
مثل هؤلاء الناس كانوا مزعجين، خصوصاً حين أعكف على قراءة بختهم بورق الشدة. انهم كمبتدئين يعرفون معاني كل الاوراق، ولذا يجادلونني في ما أعطيهم من تفسيرات. كنت مرة أنشر الاوراق أمام ربة بيت متجهمة الوجه علقت في عنقها قلادة عليها صورة وعل مصاصر. وأربكتني عينا الوعل المصنوعتان من حجر كريم أحمر وهما



ترمقانني من فوق صدرها، حتى ذهلت عن الاحتفاظ بآس البستوني في كفي، وهو ورقة الموت. فجاء ترتيبه يشير الى موت المرأة في وقت قريب.

وشحب وجه المرأة هلعاً ووقفت لتمضي. ووقفت أنا وصافحتها وكأني أقدم اليها التعازي. ثم أطرقت مفكراً

وحائراً في ما يجدر بي أن أفعل. فهتفت بصوت عال: "اني ارتكبت خطأ مميتاً في خلط الاوراق، فأسقطت الشاب الديناري من المجموعة." ثم انحنيت والتقطت ورقة الشاب عن الارض بجواري. وجلست المرأة ثانية وبدت على تقاطيع وجهها سيماء الارتياح. وأعدت خلط الاوراق. هذه



المرة لم يظهر آس البستوني في الكشف، لأني كنت قاعداً عليه.

★ ★ ★

مصري قديم – ان المنجمين لا يعرفون في الحقيقة ما سيحدث لك في المستقبل ولا ما حدث لك في الماضي. لكنهم يحدسون، وهنا يكمن الحذق.

كنت أراقب الناس بعناية عندما يدخلون خيمتي، فألاحظ ثيابهم وحركاتهم وملاحظاتهم الاولى وجلدة أكفهم (لأكشف ما اذا كانوا يمتهنون أعمالا يدوية). الوجوه تكشف الأسرار أكثر من أي شيء آخر. وثمة وجوه كالحة ووجوه حانقة ووجوه تعكس المزاج المرح. وجه الام يتسم بعلائم لا تظهر في وجه امرأة لم تنجب. كما ان العيون توحي بالرضا أو بالرفض وتعبر عن الخوف أو الكتمان.

وفي ما يخصني لم تكن طريقة قراءة البخت مهمة. كان في وسعي أن أقرأ باطن القدم كما أقرأ باطن الكف. لكن قراءة الكف كانت الأفضل عموماً. وكان من المفيد أن أقول لكل شخص من ثلاثة ان كفه فريدة في نوعها. ومن شأن ذلك أن يلين طبعه فيروي لي الكثير عن نفسه. وبعد ذلك أعيد له ما رواه بعبارات مختلفة.

ونادراً ما كانت الاسئلة التي يطرحها الزبائن محرجة، على رغم أني كنت أواجه لحظات عسيرة أفكر خلالها في استنباط أجوبة عن بعضها. وفي أثناء الازمة الاقتصادية الكبرى في الثلاثينات كنت أقرأ البخت في قاعة البلدية في ملبورن بأوستراليا خلال احتفال لجمع التبرعات لمساعدة العاطلين عن العمل. فروت لي امرأة أن صديقتها لا تجيد الانكليزية وسألتني هل المنجم المصري مستعد ليكلمها بالعربية.

واضطر شبكة العظيم الى التفكير بسرعة فائقة، ثم أوضحت للسائلة أني أتكلم المصرية القديمة التي اضمحلت اليوم وأخشى ألا تفهم صديقتها الكلمات

التي أتفوه بها لانها، كما افترض، تتكلم العربية المتداولة هذه الايام. عندئذ تطوعت السيدة بأن تتولى هي الترجمة فيما أتكلم الانكليزية، وأراحني هذا الاقتراح.

وأدخلت الصديقة. وعلمت أنها كانت تطوف العالم بحثاً عن أخ لها تسلم قبل سنوات عملا على متن سفينة. وبعد زيارة مـرفأ صيني عـرّجت السفينـة على أوستراليا قبل أن تعود الى فرنسا. غير أن أخاها لم يرجع مع السفينة. وكان السؤال: أين هو الان؟

أغمضت عيني ومسحت جبيني بأنامل مرتجفة وفكرت في أن قطار العودة الى بيتي سيفوتني اذا لم أكشف مكان الاخ المفقود.

وسألتها في لحظة اشراق فكري: "هل بحثت في الصين؟"

قالت: "لا."

قلت: "اذاً حاولي أن تبحثي هناك."

كيف عرف؟ يتعلم جميع المنجمين "قانون الحدث العادي" في حياة الناس. فكل انسان يقع في الغرام ويتشاجر مع الآخرين ويصالحهم ويهدر أموالا ويلتقي أناساً سمر الوجوه جذابين. وكل فتى يواجه خلافات مع حبيبته ويتوق الى الاسفار. واذا رويت لهم هذه الامور فانك تصيب بحسب "قانون الحدث العادي".

ويعتمـد المنجمون أيضـاً أسلوب "الايحاء" فيصرحون بفكرة ثم يتوسعون في شرحها أو يناقضونها وفقاً لما ترسمه من ملامح على وجه الزبون. فاذا شئت مثلا أن أعرف هل الفتاة الجالسة أمامي ترافق شاباً أشقر أم أسمر أقول وأنا أحدق الى وجهها: "انك ترافقين شاباً أسمر." واذا ظهرت على قسماتها ملامح الرفض سارعت الى القول: "لا، بل شاب أشقر. احدى صديقاتك ترافق شاباً أسمر." واذا انبسطت أساريرها أسهبت في التحدث من منطلق الشاب الاشقر.

قال لي منجم قديم محنك مرة انه فتح ثقباً في جانب خيمته يرى من خلاله ما اذا كان للزبون الداخل عليه رفيق ينتظره في الخارج. وبعض حيله الاخرى في المهنة: قل للشبان انهم ذوو جاذبية للفتيات. وقل للفتيات القرويات انهن سيجدن عملا في المدينة، وللمرأة الكهلة ان ابنها نابغة، وللنساء اللاتي تبدو عليهن علائم المشاكسة انهن سيتشاجرن مع أزواجهن.

وقفت قرب خيمة هذا المنجم مرة فسمعت امرأة كان قرأ لها بختها تقول لرفيقتها: "انه حقاً منجم بارع. لقد أخبرني أني تشاجرت مع زوجي في الاسبوع الماضي. كيف أمكنه أن يعرف ذلك؟"

ونظرت الى وجهها الذي ارتسمت عليه علائم المشاكسة جلية. وفهمت.

ألن مارشال ■



الحب لا ينتظر كالحجر، بل ينبغي صنعه كما يصنع الخبز، واعادة صنعه دائماً.

أورسولا لوغان



أخبار العلم

قوالب لبناء الأهرام

هناك نظرية جديدة تذهب الى أن الحجار التي بُنيت بها أهرام مصر هي مداميك صُنعت يدوياً ورُكّبت في أمكنتها. وإذا صحّ هذا الأمر، فهو يعني أن بناء الأهرام اقتضى عدداً من العمّال يقلّ عما افترض سابقاً. والنظرية السائدة تقول ان عشرات ألوف العمّال بذلوا جهوداً جبّارة في قطع حجار الجير من مقلع كلسي ورفعها الى مواضعها بالسلالم، وان وزن الحجر الواحد راوح بين ثلاثة وستة أطنان.

ويقول العالم الكيميائي جوزف دافيدوفيتش من جامعة باري في فلوريدا ان حجار الأهرام صُنعت من ملاط الجير الممزوج بالمعادن وصُبّت في قوالب خشب. وهذا يفسّر احتواءها على مواد معدنية وفقاعات هوائية في حين انّ الحجر الكلسي لا يحوي المعادن ولا الفقاعات.

والنظرية الجديدة تحلّ أيضاً احدى المشكلات العويصة المتعلقة بالأهرام. فمن الثابت أنها بُنيت في حدود العام ٢٦٠٠ قبل الميلاد، في حين أن أدوات البرونز الصلبة التي يمكن أن تقطع حجر الجير لم تُبتكَر الا بعد نحو ٨٠٠ سنة من ذلك التاريخ. وهذه النظرية تعطي تفسيراً أكثر إقناعاً لانطباق الحجار بعضها على بعض بحيث لا يمكن إدخال ورقة رقيقة بين طبقة وأخرى منها.

مجلة "جيو"

غريزة الأمومة

وجد روبرت بريدجز خبير الأعصاب والغدد الصمّاء في جامعة هارفرد، أن رغبة الام في تغذية صغارها وحمايتهم مردّها الى طريقة عمل الهرمونات. وبإعطائه ذكور الجرذان واناثها التي لا صغار لها جرعات من الاسترادبول والبروجستيرون، وهما الهرمونان الانثويان اللذان ترتفع نسبتهما أثناء الحمل، ولّد لديها حسّاً قوياً بالامومة. ويفترض بريدجز أن ردّ فعل الانثى البشرية تجاه وليدها يقوم على فعل هذين الهرمونين أيضاً.

ويبدو أن المواد الطبيعية المخدّرة داخل الدماغ تنقص كثيراً بعد الولادة، الأمر الذي يقوّي غريزة الامومة. وللتأكد من هذه النظرية، حقن الباحثون جرذاناً حبلى بالمورفين المخدّر، فضعفت غريزة الامومة لديها. ثم قويت من جديد بعد وقف جرعات المخدّر.

صحيفة "أومني"

مأساة واقعية

"يا إلهي لا تتركني أموت غرقاً في جوف المنجم"

انقصفت دعامة خشبية ودوّت أصوات راعدة تحت سطح الأرض ودُفن عامل المنجم حياً

علق كورت ساندرز على عمق ثلاثة كيلومترات داخل منجم الفحم الحجري في الهضبة العظيمة غرب ولاية كولورادو، وقد أطبق عليه سقف الحفارة الذي انسحق بفعل الانهيار. وغُلّف جسمه البدين بقطع الصلب المحطمة والصخور المنهارة. وأحس المياه الباردة ترتفع

Illustration: Earl Norem

رويداً لتغمر فخذيه. ومن أعماقه رفع صلاة الى الله تعالى كيما يرشد إليه فرق الانقاذ سريعاً.

لكن أصوات الجرافات العاملة على تراكمات الصخور التي دفن تحتها كانت خافتة جداً بحيث ضعفت آماله داخل "نعشه" الفولاذي.

قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة أي في الثالثة من عصر الثلثاء ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٨٥ كان ساندرز باشر عمله مع فريقه المؤلف من ثمانية رجال في أحد مناجم شركة "باودرهورن" للفحم. وولجوا قاعة من أعمدة الفحم شبيهة بقفير النحل تقع في نهاية طريق تحت الأرض يبلغ عرضها ستة أمتار وارتفاعها مترين، وفوقهم طبقات من الحجر الرملي والصلصالي تعلو مئة وسبعين متراً مثبتة في مكانها بدعائم خشبية وصفائح فولاذية وأعمدة فحم أبقي عليها بعد عمليات تنجيم سابقة.

وفي انسحاب مدروس كان العمال يقطعون أجزاء من كل عمود سامحين للسقف المتداعي بالانهيار عقب خروجهم. وعلى رغم خطورة هذا العمل كان ساندرز (٣٢ عاماً) يستمتع بالتحدي. وهو عامل تنجيم توارثت عائلته الصنعة منذ أربعة أجيال. وسرعان ما شغل أسطوانة الصلب الدوّارة التي أخذت أسنانها المعدنية تنهش السطح الفحمي. وكانت أذرع آلية تجمع قطع الفحم المتساقطة وتضعها على سلاسل معدنية ناقلة توصلها الى عربات متوشعة (*) تعمل في الخلف.

وفي الساعة الرابعة سمع ساندرز صوت تصدّع. فقد انفلقت دعامة خشبية في المقدم وراح هدير متلاحق يمزّق الجبل فوقه. ودوّت كلمة "انهيارا" في رأسه وسمع من الخلف صرخة: "كورتا!" فأدرك أن رجاله يفرون طالبين السلامة. ووجد حمايته في الظلّة الفولاذية من حفارته. ثم أوقف السلاسل المعدنية وخفض الجزء الآكل وحرّك الحفارة في الاتجاه الخلفي.

وانفجرت قائمة غليظة الى جانبه فتناثرت شظايا وتحطمت حوله جلاميد ضخمة. ثم أفلتت قطعة حديد من الحفارة فمزقت قبعته الواقية وأصابته بجرح في حاجبه. وانهار سقف غرفة القيادة في الحفارة فشعر بألم مبرّح يضغط مؤخر رأسه وكتفيه. وفقد وعيه.

انتظار الفرج – استفاق ساندرز تدريجاً على سكون موحش وظلمة مطبقة. وعلم من طعم الدم في فمه أنه ما زال حياً. وكانت ذراعه اليسرى مسمّرة الى جنب غرفة القيادة ورأسه مطأطأ بين ركبتيه. واستعان بذراعه اليمنى الطليقة لامساك البطارية الكهربائية في حزامه التي تغذي مصباح قبعته. وتلمّس

(*) عربات تتحرك جيئة وذهوباً.

شريطها متتبعاً إياه حتى وجد المصباح فنقره بإصبعه وأشعّ النور.

كان الجرح فوق عينه يؤلمه، فشق قطعة قماش من قميصه وعصب جبينه. وفكر في أنهم لا بد آتون اليه، فما عليه سوى الانتظار.

ثم سمع هسيس هواء في الصمامات أمامه التي تتحكّم بمياه تبريد الحفارة وتعزل عنها الغبار. فمن المؤكد أن زملاءه نزعوا طرف الخرطوم الطويل من بركة المياه ووصلوه بمضخة هواء. واستخدم ساندرز كماشة معلقة في حزامه لفتح وصلات الصمامات سامحاً للهواء بملء غرفة القيادة.

رن جرس الهاتف في البيت في غراند جانكشن فأجابت ديبي ساندرز. وكان على الخط مدير المنجم جيم ديامانتي وهو رجل صلب نقل اليها الأخبار المفجعة. وجاءت كلماته موجزة: "كورت سينجو باذن الله. لا تبارحي مكانك، بل امكثي مع الأولاد."

وأنبأت ديبي أولادها الستة باكية أن والدهم حوصر في انهيار المنجم. فأجهش الجميع ما عدا كريستي (١٢ عاماً) وهي أكبرهم سناً التي قالت لهم بثقة: "أبي فطن وهو لا يستسلم بسهولة. سوف يخرج بسلام."

وقدّر ديامانتي أن انهيارين متتاليين دفنا حفارة ساندرز تحت سبعة أمتار من الصخور المتراكمة. إلا أن أحداً لم يكن يعرف ما اذا كان كورت حياً أم ميتاً. وأمر ديامانتي بتجميد عمليات التنقيب في أنحاء المنجم الفسيح وطلب من مساعديه أن يجندوا أفضل عمالهم في فرق الانقاذ.

وكان زملاء ساندرز نجوا من الكارثة وباشروا تدعيم سقف الطريق المؤدية الى داخل المنجم. وأحضرت ثلاث حفارات راحت تزيل الكسارة المتراكمة. ولكن كلما أزيلت صخرة تدحرجت أخرى مكانها. وبدا الأمر كالحفر برفش في جبل هائل من الحصى.

وبفعل ارتجاج الحفارات تسرّبت سحب غبار من فتحة في باب غرفة القيادة، فاستخدم ساندرز قطعة من قميصه كقناع واق. وبعد ست ساعات في محنته تذكر أن طاقة بطاريته تُستنفد في ثماني ساعات. فأطفأ النور وجلس ينتظر في الظلام الدامس.

وكان ساندرز قبل مدة قصيرة بنى سداً عند بركة كبيرة ليمنع مياهها من التسرب داخل الجبل. ويبدو أن السد تصدع الآن إذ أن المياه راحت تقطر في غرفة القيادة، وما لبثت أن ارتفعت حتى غطت حَقْويه ثم خصره. وأخيراً بات على ساندرز أن يرفع رأسه ليبقي أنفه وفمه مكشوفين. ربّاه، لا تدعني اموت غرقاً!

ثم دخلت المياه أذنيه، فحلّ رباط حزامه بهلع شديد. وتملكته حال هستيرية بلغت ذروتها حين أطلق يده اليمنى عبر الباب ولكم الصخر. وبدّد الالم أفكاره

المجنونة فدمدم: "ما أنا فاعل؟ يجب أن أتشبّث بالأمل."

واستمرت المياه تغمر أذنيه نحواً من ساعة الى أن فتحت إحدى آلات الانقاذ مخرجاً. وهكذا جفّت غرفة القيادة تدريجاً. فشكر ساندرز الله تعالى وحمده.

"اني أراه!" – في الثالثة فجراً غدا ضجيج المحركات أقرب من قبل. وخيل الى ساندرز أنه التقط أصواتاً. فصرخ: "هاي." وتوقفت المحركات فأعاد الكرّة: "هاي!"

ودوّت صرخة قوية في أرجاء المنجم: "انه حي!" وما ان أعلم ديامانتي بالأمر حتى بشر ديبي هاتفياً: "كورت بخير. إنه يكلمنا."

ثم زحلت الصخور بكثرة فردمت كل متر تقدمته فرق الانقاذ بجهد مضن. وأضاء ساندرز مصباحه فاكتشف شقاً في أحد عروق الفحم فوقه. وحدث نفسه وهو يرتجف من البرد والخوف: "هذه فرصتي." وصلّى بصوت مسموع: "ربّي، أعن عائلتي في هذه الظروف الصعبة." وشعر بحرارة تسري في عروقه فاستسلم لنوم خفيف.

وفيما ديبي تنتظر في البيت شعرت أن كورت ينزلق بعيداً عنها. وتذكرت أنه كان يطلق عليها اسم تدليل لانه لم يجد كلمة في القاموس تعبر عن مدى حبه لها. ولم تستطع تذكر هذا الاسم مهما حاولت. فانهمرت الدموع على خدّيها.

طوال نهار الأربعاء تابع عمال الانقاذ الحفر في الصخر فيما عملت فرق الصيانة بسرعة فائقة على إصلاح أعطال الآلات. وفي مقابل كل مترين تقدماً كان عمال الانقاذ يخسرون متراً ونصف متر. وعصر ذلك اليوم علقت آلة الحفر في انهيار جديد مما استلزم أربع ساعات لتحريرها.

وأصدر ديامانتي أوامر جديدة: "حين نبلغ تلك المرحلة مجدداً سنتوقف عن الحفر وننصرف الى الانقاذ." واستنبط العمال قناة مزدوجة هي صهريج نفط سعته ١٩ ألف ليتر مقصوص من الوسط ومقطع الأطراف ومركّب فيه أنبوب فولاذي مطلي بالزنك. وجُهّز هذا الاختراع بالحبال والبكرات بحيث يمكن مد الأنبوب الداخلي بقطره الدائري البالغ متراً ونصف متر بعيداً عن الهيكل الخارجي.

وبحلول بعد الظهر كان الركام أزيل مجدداً حتى سقف عربة ساندرز. ووضعت القناة المزدوجة على أرض الكهف وبسطت فوقها ألواح خشبية وإطارات شاحنات لتمميد صدمات الصخور اذا تساقطت.

وباتت أجوبة ساندرز رداً على النداءات تكاد لا تسمع، ممّا أقلق ديامانتي. فأقوى الرجال قد يفقدون عقولهم نتيجة دفنهم طوال هذه المدة.

في هذه الأثناء كانت القناة المزدوجة دفعت الى نقطة تبعد مترين فقط عن غرفة القيادة. وأصبح لزاماً النبش

بالايدي ابتداء من هناك. واختير لهذه المهمة ثلاثة رجال من فرقة العمليات الخاصة في المنجم، وهم داريل مالون وغاري ديغارمو وجاك موستشيتي. وتناوب الثلاثة إزالة الركام، فكان أحدهم يحفر والآخران يدفعان الحجار المزالة الى عمال خلفهما والجميع يحتاطون لاحتمال انهيارات جديدة. وأثناء تقدمهم عملوا على تدعيم النفق. لكنهم اضطروا مراراً الى الاحتماء في القناة كلما شعروا بارتجاج في السقف أو في الجدران.

وكان ساندرز يجاهد للحفاظ على رباطة جأشه. فقد طغى على الظلمة وهج أزرق فيما العناكب الزرقاء تزحف فوق رأسه. وحاول إبعادها عنه فصفعها بعصبية. ثم أضاء مصباحه فلم ير سوى لباسه الملطخ بالدم.

وتمكن مالون من رؤية الوميض من خلال الشقوق فصرخ: "كورت! هل تبصر ضوئي؟" فاستدار ساندرز وأجابه بصوت أجش خفيت: "نعم، اني أراه! اني أراه!"

وأسرع مالون في الحفر بعناد حتى تمكن من شق فتحة صغيرة قرب باب غرفة القيادة أدخل من خلالها قارورة ماء الى ساندرز. وتلاقت أناملهما فبادره كورت: "اني أحبك يا رفيقي."

"لقد لمسناه!" وزفت البشرى من المنجم الى ديبي في المنزل: "اذا صمد النفق سنتمكن من اخراج كورت خلال ساعات."



كورت ساندرز وزوجته ديبي وأولادهما الستة.

فيلوبيدوس — تناوب مالون وديغارمو مد النفق وتوسيعه حتى باب غرفة القيادة. وعمل موستشيتي مع فريق خاص على نقل الحجار في عربات اليد عبر القناة المزدوجة الى المنطقة الآمنة من المنجم.

لكن سقف النفق بدأ يتحرك مما يعني أن دعاماته لن تصمد طويلا. وقص مالون جزءاً من باب غرفة القيادة المحطم مستعملا مشعل لحام. إلاّ أن الممر كان ضيقاً جداً فتعذر عليه التقدم أكثر.

وأمسك ساندرز بمشعل اللحام مؤكداً: "أظن في امكاني معالجة الأمر." وبعد عشر دقائق من العمل تردد صدى

اهتزازات عنيفة في المنطقة. وعلى رغم تساقط الغرين بغزارة تسمّر مالون في موضعه وتابع ساندرز عمله من دون توقف. وتمكن أخيراً من إخراج يديه من الجزء العلوي المقصوص من الباب وهو بعد ساخن. وصرخ بالحاح: "أخرجوني من هذا المكان!"

وهكذا سحب الى النفق حيث عانقه ديغارمو وأوقفه على رجليه بمعاونة مالون، ثم قاداه خارج المنجم. وكانت عقارب الساعة تشير الى الخامسة والنصف من فجر الثامن عشر من الشهر، مما يعني أن ساندرز أمضى سبعاً وثلاثين ساعة ونصف ساعة مدفوناً.

وتدافع عمال المنجم ليحيوا زميلهم فيما هو ينقل الى سيارة اسعاف. وحين وصلت السيارة الى المستشفى استقبلتها ديبي التي هرعت نحو زوجها وقبّلت وجهه المتّسخ وسألته: "كورت، ما اسم الدلال الذي كنت تدعوني به؟" فأجابها: "فيلوبيدوس."

بعد أربع ساعات من نجاح عملية الانقاذ انهار المنجم كلياً وامتلأت الغرفة التي علق فيها كورت بالركام. لكنه عاد الى عمله بعد ثلاثة أسابيع بصحة جيدة وبتصميم أقوى على جبه أخطار مهنته. وأمسك يدي اثنين من مساعديه في القسم الجديد من المنجم وصلّى: "يا رب احمنا اليوم واحفظنا من الأخطار الداهمة." ثم ركب حفارته وأدار محركها وراح ينهش سطح الفحم من جديد.

بيتر مايكلمور ■



صف مهزوز

خلال امتحان جامعي حصلت هزّة أرضية جعلت الطلاب يضطربون والاستاذ يخرج ليرى ما حدث. ولما عاد قال: "حسناً، لقد انقضى الامر بسلام. ولكن ماذا فعلتم في غيابي وهل غش أحدكم؟"

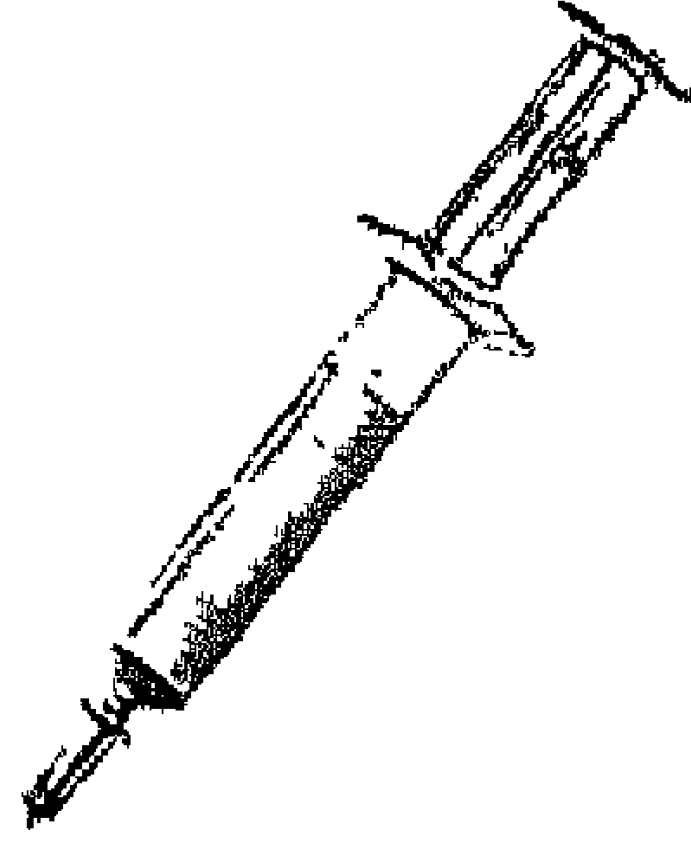
ل.د.

الأناقة الطويلة

أمضت امرأة وقتا طويلا وهي تتأنق استعداداً للذهاب مع زوجها الى السينما. وأخيراً قال لها: "أخبريني، أتريدين مشاهدة الفيلم أم التمثيل فيه؟"

ج.ب.


انتفاضة
عالميّة
ضدّ
تجّار
المخدّرات



لسنوات طويلة ضلل تجار المخدرات شباب العالم وأوصلوهم الى الهاوية. واليوم يشن الآباء والامهات انتفاضة غضبى على هؤلاء التجار ويدعون الجميع الى المشاركة

في ضواحي مدينة روما منطقة فقيرة تدعى بريمافالي أصابت فيها المخدرات رواجاً كبيراً. وقد دأب الأهالي منذ سنوات على حض الشرطة على اعتماد مزيد من القسوة في معاقبة مروجي المخدرات المحليين. وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ توجهت عشرون من الأمهات المغضَبات الى مركز الشرطة وقدّمن لائحة تتضمن أسماء تجار معروفين وعمدن إلى وضع ملصقات في المنطقة كلها يطلبن فيها التأييد ويدعين إلى اجتماعات عامة. ولم يلبث رجال الشرطة أن قبضوا على مروجي المخدرات في بريمافالي وباتت الشوارع خالية من الهيروييين. وفي سبيل دعم هذه الجهود جيء بمنطاد ذي محرك أخذ يحلّق فوق روما وقد تدلّت منه رسالة مضاءة كتب فيها: "أيها اليافعون، ليكن خياركم الحياة لا المخدرات." وباتت إيطاليا أول دولة تعتمد على الآباء والأمهات لمكافحة المخدرات.

وفي جمهورية إيرلندا لم تنشأ مشكلة المخدرات إلا قبل خمس سنوات. وتعاني البلاد الآن أزمة انتشار الهيروييين. ومن

Illustration: Howard Friedman

بين مدمني هذا المخدر أولاد في الثانية عشرة والثالثة عشرة، وهذا أمر يسعّر الغضب في نفوس أهاليهم. وفي مدينة دبلن ألّف فريق "الأهالي القلقين"، ويذرع أعضاؤه الشوارع ليلاً كي يبعدوا تجار المخدرات ويتأكدوا من أن الاولاد يلازمون بيوتهم. وإلى ذلك فهم يعقدون اجتماعات عامة يذيعون فيها أسماء مروجي المخدرات المحليين ويعمدون الى التظاهر أحياناً أمام بيوت تجار المخدرات المعروفين. وفي إحدى المناطق طردوا مرة أحد هؤلاء التجار من بيته ورموا متاعه في الطريق وطلبوا منه مغادرة البلدة ففعل.

وفي أوروبا وبقية أنحاء العالم نلاحظ أن الغضب أخذ يستبد بالآباء والأمهات وهم يرون أولادهم في انحطاط مستمر فراحوا ينضمون إلى القوى التي تكافح مروجي المخدرات. ويبدو أن المواطنين العاديين هم ألدّ أعداء هؤلاء المروجين. والملحوظ أن بعض الأهالي يقاومون تجارة المخدرات على نحو مباشر كما في روما ودبلن وحتى في باكستان. وفي العام ١٩٨٣ استجاب الرئيس الباكستاني ضياء الحق إلى طلب الأهالي وجعل عقوبة تجارة المخدرات أكثر صرامة من ذي قبل حتى بلغت السجن المؤبد أحياناً.

والواقع أن الفرق القديمة العهد التي أقامها الأهالي لمكافحة المخدرات أخذت تكتسب زخماً جديداً بفعل هذا التحرك العالمي، ومن بينها "المنظمة الاتحادية لمجموعات أهالي الأحداث المدمنين والمعرضين لخطر المخدرات" في ألمانيا و"جمعية الأهل لمحاربة المخدرات" في أسوج (السويد) وهي أول جمعية للأهل في العالم. وقد أنشأتها مجموعة من الآباء والأمهات الذين أدمن أولادهم المخدرات. ويكمن عمل هذه الجمعية في مساعدة الشباب المدمنين في جمع الأهل والأولاد بفتيان وفتيات أقلعوا عن المخدرات. وفي هذا يقول بيتر بول هاينمان، وهو جراح أسوجي له نشاطات في الجمعية: "إن هؤلاء الأولاد يعتمدون نهجاً رائعاً في إعادة الثقة إلى الأهل الملتاعين وفي استمالة أشباههم من الأولاد."

والمعلوم أن السلطات العليا بدأت تولي تحرك الآباء والأمهات في العالم اهتماماً عظيماً. وفي شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٥ أقيم في أطلنطا بولاية جورجيا مؤتمر دولي حضرته الأمريكية الاولى نانسي ريغان ودعيت إليه نساء ينتمين إلى أكثر من عشرين بلداً.

لقد غزا وباء المخدرات في العشر السنين الأخيرة جميع القارات وبدأ يحدث خللاً في القانون والاستقرار والصحة في عدد كبير من البلدان. وإذا نحن أنعمنا النظر في ما يجري في العالم، وجدنا أن هناك نزوعاً واضحاً إلى التخفيف من وطأة هذا الوباء.

أوروبا الغربية

تعتبر هولندا الآن عاصمة المخدرات في أوروبا. وعلى رغم أن المخدرات ليست منتشرة على نطاق واسع بين الهولنديين أنفسهم فان الشباب يفدون إلى هولندا من أرجاء العالم لشرائها بسبب لين القوانين الهولندية المتعلقة بها.

ولئن يكن القانون الهولندي لا يسمح باستعمال المخدرات وبيعها فهو يعتبر استعمال الماريوانا والحشيش (*) جنحة طفيفة. وفي مراكز الشباب التي تتمتع بالدعم الحكومي تجار يحق لهم بيع "كميات قليلة" من الماريوانا والحشيش للاستعمال الشخصي. وفي ما يسمى "المقاهي"، التي يكثر وجودها في مدينة أمستردام والتي توجد أيضاً في مناطق أخرى من البلاد، يمكننا مشاهدة أوراق الماريوانا ملونة بالأخضر على النوافذ الأمامية. وفي بعض هذه المقاهي لوائح عليها أسعار أنواع مختلفة من الحشيش. وفي أيام الاربعاء يعمد مقهى "بولدوغ" الذي يملك فروعاً في أمستردام ولاهاي إلى بيع الحشيش بنصف سعره الأصلي. ومن الشائع أن نقرأ في الملصقات والصحف إعلانات عن هذه الأماكن، بل إن في مجلة شركة "ك.ل.م." للطيران الداخلي إعلانات مماثلة.

وإذا كانت هذه المقاهي لا تقدم في الظاهر إلا الماريوانا والحشيش فان في عدد كبير منها ملصقات، بعضها مكتوب بالانكليزية، تتضمن أرقاماً هاتفية لأماكن بيع الهيروين. وورد في بعض هذه الملصقات ما يأتي: أيها المدمنون الأجانب، عندما تستعملون المخدر إياكم أن تحقنوه بسرعة أو أن تتجاوزوا الكمية المحددة."

أما اسبانيا فلم تكن تعاني قبل السنين العشر الأخيرة مشكلات أساسية في مجال المخدرات. غير أن الحال بدأت تتغير على نحو مقلق منذ منتصف السبعينات وأخذ عدد مدمني الهيروين يرتفع حتى تجاوز الخمسين ألفاً. وغدت اسبانيا البلد المفضل لمرور الهيروين الآتي الى أوروبا من الشرق الأوسط وباكستان وتايلاند وبلدان آسيوية أخرى، كما غدت واحداً من أبرز أماكن دخول الكوكايين الآتي من أمريكا اللاتينية.

ومن الواضح أن وباء الهيروين متفش في مدن إيطاليا الرئيسية على نحو مروّع. وقد يكون من أسباب ذلك النهج الذي اعتمده التجار في السبعينات. فقد أحجم هؤلاء عن عرض كميات وافية من الماريوانا والحشيش وأغرقوا السوق بنوع من الهيروين رخيص الثمن وكبير الفاعلية. وبات عدد كبير من الشباب المدمنين الحشيش يتعاطون هذا النوع من الهيروين. ومما جعل عمل التجار أكثر سهولة في هذا المقام أن القانون الايطالي لا يعاقب على استعمال المخدرات ويقصر عقابه على شرائها. ويرى جيوفاني ريغوني أحد مديري الجمعية الايطالية لمكافحة انتشار المخدرات أن حال الشباب الايطالي في ما يتعلق بالمخدرات "كارثة كبرى."

وقد جاء في دراسة أعدتها إحدى مؤسسات الابحاث الاجتماعية في روما أن عدد مدمني المخدرات في إيطاليا يراوح بين ١٨٠ ألفاً و٢٤٠ ألفاً. غير أن في هذا البلد وعياً شاملاً للمشكلة، والشعب الايطالي يعمل على إيجاد حل لها بسبل كثيرة. فالصحافة ومحطات الاذاعة والتلفزيون تبذل جهوداً طيبة في الحملة

(*) الحشيش هو القنّب الهندي.

القائمة لمكافحة المخدرات. وفي العام ١٩٨٤ قدمت الحكومة الايطالية مبلغ أربعين مليوناً وتسعمئة ألف دولار إلى صندوق مكافحة المخدرات في فيينا التابع للأمم المتحدة، وهذه أكبر مساهمة مفردة حتى الآن. ويذهب جوزيبي دي غنارو المدير التنفيذي لهذا الصندوق إلى أن "علينا تعبئة ضمائر جميع الناس على جميع المستويات ليكون ذلك عوناً لنا في التغلب على هذه المشكلة الضخمة."

كذلك أظهرت إيطاليا فاعلية في معالجة مدمني المخدرات. ففي العام ١٩٧٩ لم تكن نسبة المدمنين الذين أفلح علاجهم تتجاوز الخمسة في المئة. أما اليوم فان هذه النسبة تقارب الثلاثين في المئة. وفي إيطاليا الآن نحو سبعمئة مركز لمعالجة أولئك المدمنين. وتسعى الجمعية الايطالية لمحاربة انتشار المخدرات إلى تغيير القانون المتعلق بالمدمنين بحيث يخضع هؤلاء للعلاج بدلاً من السجن.

وفي ١٩٨٤ توفي ٣٤٢ شخصاً في ألمانيا الغربية بسبب المخدرات وصادرت الشرطة ٢٥٠ كيلوغراماً من الهيروبيين، ذلك المخدر الذي أولاه رجال الشرطة اهتمامهم منذ أواخر السبعينات. على أن الحشيش والماريوانا وألوان المخدرات الأخرى متوافرة أيضاً في هذا البلد. وجاء في تقرير أعدّته وزارة الصحة أن استعمال الهيروبيين آخذ في الاضمحلال لكن مراقبة تجارة أنواع المخدرات الأخرى لا تستأثر بأي انتباه. وفي العام ١٩٨٤ ورد في تصريح للسيد اريش ربشر نائب مدير قسم المخدرات في مركز الشرطة الجنائية في ألمانيا الغربية: "لقد نشأت مشكلة تستحق اهتماماً عظيماً هي الازدياد الكبير في عدد مدمني الكوكايين." وعلى رغم أن عدد الذين قضوا باستعمال المخدرات بلغ ٣٤٢ شخصاً عام ١٩٨٤ فان ألمانيا الغربية لم تيأس من التغلب على تلك المشكلة. ويرجع الفضل في ذلك الى المركز الالماني لمكافحة الادمان الذي يتعاون لتحقيق غايته مع مؤسسات الرعاية الاجتماعية والضمان الصحي والمنظمات الخاصة وسواها كما يتعاون مع نحو ستين مركزاً لمعالجة المدمنين أصابت نجاحاً كبيراً في هذا المجال.

أما النروج "فتنكر" وجود مشكلة المخدرات فيها على حد تعبير السيد جان كروغ رئيس اتحاد أنصار تخليص المجتمع من المخدرات. فهناك عدد كبير من النروجيين يرفض إدراك حجم المشكلة. ومن الناحية القانونية يعتبر الافراط في استعمال المخدرات نتيجة للمشكلات الاجتماعية أكثر مما يعتبر شراً قائماً بذاته.

وتشير الدراسات التي أجريت في مدينة أوسلو إلى أن نسبة الذين يتعاطون الحشيش ممن تراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والعشرين كانت ٥،٣ في المئة فقط عام ١٩٦٨ فأصبحت ٢١،٨ في المئة عام ١٩٨٤. وتذكر الشرطة أن أنواع المخدرات الأخرى آخذة أيضاً في الانتشار.

والواقع ان عدد أعضاء اتحاد أنصار تخليص المجتمع من المخدرات يبلغ نحو ثمانمئة من الآباء والأمهات والاختصاصيين والمعلمين والطلاب

والرياضيين. وقد تأسس هذا الاتحاد عام ١٩٨٠ لمحاربة موقف الحكومة الرسمي الذي ينفي وجود مشكلة المخدرات. ويقول كروغ في هذا المقام: "إن الثمن الذي ندفعه بسبب سياسة الحكومة هو أن معظم الناس هم مناهضون لاستعمال المخدرات لكنهم لا يعلمون حقيقة المخدرات والضرر الذي يمكن أن تلحقه بالمرء. وإذا اتفق أن تضافر الأهل ورجال الشرطة والعاملون الاجتماعيون وأعضاء الحكومة واتخذوا موقفاً واضحاً مناهضاً لاستعمال المخدرات فان النروج تغدو خالية منها خلال خمس سنوات."

وفي عدد من البلدان الأخرى تُعتبر الوسيلة التي اعتمدتها بريطانيا في مكافحة ادمان الهيروويين مثالاً يحتذى. فالقانون البريطاني كان يسمح للأطباء باعطاء مدمني الهيروويين وصفات تتيح لهم الحصول على كميات معينة من هذا المخدر مما جعل بيعه في السوق السوداء قليلاً. غير أن بعض الأطباء تجاوزوا في وصفاتهم الحد المطلوب فنشأت حاجة إلى مزيد من الهيروويين وعمد المدمنون إلى شرائه على نحو مخالف للقانون. وقد ارتفع عدد المدمنين المعروفين من ٥٧ إلى ٥٢١ بين ١٩٥٤ و١٩٦٥. وعندما ألغت بريطانيا هذه الطريقة عام ١٩٦٨ بلغ عددهم ٢٢٤٠. وفي بريطانيا اليوم نحو أربعين ألف مدمن للهيروويين. ويرى بعض الخبراء أن عددهم يزيد كثيراً على هذا الرقم. والشائع أن نسبة البريطانيين الذين استعملوا الحشيش قديماً، أو هم لا يزالون يستعملونه، تبلغ سبعة في المئة.

وفي فرنسا شنّ الرئيس فرنسوا ميتران "حرباً على المخدرات" عام ١٩٨٣. ولم يأبه أحد لذلك في بداية الأمر، إلا أن ميتران كان جاداً في موقفه وعمد إلى إنشاء الهيئة الحكومية لمكافحة المخدرات التي تولت تنسيق جهود الحكومة في هذا المضمار وتشجيع الجمعيات الخاصة التي تتولى محاربة الادمان.

والمشهور أن فرنسا هي أقل البلدان الاوروبية تسامحاً في شؤون المخدرات. ومع ذلك جاء في تقرير أصدرته الحكومة الفرنسية عام ١٩٨٢ أن عدد مدمني الهيروويين يقدر بمئة ألف. وورد في تقرير آخر في العام التالي أن مجموع الذين يستعملون الحشيش والماريوانا من المدمنين وغير المدمنين يفوق المليون. والحق أن فرنسا مهددة اليوم بأن تغدو ضحية الكوكايين على نحو خاص. وقد وجدت الهيئة الحكومية لمكافحة المخدرات أن انتشار المخدرات بين الصغار آخذ في الازدياد وأن بعض المدمنين من هؤلاء لا تتجاوز أعمارهم الحادية عشرة. والسبل التي اعتمدتها هذه الهيئة تشمل معاقبة المدمنين ومعالجتهم ومنعهم من حيازة المخدرات.

آسيا والمحيط الهادىء

إن القوانين الفرنسية المتعلقة بالمخدرات تبدو قاسية بالنسبة إلى كثير من الاوروبيين، غير أنها لينة في الواقع بالقياس على القوانين المعتمدة في بعض الدول الاسيوّية. ففي الفليبين وتايلاند وماليزيا وسنغافورة بات واضحاً أن تجار المخدرات قد يتعرضون لعقوبة

الاعدام. وفي بعض الاحيان تقتصر العقوبة على الجلد بالسياط أو السجن فترة قصيرة. أما في سري لانكا فقد سُنّ قانون عام ١٩٨٤ يقضي بالاعدام أو بالسجن المؤبد على حائزي المخدرات والمتاجرين بها وعلى كل من يصدّر أو يستورد مقدار غرامين أو أكثر من الهيروبين أو الكوكايين.

والسؤال المطروح: هل أفلحت هذه القوانين في حل مشكلة المخدرات؟ الواقع أنه يمكننا الاجابة عن هذا السؤال بالايجاب إذا نحن اتخذنا التجربة التي عرفتها سنغافورة منطلقاً لنا.

في أول شهر أبريل (نيسان) ١٩٧٧ أعلنت حكومة سنغافورة بداية "حملة فيريت" التي اشترك فيها مكتب المخدرات المركزي ووزارة الصحة والشرطة والجمارك والجيش. وشرعت هذه السلطات تبحث عن المدمنين الذين يحتاجون إلى المعالجة وعن تجار المخدرات. وفي تسعة أشهر تمت محاكمة ١٦٨٦ من المدمنين و٢٨٠ تاجراً وحكم على ٨١ تاجراً بالسجن. وأرسل ٦٥٠٠ مدمن هيروبين للمعالجة في مراكز تابعة للحكومة.

والخطوة الاولى في العلاج تستدعي أن يصرف المدمن أسبوعاً كمرحلة "تجفيف" يليه أسبوع للتعافي. وينطوي الاسبوع الثالث على علاج فردي وجماعي. وفي الاسبوع الرابع تمارس بعض التمرينات الجسدية. وفي الشهر الرابع يمارس المستشفون أعمالاً تراوح بين صنع المفروشات وجمع أجزاء الاجهزة الالكترونية، ويمضون في هذه الأعمال حتى انتهاء فترة العلاج. وفي المرحلة الأخيرة ينقل المدمنون إلى مركز يغادرونه نهاراً للعمل في القطاع الخاص ويعودون إليه ليلاً على أن تفتش ملابسهم ويُفحص بولهم يومياً للتأكد من أنهم لم يتعاطوا أي مخدر. وبعد شفائهم وعودتهم الى العالم الخارجي يُطلب منهم إجراء فحوص للبول منتظمة مدة سنتين. وكل من يخالف هذه القوانين يحكم عليه بدفع غرامة أو بالسجن أو بالعقوبتين كلتيهما. وتشير الاحصاءات إلى أن نسبة الذين يعودون إلى استعمال المخدرات بعد شفائهم تبلغ ٤٣،٣ في المئة بعد خمس سنوات متابعة.

والمعلوم أن هذه الاجراءات رافقتها حملة تربوية واسعة. ونتج من هذا كله أن تدنى عدد المدمنين من ١٣ ألفاً قبل "حملة فيريت" الى ٥٥٠٠ في العام ١٩٨٤.

واليابان أيضاً لم تنج من مشاكل المخدرات. غير أن خروجها مظفّرة من المعركة أمر لا جدل فيه. ويرجع ذلك إلى سببين اثنين أولهما فاعلية الشرطة اليابانية وعقوبات السجن الصارمة التي يفرضها القانون على المدمنين والتجار، وثانيهما المعارضة الشديدة التي يبديها الرأي العام الياباني حيال تعاطي المخدرات.

أما في أوستراليا فالحال مناقضة لما هي عليه في اليابان. ففي يوليو (تموز) ١٩٨٣ طلب وزير الصحة نيل بلويت السماح بزراعة الماريوانا للاستعمال الخاص وعدم معاقبة مدمنيها. كذلك من المعروف أن السير جون غورتون أحد

رؤساء الوزراء السابقين هو عضو في المنظمة الوطنية المتساهلة التي تدعو الى تغيير القوانين المتعلقة بالماريوانا. وفي هذا الصدد يقول كلير سبريغ وهو طبيب متقاعد وأحد مؤسسي جمعية "توثيق العلاقة بين الأهل وأولادهم من طريق التربية الخاصة بالمخدرات": "إن إقبال الشباب هنا على الماريوانا والحشيش لا يقل سوءاً عما هو في الولايات المتحدة. أما استعمال الهيرويين فهو أسوأ بكثير. وفي مدينة سيدني يعمد السائقون المراهقون إلى ترويع الناس في الشوارع الرئيسية."

أمريكا اللاتينية

إن بوليفيا والبيرو هما البلدان اللذان يزودان العالم الكوكايين. وكولومبيا هي أبرز بلد يزود العالم نبات القنب الذي يستخرج منه الحشيش وزيت الحشيش والماريوانا.

والواقع ان التجار الذين كان همهم الوحيد تصدير المخدرات الى الخارج باتوا اليوم يولون المدمنين في بلادهم جزءاً من اهتمامهم ويعملون على زيادة عددهم. ولا شك في أن عجينة الكوكا القاتلة هي أكثر المخدرات شيوعاً. وهي أرخص ما يستخرج من ورقة الكوكا التي تتحول في ما بعد مسحوقاً أبيض يدعى الكوكايين. ويراوح "نقاء" عجينة الكوكا بين أربعين وتسعين في المئة بالقياس على المنتوج الذي يمزج بمواد كيميائية ويباع في الخارج والذي يبلغ "نقاؤه" ١٢ في المئة. وفي معظم أنحاء أمريكا اللاتينية نلحظ أن ثمن لفافتين من عجينة الكوكا لا يتجاوز ثمن رغيف من الخبز. واللافت أن من يستعمل هذه العجينة يدمنها إلى حد يجعل الاقلاع عنها أمراً يكاد يكون مستحيلاً.

أما البرازيل فتعمل على تطبيق خطة لمنع انتشار المخدرات اشتركت في وضعها وزارتا الدفاع والعدل. وقد استخدمت الحكومة البرازيلية الأقمار الصناعية لتصوير المناطق التي يزرع فيها القنّب والكوكا ثم عمدت إلى إتلاف محاصيلهما. وإلى ذلك أعدّت الحكومة دروساً لجميع الذين يؤدون الخدمة العسكرية توضح الأخطار الصحية الجسيمة التي يولدها ادمان المخدرات. ويُتوقع من جميع الذين يتلقون هذه الدروس أن يعملوا على نشر فحواها بعد انتهاء خدمتهم العسكرية.

الحق ان معظم بلدان العالم كان يعوزها الاستعداد لمواجهة وباء ادمان المخدرات. غير أنها جميعاً تبقى أوفر حظاً من الولايات المتحدة التي سبقت البلدان الأخرى في تلقي الأذى، فقد أتيحت لها الفرصة كي تعتبر بالأخطاء التي ارتكبها الامريكيون. وإلى ذلك فان الآباء والامهات الامريكيين هم الذين يتولون مركز القيادة في محاربة انتشار المخدرات.

وفي شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٤ دعت مؤسسة "برايد"، وهي مؤسسة تربوية أمريكية أنشأها آباء وأمهات في الولايات المتحدة للاهتمام بمشاكل المخدرات، الى مؤتمر في أطلنطا حضره آباء وأمهات ومختصون بشؤون الادمان من ٣٤ بلداً

تشارك الولايات المتحدة في مشكلاتها المتزايدة ونجاحاتها القليلة وخيباتها الكثيرة المتعلقة بهذا الموضوع.

وفي المؤتمر ألقت مارشا منات، التي شاركت في إنشاء المؤسسة، خطاباً حثت فيه الحاضرين على تحاشي الخطأ الذي ارتكبه الامريكيون في تركيزهم شبه التام على الهيروييين وعدم مبالاتهم بالمخدرات "الخفيفة" كالماريوانا والحشيش. وجاء في خطابها: "عليكم التركيز على المخدرات المستخرجة من القنّب باعتبارها مدخلا إلى مخدرات أشد خطراً. وعندما يرفض الشباب المخدر البسيط أو الحشيش فهذا يعني أنهم سيرفضون المخدرات برمتها."

كذلك تضمّن خطاب مارشا هذه الدروس التي تعلمها أعضاء المؤسسة:

● إن المتخصصين بالادمان وعلماء النفس والأطباء النفسانيين و"الجيران" أيضاً كانوا ينزعون الى لوم الآباء والأمهات على تعاطي أولادهم المخدرات، فينتاب الخجل هؤلاء ويشعرون بالعجز والعزلة والذنب. ولكن عندما بات ادمان المخدرات أكثر شيوعاً "بين الأولاد المنتمين إلى عائلات محترمة" أخذ الأهل يرفضون موقف "الخبراء" ويؤكدون حقوقهم حيال أولادهم وهبّوا إلى العمل.

● إن كثيرين من مديري المدارس كانوا يجهلون مدى انتشار الماريوانا بين التلاميذ بسبب سهولة إخفاء هذا المخدر وآثاره. إلا أن عدداً من المديرين الآخرين كانوا يخشون تشويه صورة مدارسهم فأبوا الاعتراف بأنها تعاني مشكلة المخدرات.

● بعدما شاع أن الدولة أخفقت في تنفيذ القوانين المتعلقة بحيازة المخدرات تجرّأ التجار على ترويج أدوات هذه المخدرات، فعمدوا على سبيل المثال إلى بيع كتيّبات سهلة تعلم الاولاد كيف يلفون سيجارة الماريوانا وبيع "مسدسات فضاء" بلاستيكية تنفث دخان المخدر في جوف الرئتين. وكان القانون يجيز بيع هذه الأدوات، غير أن مؤسسة "برايد" تمكنت من حظر هذا البيع في معظم الولايات الأمريكية.

وكان من نتائج مؤتمر أطلنطا ولادة منظمة جديدة هي الجمعية الدولية لمنع ادمان المخدرات. وقد أصدرت هذه المنظمة التي جُعل مقرّها في أوروبا منشورين عن سبل منع ادمان المخدرات ووزعتهما على الجمعيات التي تضم الاهل وعلى الهيئات الأخرى المعنية بهذا الموضوع في أوروبا والولايات المتحدة.

والسؤال المطروح الآن هو: كيف يسعكم إنشاء جمعية للأهل في المجتمع الذي تعيشون فيه؟ يرى توماس غليتون، وهو من مؤسسي "برايد" الامريكية ومديرها التنفيذي، أن في الامكان تحقيق هذا الأمر باعتماد الخطوات الست الآتية:

الخطوة الأولى: اتصلوا بآباء أصدقاء أولادكم ثم اجتمعوا في بيت أحدكم وابدأوا العمل. وبعد ذلك استعلموا عن مدى انهماك أولادكم في المخدرات بواسطة الشرطة والمعلمين والراشدين الموجودين في مراكز الشباب والأماكن الأخرى التي يختلف اليها المراهقون. وعليكم أن تسألوا الأولاد أنفسهم.

الخطوة الثانية: اطلعوا جيداً على الأضرار الصحية التي تنجم عن المخدرات الشائعة في مجتمعكم كي تشعروا بالثقة عندما تحدثون أولادكم وذوي السلطة في المجتمع عن تلك الأضرار. والواقع أن كثيرين من هؤلاء قد يتعرضون للضغط كي يجعلوا القوانين الخاصة بالمخدرات أكثر ليناً خصوصاً في ما يتصل بتلك التي تستخرج من القنّب.

الخطوة الثالثة: أرشدوا أولادكم وضعوا لهم قواعد وحدوداً في ما يتعلق بذهابهم إلى الحفلات التي تستباح فيها المخدرات وإلى الأماكن الخالية من أي رقابة، وفي ما يختص بنومهم خارج المنزل وقضائهم عطلة نهاية الأسبوع كما يحلو لهم. وإذا اتفق أن التزم جميع الآباء والأمهات هذا النهج فلن يعود في وسع ولد من الأولاد أن يقول: "لكني مضطر إلى ذلك، فالجميع يفعلونه!" لأن الحال تكون تغيرت ولا يعود أحد يفعله.

الخطوة الرابعة: أعدوا خطة للتدخل المبكر بحيث يعمد أحد أعضاء الجمعية أو أحد الأطباء أو أحد المعلمين إلى إخبار الوالدين إذا اتفق أن تعاطى المخدرات واحد من الأولاد، لأن الوالدين هما عادة آخر من يعلم بالأمر.

الخطوة الخامسة: إذا لم يكن في محيطكم برنامج للارشاد والتربية خاص بالأولاد الذين يتعاطون المخدرات وعائلاتهم فاعمدوا إلى إنشاء هذا البرنامج، لأن التدخل المبكر في شؤون مماثلة يبقى أكثر فاعلية وأقل كلفة.

الخطوة السادسة: لا تحتفظوا لأنفسكم بما تعرفونه عن موضوع إدمان الشباب، بل انشروه في مجتمعكم. ففي وسع المجموعات الدينية والمدنية والتجارية أن تسهل لكم عقد الاجتماعات العامة وتساعدكم في نشر برامجكم. وإياكم أن تنتظروا قيام الحكومة مقامكم لأنها عاجزة عن ذلك حتى عندما تزمع العمل على نحو جدّيّ.

وفي هذا تقول مارشا منات: "إن أهم ما ينبغي تعلّمه هو أن في الامكان إيقاف ادمان المخدرات لدى الشباب وأن في وسعنا جميعاً المساهمة في هذا المجال."

بيغي مان ■



شرطة تشرشل

توجه نائب بريطاني شاب نحو السير ونستون تشرشل خلال فترة استراحة في مجلس العموم شاكياً شرطة السير التي لم تحاول إخراجه من الازدحام على أحد الجسور. وقال بغيظ: "الظاهر انهم لم يعرفوا من أنا."

وبادره تشرشل: "ومن أنت في أي حال؟"

مجلة "بانش"، بريطانيا

تندمج الطائرة في زرقة السماء وتحلق
مع التيارات الحرارية كما
ينزلق حجر يقذف فوق صفحة الماء

جَنَاحُ الرِّيح

الهواء الساخن يرتفع. في هذا اليوم من أواخر شهر أغسطس (آب) كان الهواء يرتفع فوق حقول القطن والمراعي في منطقة سكوري بولاية تكساس فيثير دوامات ريح صغيرة ويحرك التيارات الهوائية الحرارية التي تعلو الى ارتفاع ٣٠٠٠ متر قبل أن تتكثف في أشكال مختلفة من الغمام المدرّج.

قال تشارلز شو: "ها هي،" وأشار شمالا الى طائرة شراعية تمتطيها زوجته وقد انعكست على جناحيها أشعة الشمس حين مالت. وكانت جوان شو عائدة الى مطار سنايدر في المرحلة الأخيرة من مثلث يبلغ محيط أضلاعه ٣٠٠ كيلومتر قطعته بطائرتها.

بعد ذلك هبطت "نمبوس ٢" وهي

طائرة شراعية عالية الأداء يبلغ طول جناحيها ٢٠ متراً، ولامست الارض على عجلة صغيرة واحدة ثم درجت مسافة ٣٠ متراً.

أمسك تشارلز بيده طرف أحد الجناحين، وهو قائد طائرة ماهر. وعدا مع الطائرة حتى توقفت وهدّأ الجناح بينما فتحت زوجته غطاء قمرة القيادة.

قالت الزوجة وهي تفك حزام الأمان ومظلة الهبوط: "كان هذا رائعاً."

محطات وهمية – جوان شو (٥٠ عاماً) واحدة من ثلاث نساء في الولايات المتحدة حققن أرقاماً قياسية عالمية للنساء في الطيران الشراعي. وفي العام ١٩٨٣ حلّقت بطائرتها الشراعية "نمبوس" من سنايدر في ولاية تكساس الى كولبي في ولاية كانساس، قاطعة مسافة ٧٤٨ كيلومتراً. وضمن لها هذا الطيران رقماً قياسياً عالمياً في التحليق في فئة تسمى "مسافة الى هدف". وفي السنة التالية سجلت أرقاماً قياسية أخرى في المسافة والسرعة بطيرانها المدهش في رحلة اتخذت شكل مثلث واستغرقت ثماني ساعات ونصف ساعة.

وسيكون هدفها المقبل، اذا سمحت لها الاحوال الجوية، طيراناً ملحمياً بين قاعدتها في تكساس ونورث بلات في ولاية نبراسكا، تقطع فيها مسافة ٩٧٠ كيلومتراً. واذا نجحت في تحقيق هذا الهدف فانها ستحطم الرقم القياسي الذي سجلته هي نفسها من قبل وتسجل رقماً عالمياً جديداً للنساء في فئة الطيران المستقيم، وهو الطيران الذي تهواه جوان الى أقصى الحدود. انها تجد فيه بساطة وتصميماً يتفق مع قوة ارادتها المميزة.

تملك جوان شو وزوجها طائرة "سيسنا ١٨٠" لاستعمالها في جرّ الطائرة الشراعية ومساعدتها في الاقلاع. وفي أيام الصيف الوترية التواريخ (المفردة) يجر تشارلز زوجته في طائرتها الشراعية للاقلاع والتحليق. وفي الايام الشفعية (المزدوجة) تجر هي طائرته. ومشاركتهما هذه تحل الكثير من المشاكل التنظيمية التي يواجهها ممارسو هذه الرياضة.

تتوافر لربابنة الطائرات الشراعية ثلاثة أنواع من القوة الرافعة، أولاها أمواج الريح التي تهب في زوابع على سفوح الجبال المواجهة للسهول، والثانية مجاري الهواء فوق الجرف الجبلية التي تسبح معها الطائرة الشراعية كما يفعل راكب الزورق الذي يمتطي عباب البحر الثائر، والثالثة تيارات الهواء الساخن (★) في الصحارى والاراضي الجافة المنبسطة والتي تتكون في شكل أعمدة ضيّقة وترتفع بسرعة تصل الى ٣٠٠ متر في الدقيقة.

بالنسبة الى ربانة طائرة شراعية تعبر المسافات الطويلة مثل جوان شو، تماثل تيارات الهواء الساخن محطات وقود وهمية، فيقضي الربان معظم مسافة الطيران في ملاحقتها. وهذه التيارات يحوق بها هواء هابط. ولكي يتجنّب الطيار الجذب الى أسفل ويبقى في قلب

(★) Thermals أو التيارات الحرارية.

التيار الساخن يتعيّن عليه أن يميل بالطائرة الى أقصى حد ممكن ليستغل قوة الدفع الصاعدة. وحين يجد أن الجهد الذي يبذله للبقاء في قلب التيار أصبح يفوق جدواه، ينتقي بقعة أخرى في الجو ويتوجه اليها عبر الهواء الهابط.

ان العثور على تيار حراري يعتمد جزئياً على الحظ وجزئياً على المهارة. فالربابنة الماهرون يلاحظون الحقول التي تعتبر مدارج مقبولة للهبوط الاضطراري. وهذا حدث مألوف وان يكن محفوفاً بالخطر، لأن الطائرة الشراعية يتاح لها أن تهبط مرة واحدة فقط، واذا برز أمامها فجأة خط من الاسلاك الكهربائية فقد تنسحق ومعها ربّانها.

حادث مؤسف – على رغم معارضة والديها بدأت جوان تتلقى دروساً في الطيران في الخمسينات حين كانت طالبة في الجامعة الشمالية الغربية في ايفانستون بولاية ايلينوي. وكانت أمها ربّتها على الايمان بأن كونها امرأة لا يشكل عائقاً أمام طموحاتها مهما تكن.

اقترنت بزوجها الاول ألن هارتلي وهي لا تزال في الجامعة. وبعد تخرجها انتقل الزوجان الي باي سيتي في ولاية ميشيغان حيث ولد ابنهما البكر آرثر. وذات يوم شاهدا شريطاً وثائقياً عن الطيران الشراعي. واستهوى هذا الطيران ألن، غير أن جوان كانت تفضل أن تكون ربانة طائرة ذات محرك تجر بها الطائرات الشراعية لتقلع في الهواء. قالت: "كنت أجر خمس عشرة طائرة شراعية أو عشرين يومياً. وكبر ابني آرثر في المقعد الخلفي من طائرة الجر. وقد صنعنا له قفصاً صغيراً هناك كان يجلس فيه آمناً."

اشترى ألن عام ١٩٦٦ طائرة شراعية جديدة. وحين طار فيها للمرة الثانية قرر أن يقلع بواسطة آلة رافعة بدلا من طائرة الجر. وهذه الرافعة تثبت على شاحنة وتدور بكرتها فتلف الحبل بسرعة كافية لرفع الطائرة الشراعية المربوطة بالطرف الآخر من الحبل. وحين يصل الطيار الى علو ٢٥٠ متراً أو نحوها يتحرر من الحبل.

حتى اليوم لا تعرف جوان ما الخطأ الذي وقع. كانت تراقب الرافعة وهي تجر طائرة ألن الشراعية لترتفع في الهواء. وصلت الطائرة الى علو ٢٠ متراً وفجأة هوت الى الارض وقتل ألن.

بعد وفاة زوجها حصلت جوان على وظيفة محررة في نشرة لهواة الطيران الشراعي. في ذلك الوقت كان تشارلز شو مدير فرقة موسيقية في مدرسة سنايدر الثانوية، فراح يراسلها أسبوعياً ويقدم بعض الانباء الى النشرة.

وحين تزوجته عام ١٩٦٩ وانتقلا الى سنايدر، لم تكن جوان حلّقت في طائرة شراعية منذ ثلاث سنوات. وهي تقول: "وجد تشارلز أن أفضل طريقة ليجعلني أهتم للطيران الشراعي هي أن يتحداني. فكان يقول: أراهنك على أنك لا تستطيعين ابقاء هذه الطائرة في الجو مدة خمس ساعات." وهكذا بدأت في اشرافه تحسين مهارتها.

"هذا جميل!" – في أوائل سبتمبر (ايلول) ١٩٨٤ ذهبت الى مدينة هوبس

في ولاية نيومكسيكو لأطير مع جوان في طائرة شراعية ذات مقعدين من طراز "غروب ١٠٣". وصعدت الى القمرة وجلست في المقعد الخلفي.

حاولت أن أتعرف الى أجهزة القيادة. رأيت مقياس السرعة ومقياس الارتفاع والمقارن المتغير (Variometer) الذي يشير الى التبدلات المفاجئة في الضغط الجوي، اذ حين يصادف الربّان تياراً من الهواء الساخن يشير هذا الجهاز الى سرعة ارتفاع الطائرة بالامتار في الدقيقة.

قالت جوان وهي تغلق غطاء القمرة: "حسناً، نحن على أهبة الانطلاق."

بعد ثوان ارتفعت بنا الطائرة في الجو مربوطة بذيل طائرة الجر التي كانت لا تزال تدرج على الارض. وعندما أقلعت هذه ارتفعنا معها بسرعة.

ولدى بلوغنا ارتفاع ٦٠٠ متر تحررت جوان من طائرة الجر وبتنا وحدنا في الجو. وأخذ شعور لذيذ يتملكني. لم نكن نخترق أديم السماء، بل كنا نندمج فيه.

وبدا تحتنا صقر يحوّم. فقالت جوان: "الصقور عادة ترشدنا الى التيارات الحرارية، فلنلحق به." واستمرت تحلّق فوق الصقر متتبعة خط طيرانه.

وبعد قليل قالت: "يبدو أن هذا تيار هواء ساخن. سأحاول اقتحامه للافادة من كل قوته." وأمالت الطائرة بمقدار ٢٥ درجة. ونظرت من النافذة فرأيت أننا ندور حول محور الجناح الايسر.

قالت جوان: "يجب أن نتحوّل أكثر الى الداخل لنبقى ضمن التيار." وأمالت الطائرة حتى بدا جناحاها في وضع شبه عمودي بالنسبة الى الافق. وأخذ القلق يساورني وخشيت ألا تتحمل معدتي هذه المناورات.

وأصبحنا على ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر. وعزمت جوان على الارتفاع ٢٠٠٠ متر اخرى لتصل الى قاعدة طبقة الغمام. لكن قوة الرفع زالت فجأة.

حرفت مقدم الطائرة الى أسفل وهبطنا بسرعة ٨٠ عقدة (١٥٠ كيلومتراً في الساعة) مع الهواء الهابط في طريقنا الى التيار التالي. وبدت أمامنا غيوم مدرّجة متراكمة وكل منها تشير الى تيار رافع. وتوجهت جوان الى أقربها وهي تقفز بالطائرة من تيار الى آخر كما ينزلق حجر يقذف فوق صفحة الماء الهادىء. وفجأة ارتفعت الطائرة بقوة شعرت معها أن ضغط الجاذبية شد لحم خديّ.

هتفت جوان: "هذا جميل." وكان جهاز المقارن المتغير يشير الى ٣٢٥ متراً في الدقيقة، وتمكنا من الوصول الى قاعدة الغمام.

على الجليد! — حين هبطنا من التيار على ارتفاع ٢٨٠٠ متر اعلنت جوان: "أصبحنا الآن على ارتفاع يتيح لنا أن نتلاعب بالطائرة." ثم رفعت يديها عن المقود قائلة: "الطائرة في عهدتك."

في هذا الموقف فعلت ما كنت أقوى عليه. انتقيت غمامة وتوجهت اليها وأنا أدفع ذراع المقود الى الامام لتحويل مقدم الطائرة الى أسفل وزيادة سرعتها. كنت متوتر الاعصاب ومع ذلك بدا لي في بعض اللحظات أن الطيران كان طبيعياً الى حد مدهش. وتملكتني رغبة قوية في الاندفاع

نحو الأفق والطيران الى أقصى ما أستطيع.

وأخذت جوان المقود مني في طريق العودة الى المطار.

قالت لي: "عندما تكون الاحوال كما يرام يبدو الطيران سهلا ولا يتطلّب مهارة. فكل شيء يعتمد على الاحوال الجويّة."

ذات يوم ستكون الاحوال الجوية مناسبة لها فتطير الى نورث بلات. وستكون هناك قاعدة غمام عالية وريح تهب من ورائها بسرعة ٣٠ كيلومتراً في الساعة، فتدفعها شمالا لتتبع التيارات الساخنة في طريقها الى نبراسكا.

وفيما بدا لي أن الارض تدور حولنا قوي احساسي بأني أحلّق حراً في الهواء. وحين حطّت الطائرة على عجلتها الصغيرة كان هبوطها سهلا وسريعاً حتى اني شعرت كأننا ننزلق على الجليد.

وقبل أن تركب جوان سيارتها نظرت ثانية الى الغمام المدرّج الذي كان مخيماً على ارتفاع سامق وقالت: "آه، كم أتمنى لو كنت هناك تحت تلك الغمامة."

ستيفن هاريفان ■



شهادة الصغار

تشاك جونس منتج الرسوم المتحركة وأحد مبدعي الشخصيات الشهيرة مثل البطة "دافي" و"يوسيميتي سام" و"رود رانر" والهر "سلفسر"، يهوى زيارة حدائق الملاهي حيث يتنكر ممثلون في ثياب الشخصيات التي أبدعها ويؤدون أدوارا لتسلية الاطفال. وهو يقول:

نادراً ما يتاح لمنتج الرسوم المتحركة أن يشاهد جمهوره. واني أبتهج لرؤية الاطفال يعانقون الشخصيات التي صنعتها من أجلهم.

قالت لي فتاة صغيرة ذات يوم: "أنا أعرفك. انك الرجل الذي يرسم صورا للارنب "باغز باني". لم تقل اني أرسم "باغز باني" نفسه، بل اني أرسم صورا له. كان "باغز باني" في عرفها شخصية حقيقية. وهذا هو النجاح بالنسبة الي.

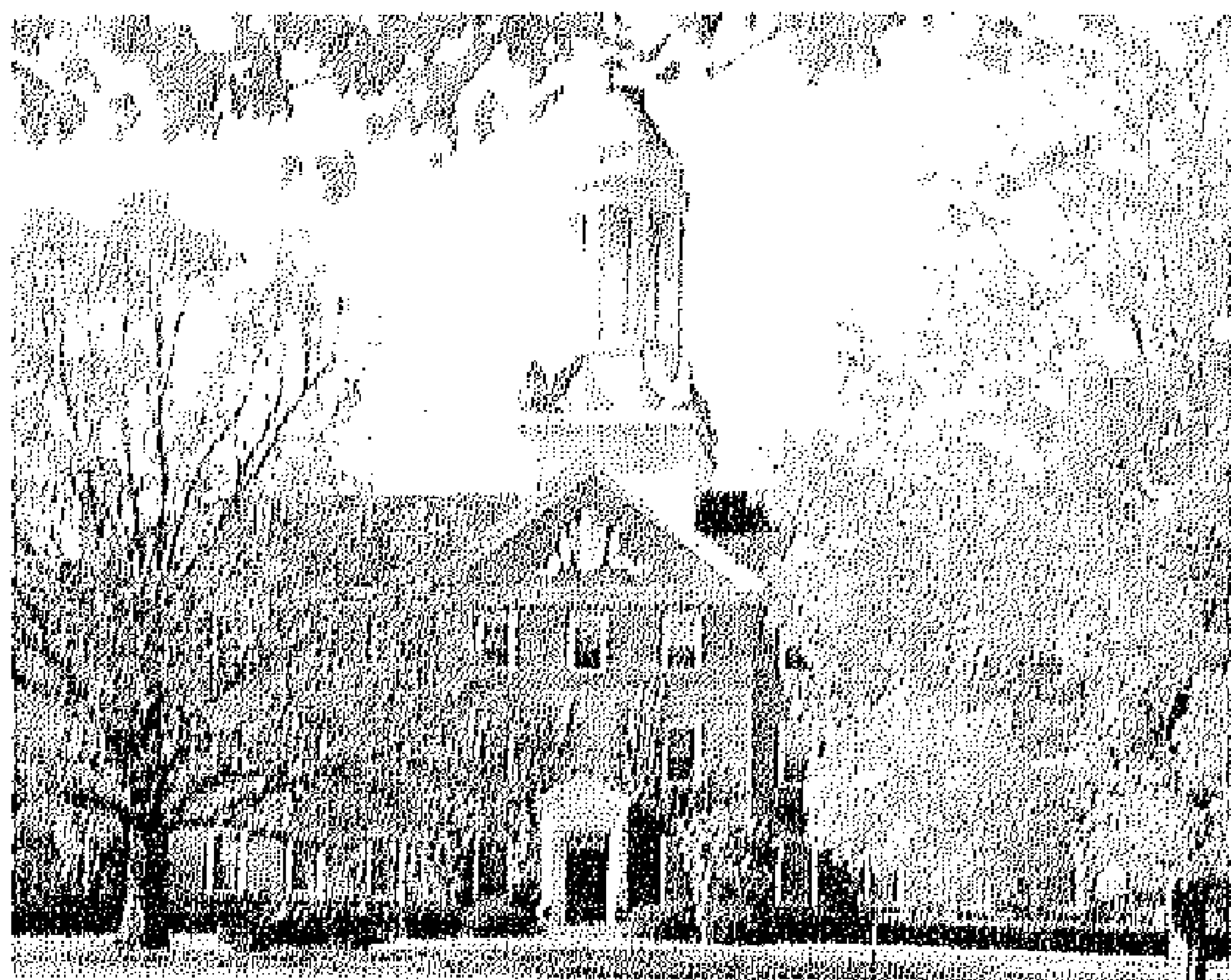
ب.ش.

مفهوم الحرب والسلم

كنت ملازماً أول جديدا حين رافقت المفتش العام وهو يعرض الفصيل الذي أتولى قيادته. وجرى كل شيء على ما يرام حتى وصلنا الى جندي سأله المفتش عن مهمته فأجاب: "أجرف أوراق الشجر يا سيدي." فاستدرك المفتش العام: "لا، أيها الجندي. أعني ماذا تفعل في زمن الحرب." فقال: "أجرف بسرعة أكثر يا سيدي."

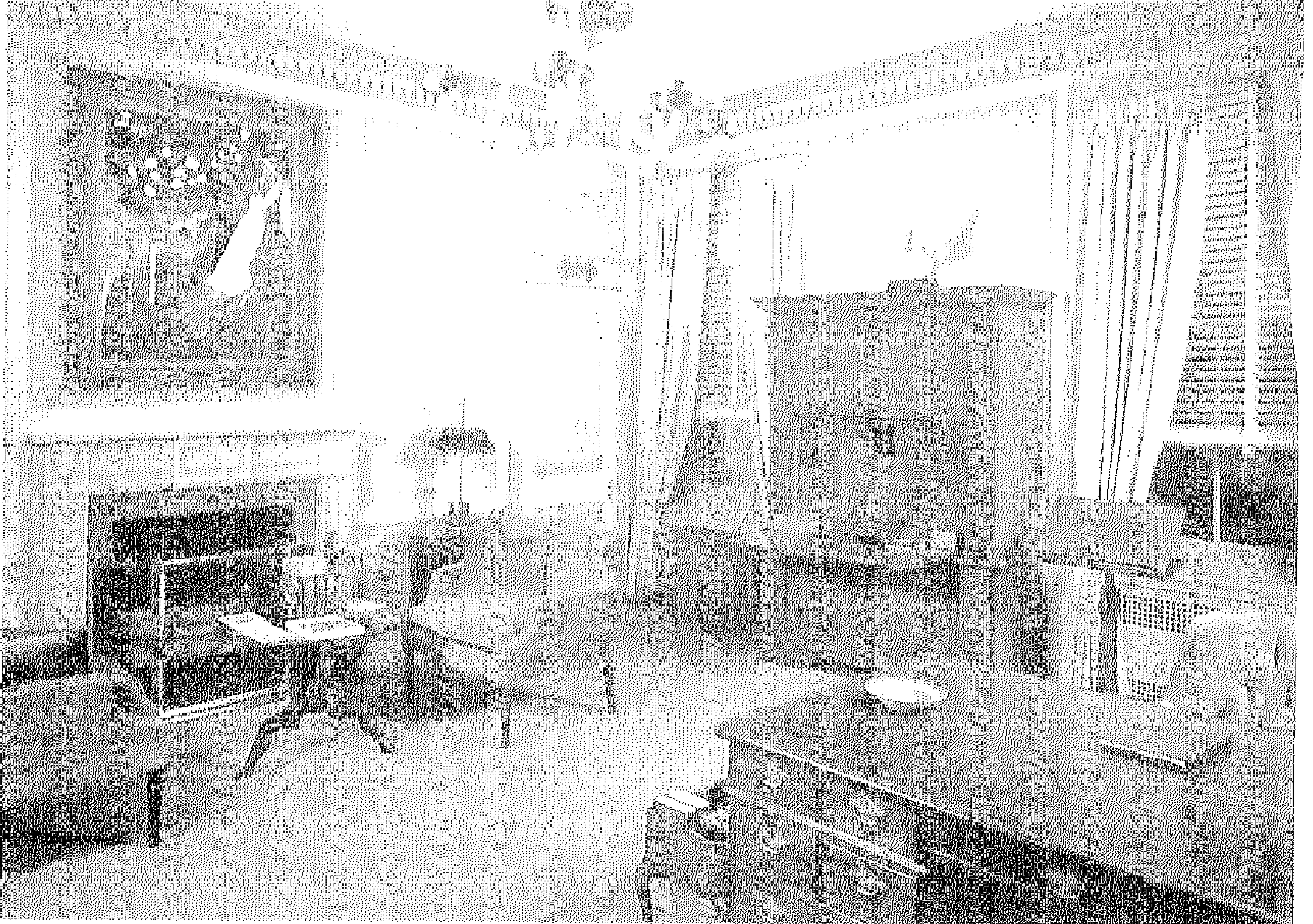
ب.م.

كُنوز المتعَة الدائِمَة



"ان الفن الرفيع شيء نعجب به ليس في أوقات عزلتنا وتأملاتنا فحسب، بل في كل دقيقة عابرة من حياتنا اليومية الدائبة"

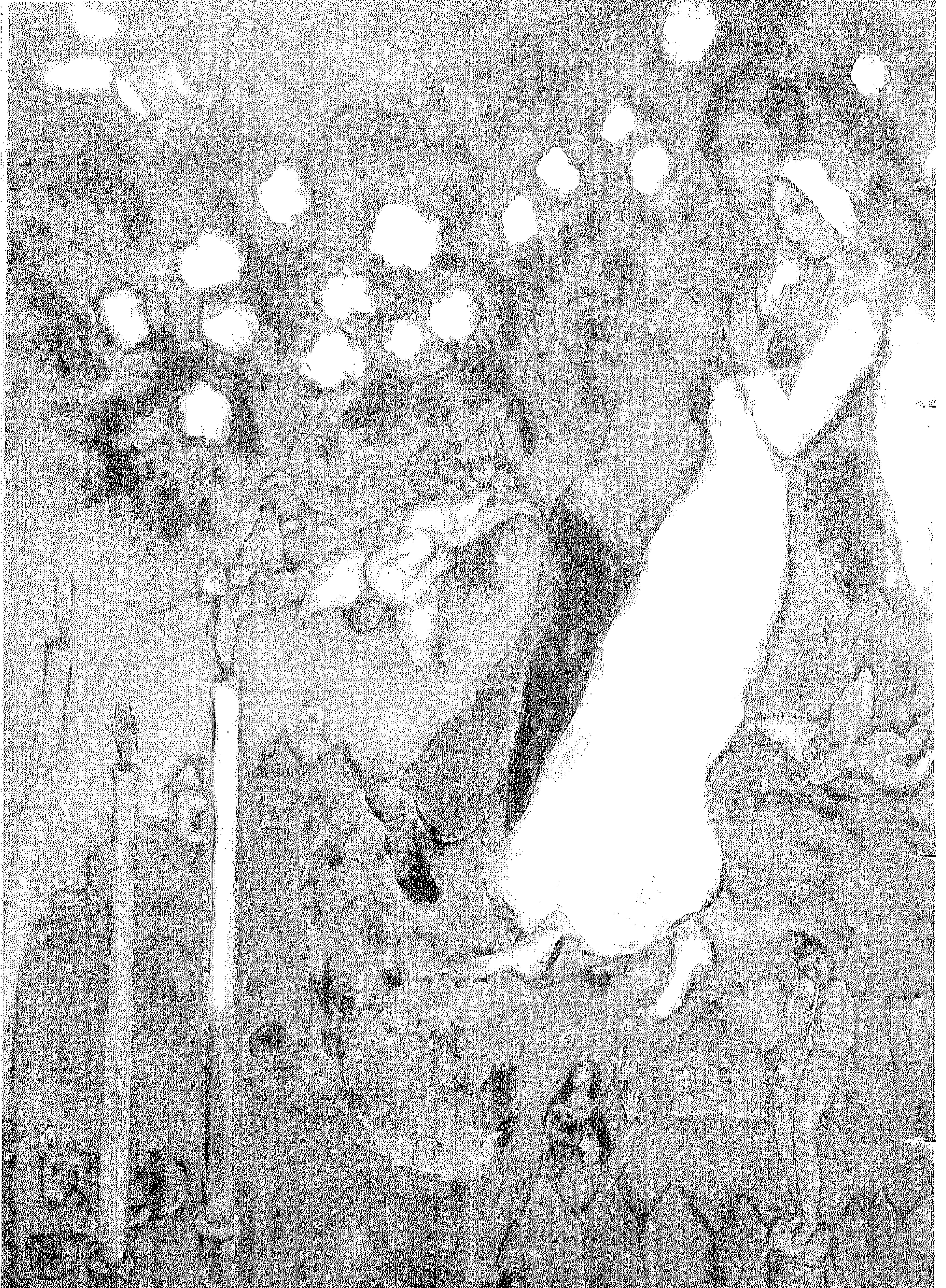
ليلى آنشيسون والاس
احد مؤسسي الـ"ريدرز دايجست"



كانت السيدة والاس تؤمن بأن الفن الرفيع يستطيع تغيير جو العمل. لاحظ وضع اللوحة الرائعة من أعمال شاغال المعلقة في مكتب رئيس تحرير الـ"ريدرز دايجست".

سأل صحافي مرة السيدة ليلى آتشيسون والاس كيف تختار القطع الفنية. فأجابت انها تشتري اللوحات الزيتية دونما اعتبار لقيمتها المحتملة ماديا، بل فقط - وبكل بساطة - "لأنها أغرمت بها." واضافت: "اذا شعرت أني لا أقوى على العيش من دونها، فاني أشتريها. انها كالزوج، لو استطاعت المرأة أن تعيش من دونه، فلماذا تتزوّجه؟"

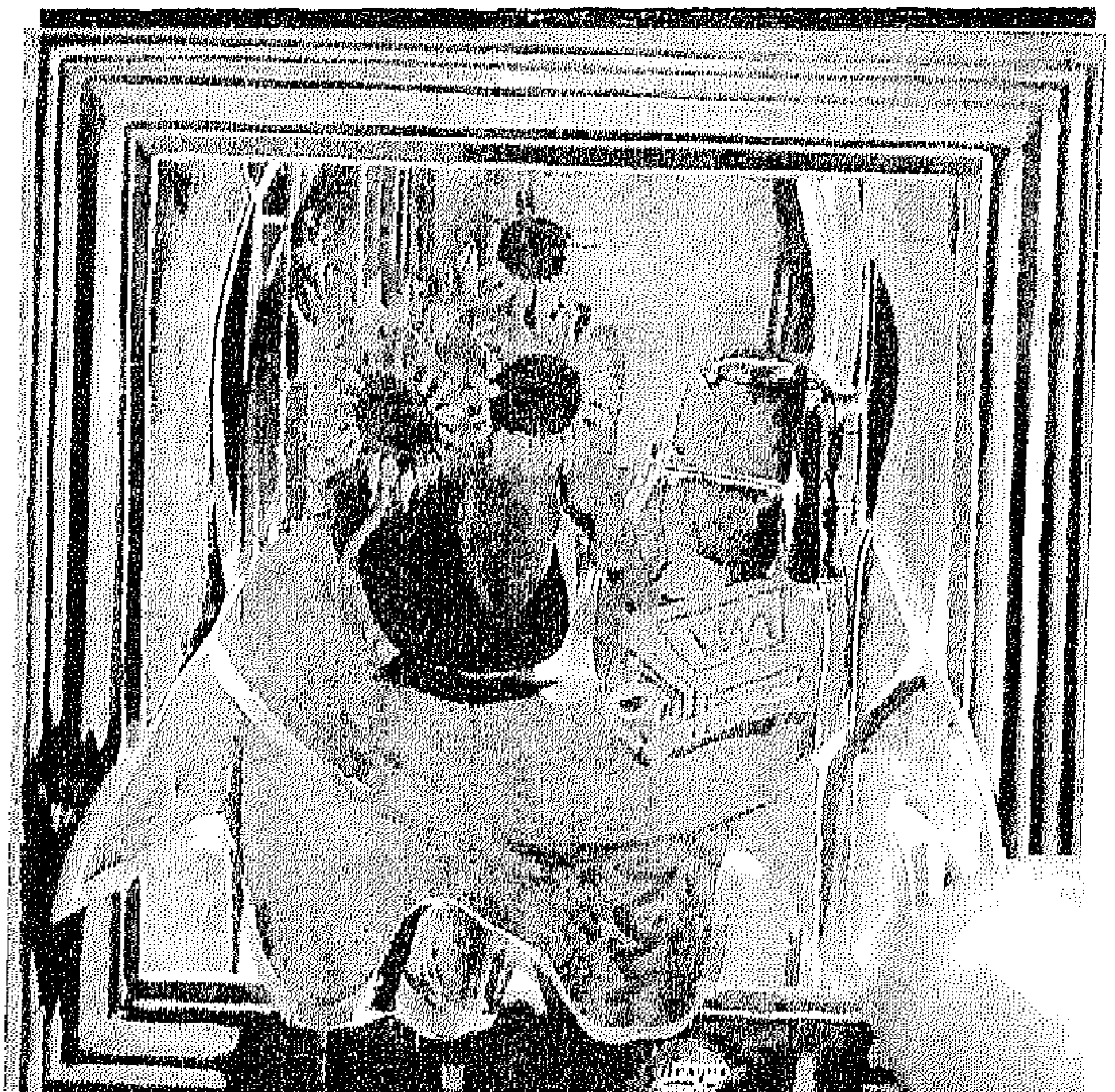
ان مجموعة الـ"ريدرز دايجست" الفنية هي النتيجة المباشرة لغرام السيدة ليلى والاس بالفن الرفيع طوال حياتها. واليوم تضم المجموعة التي بدأت في أواخر الأربعينات أكثر من ٣٠٠٠ لوحة ونسخة وصورة ومنحوتة. ولا يزال عدد كبير من أجمل اللوحات معلقاً في مركز الـ"ريدرز دايجست" في بليزنتفيل بولاية نيويورك. ولكن منذ شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ والى شهر فبراير (شباط) ١٩٨٦ تعرض مختارات من هذه الروائع الفنية في معارض خاصة تنظم في المدن الآتية: شتوتغارت (ألمانيا) من ٨ الى ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥، ولندن من ١٤ يناير (كانون الثاني) الى ٨ فبراير (شباط) ١٩٨٦، وميلانو (ايطاليا) من ١٥ فبراير (شباط) الى ٥ مارس (آذار) ١٩٨٦، وباريس من ١١ مارس (آذار) الى ٦ ابريل (نيسان) ١٩٨٦، اضافة الى أربع مدن أمريكية كبرى.



"الشمعات الثلاث" بريشة الروسي مارك شاغال. في هذه اللوحة الربتية التي رسمت عام ١٩٣٩ أبرز الفنان التناقض بين نعمة الحياة الزوجية وصخب العالم المضطرب.

"الراقصات"
من رسم الفرنسي ادغار ديغا
لوحة بألوان باستيل
رسمت بين ١٨٩٥ و١٩٠٠
وتبرز افتتان الرسام
بقوام راقصات الباليه.

All Elai



"دوّار الشمس"
ريشة الفرنسي جورج براك.
سطح المنضدة في هذه الزيتيه
التي رسمت عام ١٩٤٦
يمتد الى الاطار المطلّي
فيعطي انطباعا وهميا.

Lee Boltin



Lee Boltin

"صورة جين ابوتيرن"
من أعمال الايطالي آميديو موديلياني.
هذه الرينيه التي رسمها الفنان عام ١٩١٨
تظهر صديقته في هالة معقّدة
من الخطوط المنحنية.



"الشابة في الثوب الازرق في طريقها الى المعهد الموسيقي" بريشة الفرنسي بيار أوغست رنوار.
رسمت عام ١٨٧٧
تمثل شابة خارجة
لتتلقى دروساً
في الموسيقى.



"طيور النورس"
من أعمال الفرنسي غاستون لاشيز.
تتقصّ طيور النورس وتحلّق في هذه
المنحوتة التي أنجزت عام ١٩٢٤.



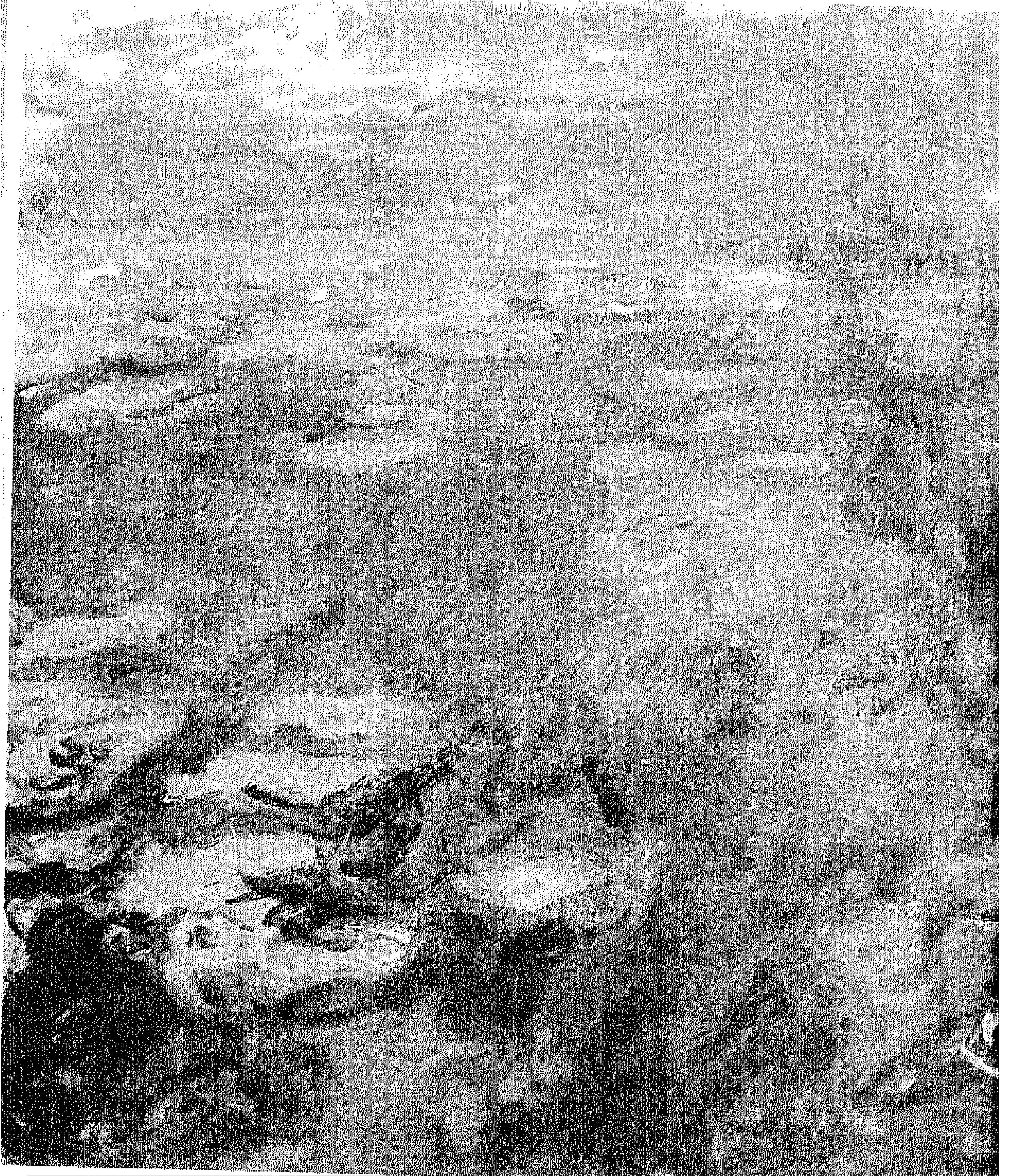
Lee Boltin

"المهرّج" من أعمال الاسباني
بابلو بيكاسو.
أبدع هذا التمثال النصفي
من البرونز عام ١٩٠٥،
ويبلغ ارتفاعه ٤١ سنتيمتراً.



"أزهار النيلوفر" للفرنسي كلود مونيه. هذه اللوحة الضخمة التي رسمها الفنان عام ١٨

بدأ اهتمام ليلى آنتشيسون والاس بالفن في صباها حين كانت تقطن في منطقة السهول في غرب كندا. وهي قالت: "كانت أمي فنانة. وكنا كلّنا نحب الصور التي ترسمها (...) ربما لم تكن ثيابنا أنيقة، غير أننا كنا دائما محاطين بالروائع."

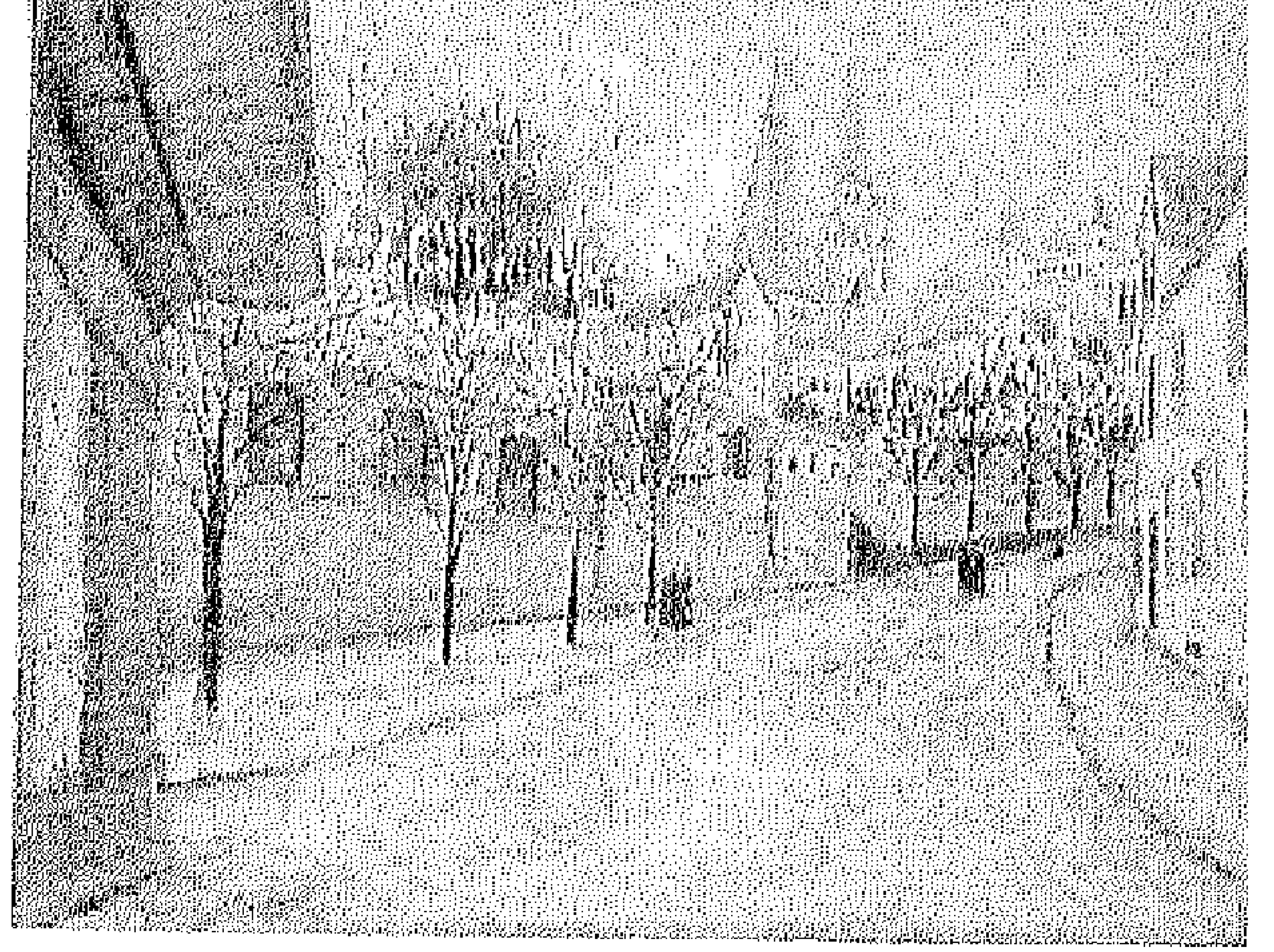


.منزله في حيفري هي احدى لوحاته الاخيرة التي تمثل موضوعاً محبباً اليه.

وكان والدها رجل دين يحضر معه الى البيت ازهارا وبعض القطع الفنية. تخرجت هذه الكندية الشابة في جامعة أوريغون عام ١٩١٧ وتحوّلت الى النشاطات الاجتماعية. فتولت ادارة مركز للخدمات الصناعية تابع لمصنع ذخيرة في نيوجرزي

"شارتر" بريشة الفرنسي موريس أوتريلو.
منظر رائع للمدينة الفرنسية
في هذه اللوحة الزيتية
التي رسمت عام ١٩١٤

Lee Boltin



Ali Elai

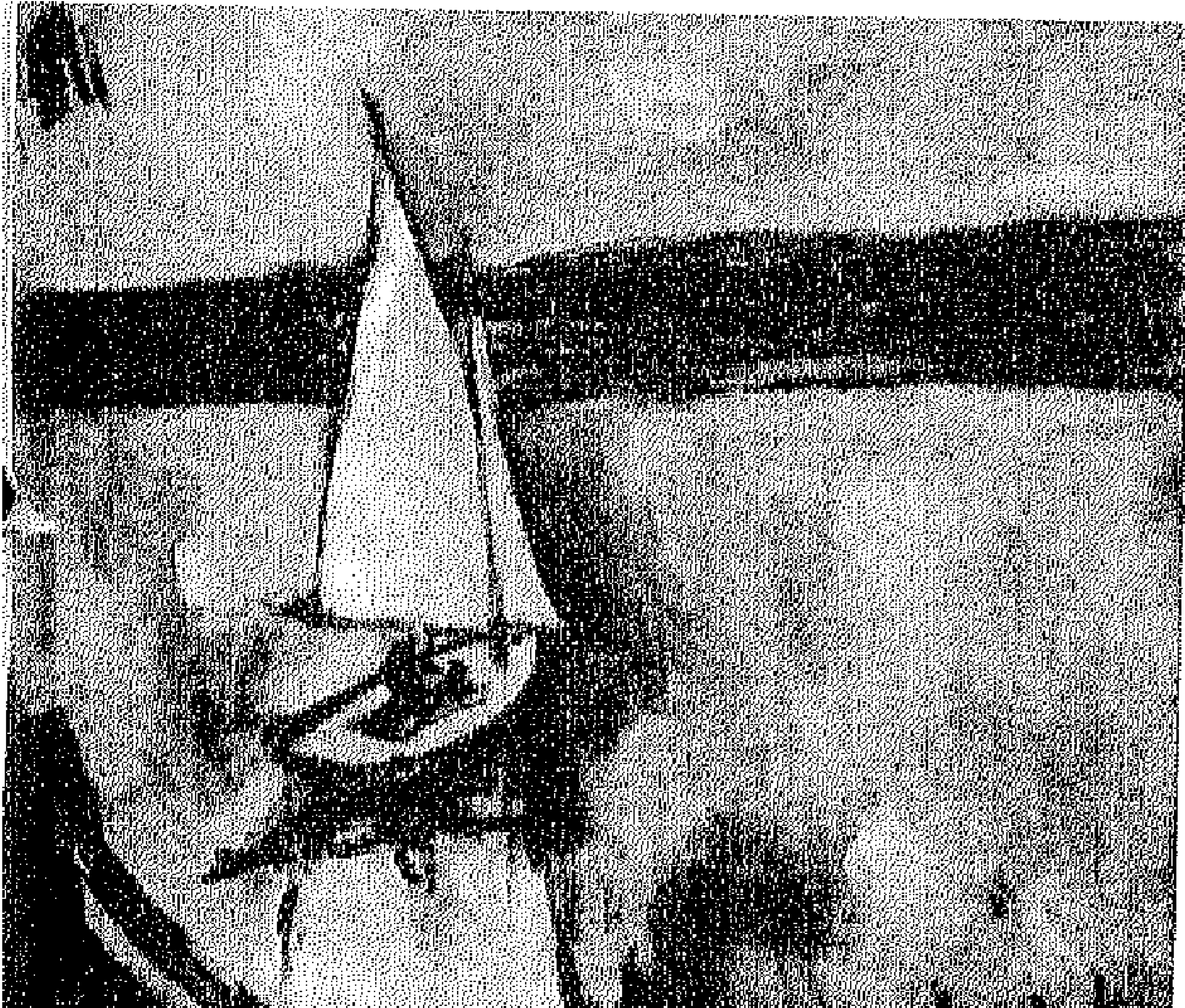


"معبر في جزيرة سان مارتان فينوي" بريشة مونيه.
زيتية رسمها عام ١٨٨١
سيّد الرسامين الانطباعيين في فرنسا.

خلال الحرب الأولى. وفي وقت لاحق تمكنت من تحصيل شروط عمل أفضل لعمال المصانع في نيو أورلينز بولاية لويزيانا وأنشأت مركزاً لجمعية الشابات في مينيابوليس بولاية مينيسوتا.

تزوجت دي ويت والاس عام ١٩٢١ وباشرت للحال معاونته في انجاز فكرة عمل على تحقيقها طوال سنوات، وهي اصدار مجلة في حجم الجيب تحوي مقالات مهمة مقتطفة من المنشورات الدورية. وهكذا أسس الزوجان مجلة "ريدرز دايجست" عام ١٩٢٢. وعبر السنين الطويلة التالية الزاخرة بالنجاح لم تغب عن بال ليلى فلسفتها بأن الجمال والعمل يمكن أن يسيرا معاً. وهي أشرفت على التفاصيل المعمارية الدقيقة في المبنى الذي شيد بالقرميد الاحمر على النمط الجورجي ليكون مقراً للمجلة واكتمل بناؤه عام ١٩٣٩، كما أشرفت على تصميم الحدائق حول المبنى التي نالت جوائز في الجمال والاناقة.

وبفضل موهبة دي ويت والاس التحريرية أصبحت الـ"ريدرز دايجست"



"زورق شراعي في بواسي"
للفرنسي موريس دي فلامينك.
شكال جريئة وألوان طاغية تهيمن على هذا المنظر
البحري في زيتية رسمت عام ١٩٠٩.

"بستان وأشجار" بريشة
مونيه. زيتية منمقة
رسمت عام ١٨٧٩ أي قبل
رسم لوحة "النيلوفر"
بتسع وثلاثين سنة،
وتظهر الفارق الكبير في
الادراك الحسي للفنان.

Ali Elai



"مشهد في ليستاك" للفرنسي بول سيزان. في هذه الزيتية التي رسمت بين ١٨٨٢ و١٨٨٥ تتداخل الاشكال الهندسية مع مشهد غابة في جنوب فرنسا.

أكثر المجلات قراء وأوسعها انتشاراً في العالم أجمع. وكراعية مخلصة للفنون تبرعت ليلى والاس بملايين الدولارات لمتحف متروبوليتان للفن وأوبرا متروبوليتان ومؤسسة مارتا غراهام للرقص ومعهد جوليارد الموسيقي وسواها. ومن آخر مشاريعها الكبرى ترميم بيت كلود مونيه، الرسام الفرنسي الانطباعي الشهير، وحديقتيه في جيفرني القريبة من باريس حيث رسم مونيه كثيراً من روائعه الأخيرة.

توفي دي ويت والاس عام ١٩٨١ وتوفيت ليلى عام ١٩٨٤ لكن الميراث الذي تركاه يبقى حياً في مجلتهما التي لا تزال أكثر المطبوعات رواجاً في العالم، وفي المجموعة الفنية للـ"ريدرز دايجست".

وبعد أن ينتهي المطاف بالمجموعة ستؤوب كنوزها الى موطنها في بليزنتفيل وهناك ستؤدي للمحررين والكتاب والمديرين والعاملين وراء الادمغة الالكترونية والزوار دور الفن كما حددته السيدة والاس ذات يوم: "ان الفن الرفيع شيء نعجب به ليس في أوقات عزلتنا وتأملاتنا فحسب بل في كل دقيقة عابرة من حياتنا اليومية الذاتية."

طوم لاشنيس ■

"سطوح القش في أوفير" بريشة الهولندي فان غوغ رسمها قبل شهر واحد من انتحاره عام ١٨٩٠، وهي تكاد تلهب القماش بالألوان والحركة الانفعالية.

Ali Elai



Lee Boltin



"المرآة وشقائق النعمان" للفرنسي هنري ماتيس. رسمت عام ١٩٢٠.

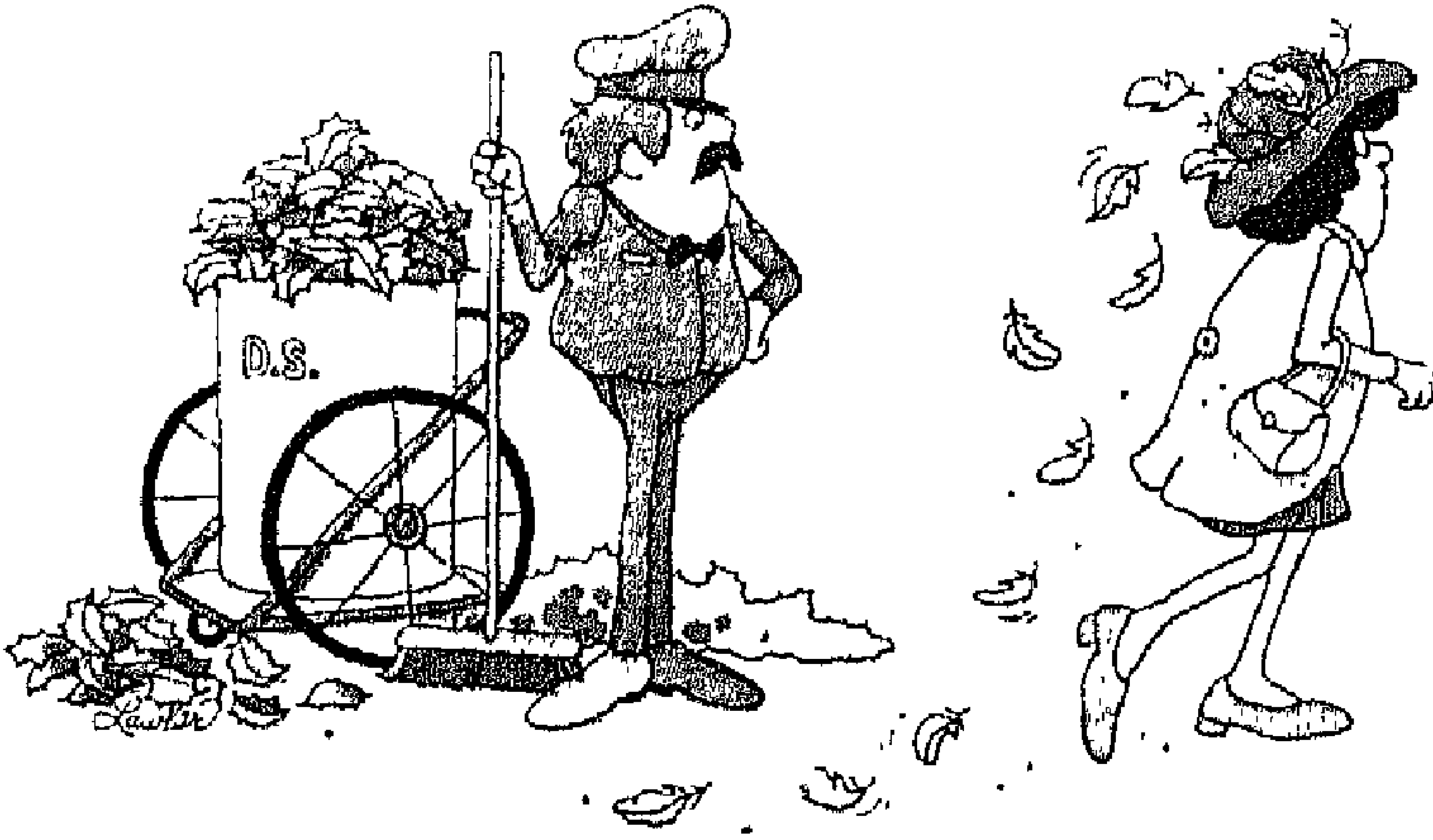
يمكن طلب هذا الملحق الذي طبعت منه نسخ خاصة من مكتب الـ "ريدرز دايجست" في نيويورك، بالكتابة الى العنوان الآتي:

Reprint Editor, Reader's Digest, Box 25, Pleasantville, N.Y. 10570.



علماً أن ثمن النسخة الواحدة هو ٥٠ سنتاً تضاف اليها أجور البريد العادي، وهناك أسعار خاصة للذين يطلبون أكثر من ١٠ نسخ.

صور من الحياة



تهنئة وهدية

بعد تجربته صابوناً لتنظيف الشعر كتب رجل الى الشركة المنتجة رسالة تهنئة حارّة. وفوجىء بعد أسابيع بصندوق كبير أمام بابه يحوي منتجات كثيرة أرسلتها الشركة هديّة اليه شاكرة له تشجيعه، وبينها صنوف الصابون ومعاجين الأسنان ومساحيق الغسل.

وسألته زوجته وهي تبتسم: "حسناً، ما هو تعليقك؟"

- المرة المقبلة سأكتب رسالة الى شركة "جنرال موتورز".

ك.ب.

لغة الغزل

بائع الفاكهة: أنتِ تفاحة قلبي.

طبيب التخدير: أنتِ نسمة حياتي.

تاجر العقارات: أنتِ أفضل ما يشتريه المال.

بائع الساعات: سوف أُحبكِ على مدى الزمان.

الصائغ: أنتِ لؤلؤة حياتي.

المقامر: أنتِ ملكة قلبي.

ت.ب.

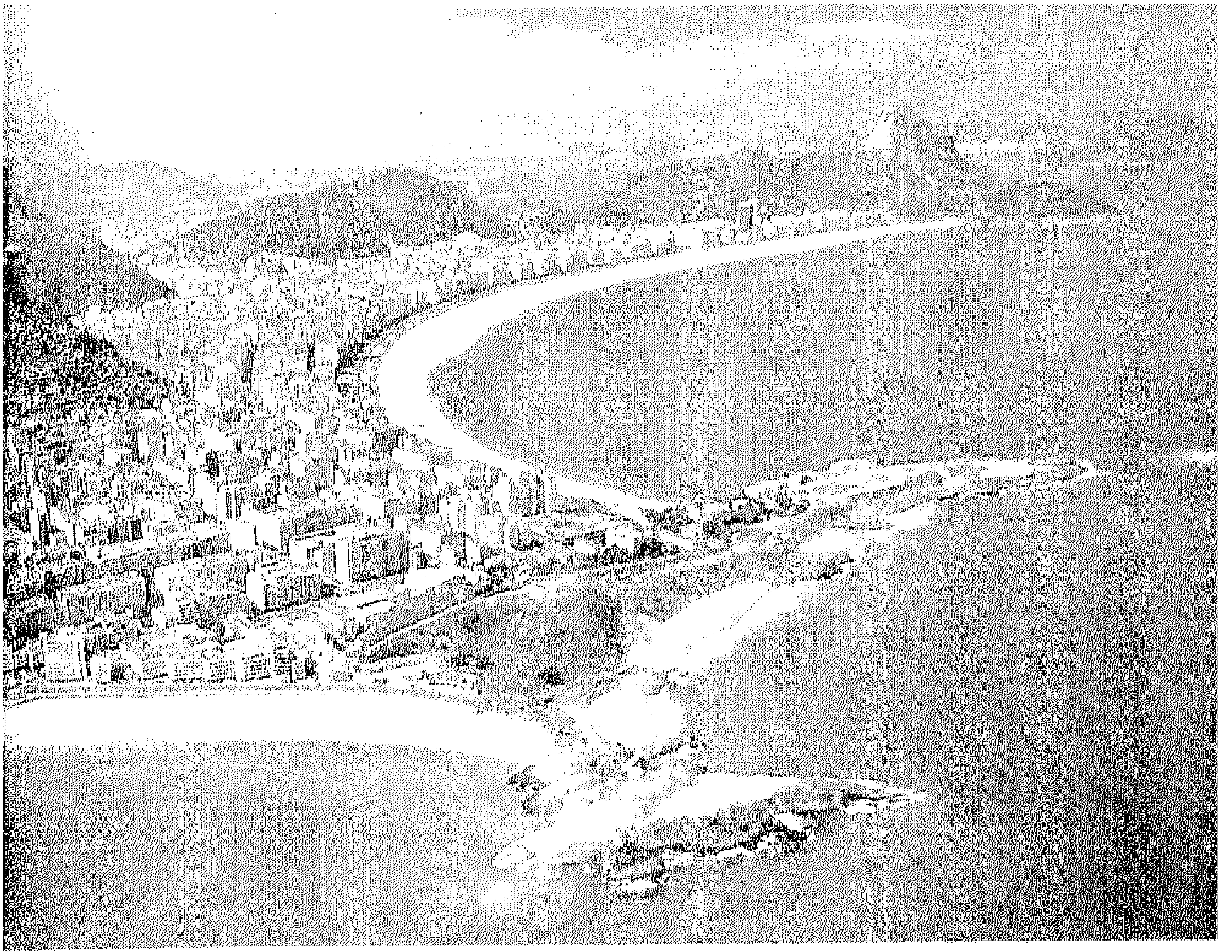
زاد الشدائد

يظن العالم النفساني الامريكي لي سالك أن مهمته هي مساعدة الناس على اكتشاف القدرة الذاتية لحل مشاكلهم. ويقول انه مدين بهذه الفكرة لامه دورا:

"كانت أمي في الثانية عشرة عندما وصلت الى مدينة نيويورك عام ١٩٠١ بعدما أحرق القوزاق جميع منازل قريتها في روسيا. وباشرت العمل فوراً، وهو عمل شاق كان يستغرق ١٦ ساعة يومياً من غير أن يتجاوز أجره أبخس ثمن. وحاولت الالتحاق بمدرسة مسائية، لكنها كانت تنام فوق الكتب من فرط إرهاقها.

"ولم تختفِ المصاعب من حياتها حتى بعدما تزوجت وأنجبت أبناءها الثلاثة. لكن أمي ما فتئت تحثنا على التفكير في ما حصلنا عليه، وليس في ما حُرمناه. وعلّمتنا أن الشدائد تزود المرء قدرة على تذوق الجمال الذي تنطوي عليه أتفه عناصر الحياة. والعبرة التي أخذتها عنها هي الآتية: عندما يشتد حلك السماء، يمكنك أن ترى النجوم."

صحيفة "غايدبوسنس"



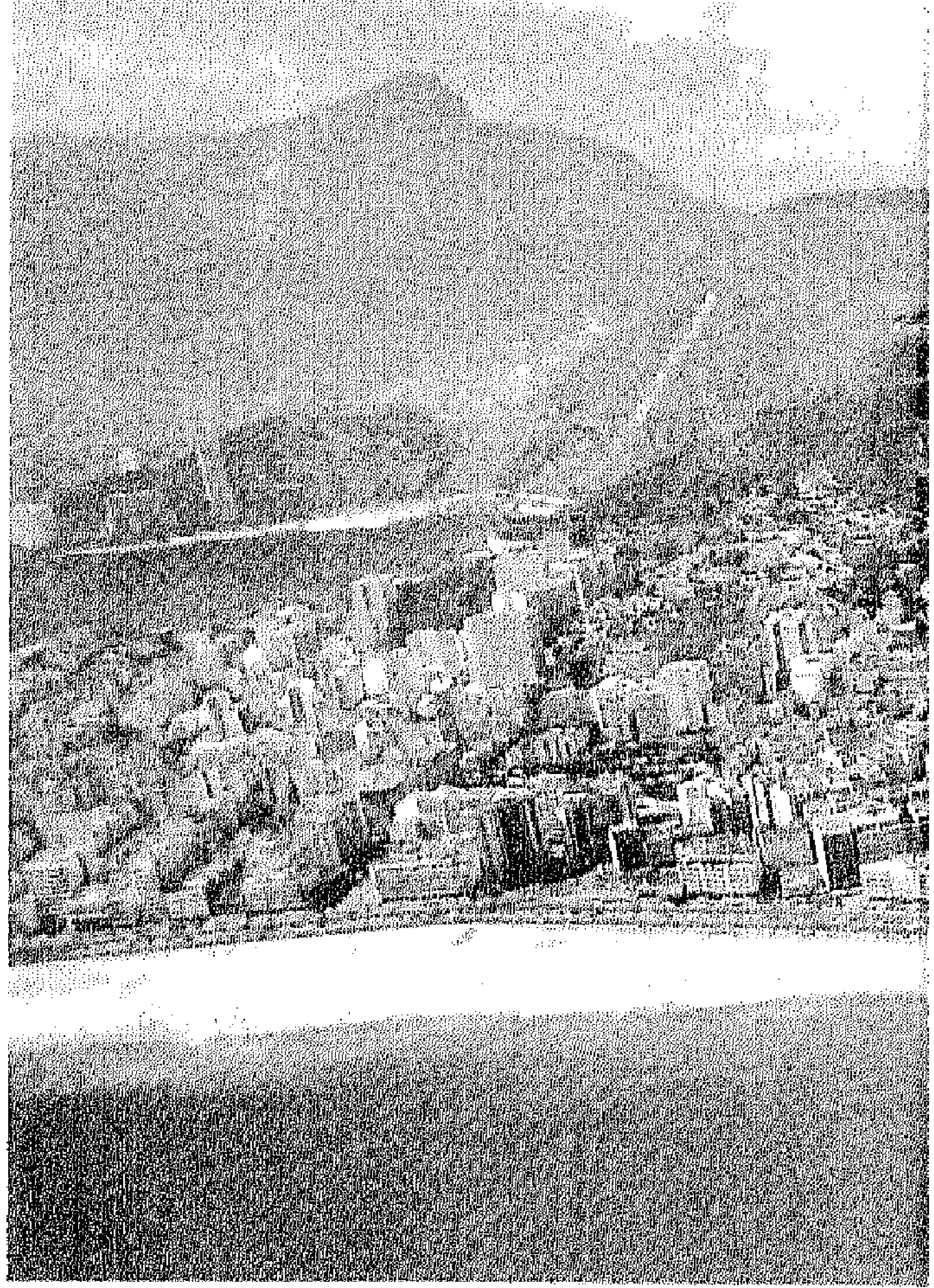
ريو دي جانيرو

بينما كنا نقترب بحراً من مدينة ريو دي جانيرو التي تعد أعظم مدن البرازيل ظهرت أمامنا الجبال والغابات والبحار والشواطىء لتشكل جميعها لوحة فنية متناسبة. وكانت الشمس ترسل اشعتها السماوية من بين السحب الزرقاء الضاربة إلى السواد. وشاهدت على قمة كوركوفادو الواقعة خلف جبل رغيف السكر نصباً كبيراً فوق قاعدة مرمرية، يبدو طوراً بين السحب ويختفي طوراً آخر، فيما راحت المدينة القائمة على بعد ستمئة متر إلى أسفل تومض بخط متصل من ناطحات السحاب البيضاء. وبدت المدينة شديدة الغرابة فلم يكن ينبعث منها أي ضجيج أو رائحة أو قذارة ولم يكن فيها ما ينمّ عن وجود ساكنيها. وخيل إلي أن الربو الواقعة بين الماء والسماء هي مدينة أحلام، وبدت لي أجمل مكان في العالم.

غير أني لم ألبث من خلال زياراتي المتعاقبة للمدينة أن تعلمت التمييز بين

Condensed from «Rio de Janeiro — The Great Cities» by Douglas Botting and the editors of Time — Life Books, text and photographs copyright © 1977 by Time — Life International (Nederland) B.V., published by Time — Life International (Nederland) B.V., Amsterdam

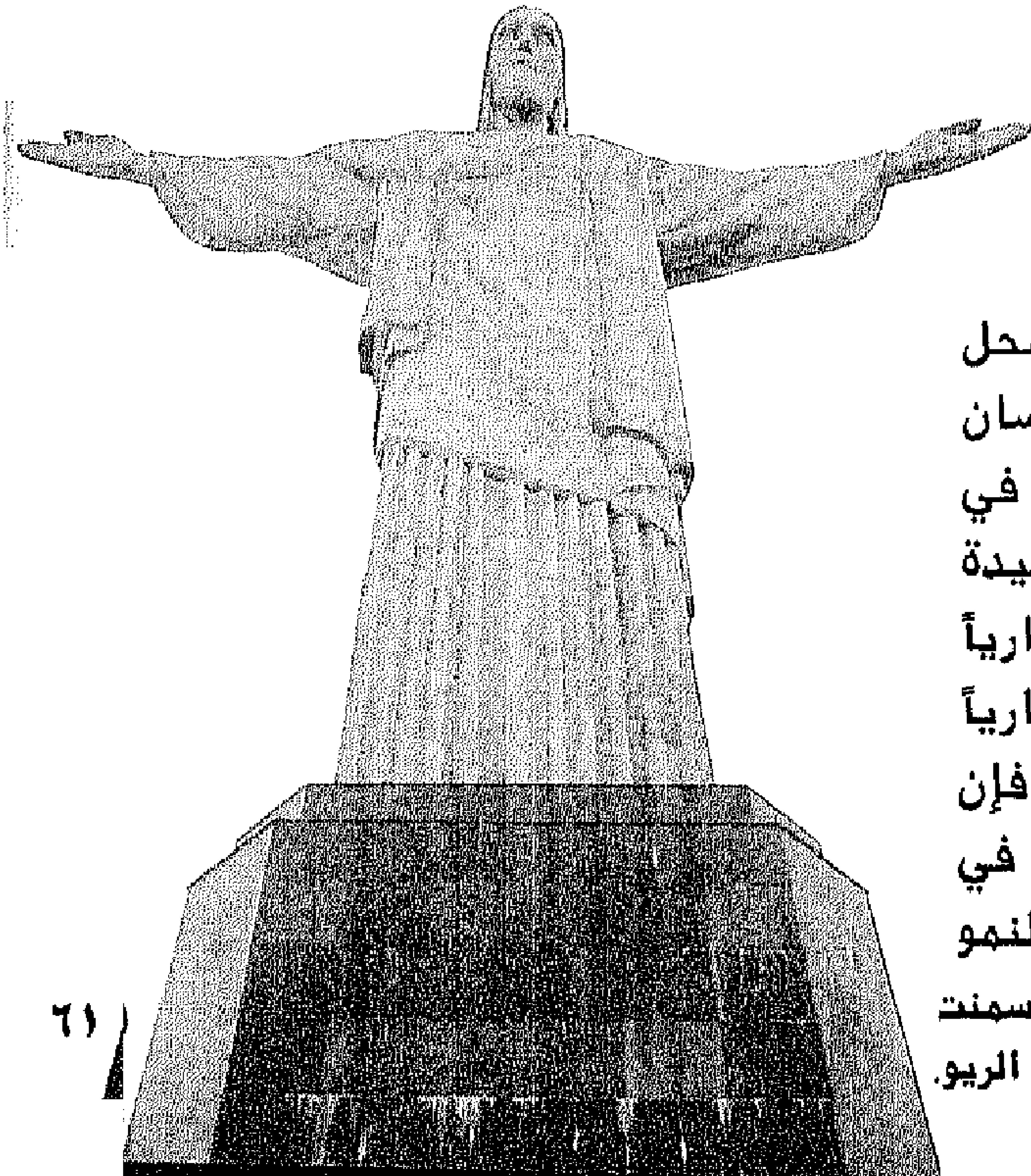
مدينة الريو كما تبدو من المحيط الاطلسي. وفي الجهة الأمامية يظهر شاطىء إيبانيما. والى اليمين نرى شاطىء كوباكبانا. وفي الجهة الخلفية طائفة من الجبال.



مدينة الفرح والحزن والغنى والفقر والعقل والجنون والواقع والخيال

ما هو حلم فيها وما هو حقيقة.

وعلى رغم أن مدينة برازيليا حلت محل الريو لتصبح هي العاصمة، وأن مدينة سان باولو باتت المركز التجاري الأول في البرازيل، فإن الريو تبقى المدينة الوحيدة التي استطاعت أن تكون مركزاً إدارياً وثقافياً وجامعياً وصناعياً وتجارياً ومصرفياً ومركزاً للشحن. وإلى ذلك فإن شواطئها تصلح لأن تكون منتجعاً في فصول السنة جميعاً. واللافت أن النمو



تمثال يزن ١١٤٥ طناً من الاسمنت ويطل من قمة كوركوفادو على وسط مدينة الريو.



خليط من الأكواخ في أحد الأحياء الفقيرة يمتد نزولا من تلة دونا مرتا إلى اطراف المنطقة التي تسكنها الطبقة الوسطى.

السكاني فيها بات ضاغطاً على نحو شديد إذ ازداد عدد سكانها نحو مليوني نسمة بين ١٩٧٠ و١٩٨٠. ولا شك في أن هذه الزيادة كبيرة جداً بالقياس على مجموع عدد السكان الذي يبلغ قرابة خمسة ملايين نسمة.

أغنياء وفقراء – الواقع ان الامتداد الجغرافي للمدينة لا يمكن أن يتجاوز حدود شواطئها. والحاجز الآخر هو جبال الريو الشهيرة. وفي ما يسمى المنطقة الجنوبية تشكل شواطىء كوباكبانا وإيبانيما وليبلون وناطحات السحاب خلفها قطعة من الأرض محشورة بين البحر والجبال بحيث لا يصل الا ثلاثة شوارع الى طرفها الغربي وشارعان الى الطرف الشرقي. على أن هذه المنطقة تشتمل على عُشر سكان المدينة تقريباً وتتضمن ناطحات السحاب فيها بيوتاً للأثرياء تعد من أفخم البيوت وأغلاها في العالم.

أما بقية سكان الريو فيعيشون في الضواحي البعيدة أو في مناطق شديدة الازدحام في قلب المدينة. وتضم الضواحي المنطقة الصناعية وفيها تعيش الطبقة العاملة. والحياة هناك قاسية لا تمت بصلة إلى الحياة الرومنطيقية الفاتنة التي تعمّ شواطىء الريو. بل إن هناك بوناً شاسعاً بين المواطنين الأغنياء وسكان الأحياء الفقيرة التي تعج بالأكواخ وتسمى "فافيلاس". فثمن سكان الريو، أي ما يزيد على نصف مليون نسمة،

يعيشون في هذه الأحياء المزدحمة. وفي الفافيلاس التي بنيت قديماً نجد بيوتاً من القرميد (الآجر). وقد تمكن بعض السكان من الحصول على حق ملكية الأراضي التي بنوا فيها هذه البيوت. أما في الفافيلاس التي قامت حديثاً فقد بنيت المنازل على نحو غير قانوني على التلال أو في الأراضي السبخة.

ويدخل بناء هذه المنازل عادة الخشب والطين والصفيح والحديد المموج. والملحوظ أن بعضها شديد اللصوق بالمنحدرات بحيث تشكل العواصف الاستوائية الممطرة التي تخيم على المدينة خطراً عليها مستمراً. والطرق في هذه الأحياء غير معبدة إلا في ما ندر، والنفايات فيها لا تجمع، وليس فيها شبكات لتصريف المياه. ومعظم هذه الأحياء خلو من المياه الجارية وبعضها لا يعرف نور الكهرباء.

لقد زرت واحداً من هذه الأحياء يدعى منغيرا. وهو كسواه يزخر بالأكواخ المتعددة الالوان والحديد المموّج والاطفال الحفاة والكلاب والغسيل المنشور على الحبال.

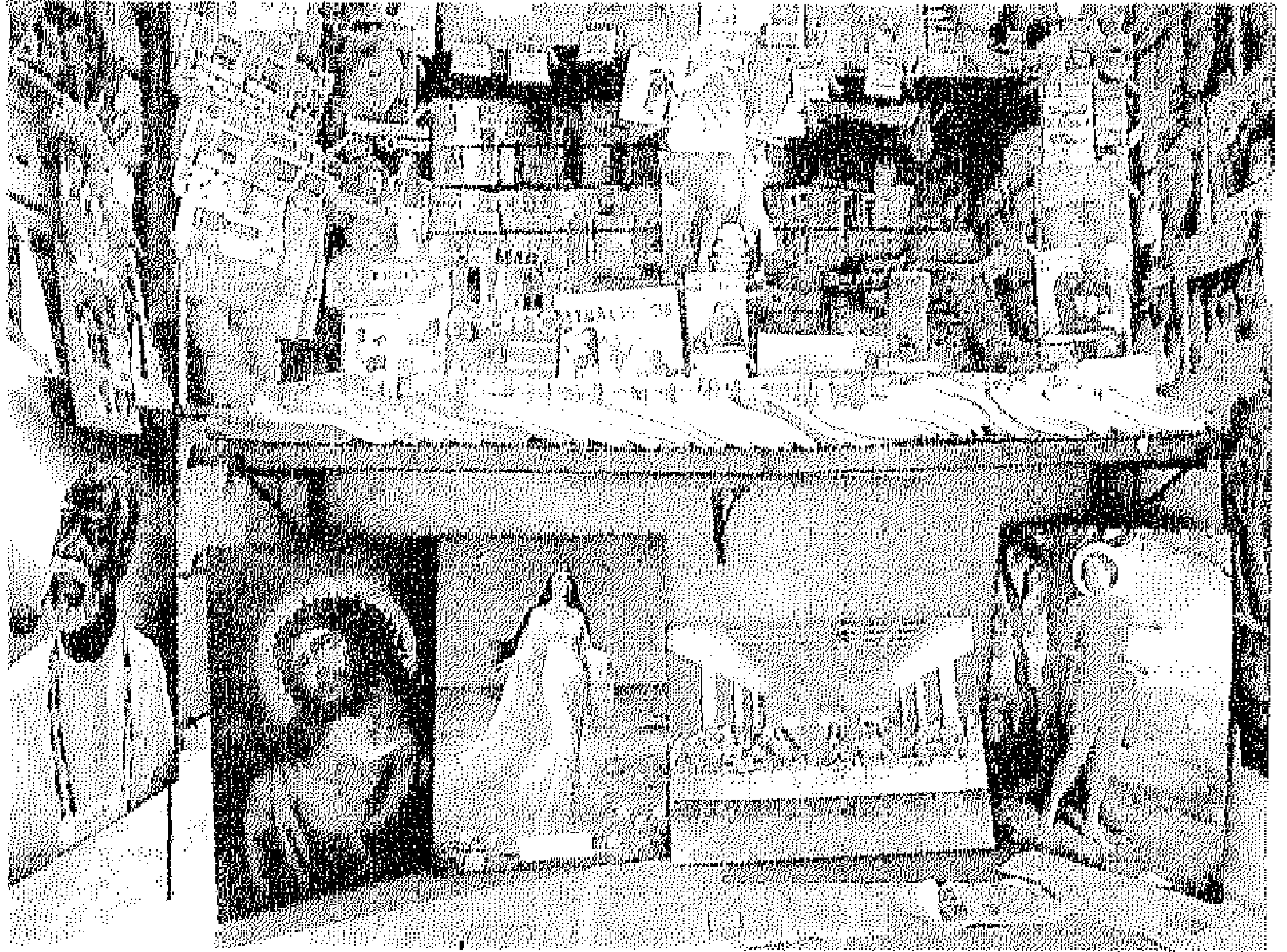
ولكن على رغم تلك الفوضى المتفشية فإن في هذا الحي إحساساً واضحاً بروح الجماعة وبالنظام. ولا شك في أن أكبر الفضل في ذلك يرجع الى معهد منغيرا لتعليم رقصة السامبا. ويقع هذا المعهد في قصر السامبا في أسفل التلة، وهو من أشهر نوادي كرنفال الريو التي تضم ألوفاً من الأعضاء يطوفون عبر المدينة أثناء الاحتفال الذي يسبق الصوم الكبير. وهناك أيضاً شارع يصل إلى أعلى التلة.

من هذا المكان جعلت أنظر الى منطقة الضواحي التي يُتوقع لها الازدهار. وعجبت كيف فات المستثمرين أن يتنبهوا إلى ما في هذه الأحياء من مناظر رائعة.

كرنفال الريو – خلال شهر فبراير (شباط) ترتفع حرارة الطقس في الريو ويرافقها ارتفاع في صخب الناس وهياجهم تمهيداً لمشاركتهم في طقوس الفوضى التي تصحب الكرنفال. وبينما كنت أتناول الغداء يوماً في مطعم في الهواء الطلق طرق سمعي صوت الطبل مؤذناً ببدء الكرنفال. وهذا الطبل هو السوردو الكبير الجهير الذي يستعمل في موسيقى السامبا. ومن الآلات الموسيقية الأخرى التي تستعملها الفرق عندما تعزف في شوارع الريو يوم الكرنفال الدف والطبلة المطوقة بالأوتار والطبلة الصغيرة والبوق والمتردِّدة والسَّكسيّة، تلك الآلات التي تملأ الفراغ بين أنغام الـ"بوم... بام... بوم... بام" المنطلقة من الطبل الكبير.

ولم ألبث أن أخذت أردد متعجباً: "أوبا! أوبا!" ثم شرعت أغني بجرأة أكبر: "أوبابا – أولا – أو – بابا!" وكان الناس حولي ينشدون هذه الكلمات المنتخبة من أغنية سامبا فاتنة أُعدت لمعهد منغيرا. وكانت هذه نشقتي الأولى من أريج الكرنفال.

وتبدأ المهرجانات يوم السبت الذي يسبق أربعاء الرماد وتستمر أربعة أيام وأربع ليال. وتشتمل على كرنفال يقام في مكان مغلق وعلى حفلات راقصة عامة



"كشك" لبيع الصحف والتذكارات.

وخاصة وعلى كرنفال آخر يقام في الهواء الطلق تتخلله عروض يؤديها بعض الهواة في الشوارع، إضافة إلى العروض العامة الكبرى التي تؤديها فرق محترفة تخرّج أفرادها في أشهر معاهد تعليم السامبا.

والواقع ان ملك الكرنفال يذهب بعد ظهر يوم السبت الى النوادي والمراكز في أنحاء الريو آمراً ببدء المهرجانات. فتتدفق على الشوارع فرق موسيقية من كل لوِن ويتحلق الناس حولها مستمعين متمتعين وهم يرتدون الأزياء التنكرية.

والمعلوم أنه كلما كان الزي مغرقاً في الغرابة كان استحسان الناس له أكبر. وقد رأيت أحد الراشدين يدور في عربة للأطفال كما رأيت طفلا يلبس قناعاً بشعاً لرجل طاعن في السن. كذلك شاهدت رجالا يتنكرون كهياكل عظمية وسوداً طليت أجسادهم باللون الأبيض وبيضاً طليت أجسادهم باللون الأسود.

وكان يطغى على المكان صوت الطبول والدفوف والأبواق بينما استسلم الناس في أرجاء المدينة إلى ضرب من الجنون الجماعي.

وفي المساء أقيمت حفلات تنكرية راقصة خاصة بالأثرياء في نواد خاصة وفي بعض الفنادق.

قناع الحقيقة - يوم الاحد دأب راقصو السامبا طوال فترة بعد الظهر على "النزول من التلة إلى الاسفلت" على حد تعبيرهم. وجعل فقراء الريو يغادرون أكواخهم المظلمة المكتظة وقد أبدلوا ثيابهم بأخرى مبهرجة ليحتشدوا حول رايات معاهد السامبا ويتأهبوا لعرض الكرنفال الكبير.

والحق أنه لا يسعني أن أتخيل شبيهاً لهذا العرض الذي يتسم بأبهة يختلط فيها السرور بالأسى والعقل بالجنون والحقيقة بالحلم. فالفرق المشاركة ظلت تجوب شوارع المدينة ليل الأحد وصباح

الاثنين، وتضمن المشهد منصة كبيرة عائمة عليها الدلافين وأفراس البحر والحيتان كما تضمن يداً بلاستيكية في حجم شاحنة وحورية بحر ذات ذيل فضي طويل ومجموعة يمثل كل من أفرادها الملكة نفرتيتي وفرقة موسيقية من السلاطين والمهراجات وخمسين شمساً في زي ملوك الانكا (*). وأخيراً اقترب راقصو السامبا القادمون من حي منغيرا ومعهم فرقتهم الموسيقية وتعالت ألوف الأصوات تردد: "أوبابا – أولا – أو – بابا."

وشهد مساء الاثنين ونهار الثلثاء ومساؤه مزيداً من الرقص والحفلات الخاصة والعروض والفرق الموسيقية. وعندما بزغ فجر أربعاء الرماد رحت أطوف في شوارع مدينة منهكة وأنا أجر قدميّ بين أعلام الورق القديمة وبقايا أزهار الورق المتناثرة التي تكسو الشوارع. ومن خلال نور رمادي باهت شاهدت أشخاصاً سقطوا عند مداخل البيوت وفي القنوات.

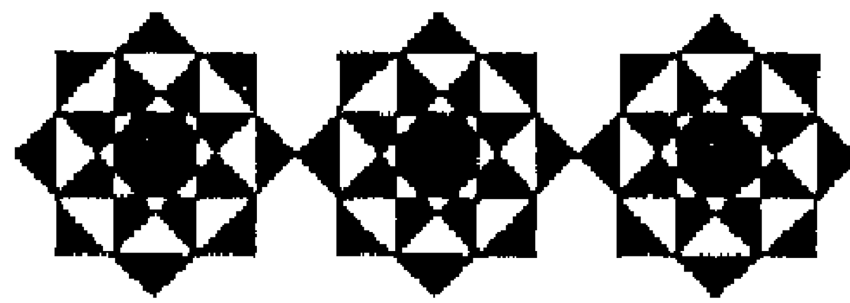
وقد رسخت في ذاكرتي كلمات أغنية رائعة ألفت لمناسبة كرنفال ١٩٧٠ وجاء فيها ما يأتي:

"أنا اليوم لا أريد أن أتعذب،
أنا اليوم لا أريد أن أبكي،
... أريد أن أتلاشى بين الجماعة."

والحق أن الكرنفال هو احتفال ذو معانٍ تحتمل تفسيرات متنوعة. وهذه الأغنية تؤكد ما كنت أراه في الريو عموماً وهو أن القناع الذي يكشف عن ابتسامة عريضة يغلف أحياناً وجهاً مفعماً بالحزن والقلق.

دوغلاس بوتينغ ■

(*) سلالة حكمت البيرو من القرن الثالث عشر الى الاستعمار الاسباني. وكانت لهذا الشعب حضارة غنية.



مفهوم الوقت

سمعت ابن ست سنوات يفسر كيف يعرف الوقت، قال: "أرفع سماعة الهاتف وأطلب الرقم الخاص بالساعة."

بالنسبة الى معاصري الصغير هذا الذي اعتاد رؤية الساعات الرقمية، يبدو أن الصوت الذي يعطيه الساعة والدقيقة والثانية على الهاتف يفي بالغرض. ولكن هل هذا هو الوقت حقاً؟ الصورة الرقمية أو الصوتية تعطي الوقت من دون محتوى. انها تعطي لحظة من الزمن فحسب، من دون أي معنى للماضي أو للمستقبل.

منذ القرن الرابع عشر طوّر الانسان مفهوماً للوقت مرتكزاً على الساعة ذات الميناء، وهي صفحة تظهر العلاقة بين الوقت الذي انقضى والوقت الذي سيأتي. أما القراءة الرقمية فهي صورة للواقع الحالي فقط وليس لما كان (الثالثة والربع) أو لما سيكون (الثالثة الا ربعاً). وتصف الكاتبة ناتالي بابيت كيف تكون الحياة من دون الاحساس بمرور الزمن: "نحن هنا، موجودون فحسب، كصخور على جانب الطريق."

حقاً ان القراءة الرقمية للوقت تظهره جامداً كالحجر.

م.ب.ك.

السّعُوط قاتِلٌ بلا دخان

كان الشاب الرياضي يتمتع بصحة ممتازة، فما الضرر إذا تناول بعض السعوط؟ وهو لم يدرك حجم الأخطار الكامنة في التبغ غير المدخن إلا بعدما فات الأوان

نظر الدكتور كارل هوك الى البقعة الحمراء الملتهبة بوسطها الأبيض المتحجر وقطرها البالغ نحو ثلاثة سنتيمترات. وتبادر الى ذهنه أن بقعة كهذه يجوز العثور عليها في فم عجوز هرم يتناول السعوط منذ حداثته وليس على لسان الطالب الثانوي ابن الثامنة عشرة الجالس أمامه. وقال طبيب الحنجرة: "إنني متأسف يا شون. فالأمر لا يطمئن، والأحرى بي أن أستأصل قطعة منها لدراستها مجهرياً."

وذهل شون مارسي للخبر. فهو لا يدخن ولا يعاقر خمرة. وكيف له ذلك وهو الحائز ثماني وعشرين ميدالية في سباق البدل لمسافة أربعمئة متر. وهو عريض المنكبين يبلغ طوله ١٦٥ سنتيمتراً ووزنه ٥٩ كيلوغراماً. ومنذ صغره كان يعتني بجسمه أشد العناية فيراقب غذاءه ويرفع الأثقال ويعدو مسافة ثمانية كيلومترات يومياً ستة أشهر في السنة. والآن فاجأته هذه المصيبة. فكيف ذلك؟ الجواب انه لم يتوقف يوماً عن تناول السعوط (العطوس) وهو دقيق التبغ

الذي يدخل الأنف أو الفم من دون تدخينه. وكان شون يستهلك علبة كاملة من السعوط كل يوم ونصف يوم، يفرغها في فمه ليشعر بمفعول النيكوتين يسري في عروقه. وكانت هذه العادة شائعة في أوساط رياضيي المدرسة الذين يتحاشون التورط في أمور قد تحرمهم الانتساب الى المنتخب الرياضي. وفي حسرة لا توصف قال شون: "لكنني لم أعلم أن للسعوط آثاراً سلبية. فلا وجود لأي تحذير على العلبة. وكل تلك الاعلانات على التلفاز..."

إستقلالية القرار – تعاطى شون تبغ المضغ، ثم السعوط، مذ كان في الثانية عشرة من عمره. وثارت ثائرة أمه بيتي، وهي ممرضة مجازة، عندما دريت بالأمر. ألم يدرك أن التبغ مضر وخطر على الصحة، بدخان كان أم منَ دون دخان؟

لكن شون رفض تصديقها. فهل يعقل أن يروّج أشهر نجوم الرياضة للسعوط على التلفاز اذا كان مضراً؟ حتى مدربه جيم بريغانس الشديد التمسك بالقواعد الصحية لم يبدِ معارضة حين عرف أن لاعبي فريقه يتناولون السعوط. وأخيراً توقفت بيتي عن إثارة هذا الموضوع. فالواضح أن كبير أبنائها الخمسة كان يتمتع باستقلالية القرار.

وكانت تربية الأولاد عبئاً ضاغطاً على بيتي، فهي أرملة وتعمل ليلا في المستشفى في مدينة أدا بولاية أوكلاهوما. ثم جاءها شون بهذا القرح البشع. وكانت نظرة واحدة إليه كافية لتحطيم فؤادها. وتوصل الدكتور هوك الى نتيجة محتمة: "أنا آسف يا شون، فعلينا بتر هذا الجزء من لسانك."

واستولى صمت مطبق على الطالب التعس الذي سأل أخيراً: "هل سأتمكن من الاشتراك في سباق المضمار الذي تنظمه الولاية هذا الاسبوع؟ ثم ألحق سؤاله بآخر: "وهل سأتخرج الشهر المقبل؟"

وأومأ الدكتور هوك برأسه إيجاباً.

البتر الضروري – يوم السادس عشر من مايو (أيار) ١٩٨٣ أجريت الجراحة في مستشفى فالي فيو في مدينة أدا. وتبين من نتيجتها أن الجزء الذي أزيل من لسان شون كان أكبر مما توقعه الدكتور هوك. والأسوأ من ذلك أن الفحص المجهري أظهر تورماً خبيثاً. وهكذا وافق شون على المعالجة بالأشعة فور زوال الورم من فمه.

ولكن قبل مباشرة هذا العلاج اكتشفت عقدة لمفوية متورمة في رقبته، مما ينذر بأن السرطان تفشى. وبات ملحاً اجراء جراحة جذرية في الرقبة. ونصح الدكتور هوك باللجوء الى الخيار الأصعب والأقسى، ألا وهو إزالة الجهة اليمنى من الفك السفلي ومجمل العقد اللمفوية والعضلات والاوعية الدموية ما عدا الشريان السباتي الذي يمد الرأس بأسباب الحياة. وقد يحدث بعض التغوّر في الوجه، إلا أن الذقن كفيل بحفظ القسمات عموماً.

واستسلمت بيتي للنحيب. ثم طلب من شون أن يوافق على عملية البتر التي ستجرى له. وما أقساها لحظة لفتى نيّق لمظهره كان يؤثر ابتلاع جرعة التبغ على

أن يمسك وهو يتفلها. وجلس وأمه ساكنين لعشر دقائق نطق بعدها بصوت خافت: "أوافق بشرط ألا تمس عظم الفك."

وأجابه الدكتور هوك بعطف: "حسنا يا شون، ولكن علينا ازالة كل ما ذكرت، فهذا هو الحد الادنى."

في العشرين من يونيو (حزيران) أخضع شون لجراحة ثانية استغرقت ثماني ساعات. وفي ذلك الشهر تجمع نحو مئة وخمسين من طلاب مدرسة تاليهينا ومعلميها ليكرموا بطلهم الرياضي المتفوق. ولم يتمكن شون من حضور الحفلة لتسلم جائزته.

وزار المدرب بريفانس يرافقه أحد معاونيه منزل آل مارسي، وهو عربة مقطورة على عجلات، لتقديم الجائزة الى شون والاطمئنان الى صحته. وحاولا ألا يحدقا الى الندب الضخم الممتد من شحمة أذنه الى عظم صدره. وشكرهما شون وبسمة مرة على زاوية فمه.

المرحلة الأخيرة – استعاد شون عافيته على نحو عجيب. فعندما فحصه الدكتور هوك في أغسطس (آب) لم يبدُ عليه أي أثر من محنته سوى ندب الجراحة الأبيض. وكان عولج بالأشعة لخمسة أسابيع. واستقبل شون طبيبه بحماسة شديدة، وكان سعيداً لبقائه في عالم الأحياء. وفيما الطبيب يقود سيارته عائداً الى مسكنه أخذ يفكر: "انه يؤمن بأن بنيته القوية قادرة على قهر المرض. عساه يفوز في هذا السباق أيضاً."

ولكن في اكتوبر (تشرين الأول) بدأ شون يتعرض لنوب صداع حاد. وأظهر مسح بالتصوير الطبقي المحوري الموجه بالدماغ الالكتروني (*) امتدادين توأمين للورم الخبيث، أحدهما يتلوى نزولا في ظهره والآخر يلتف عند قاعدة دماغه.

أخضع شون لجراحة ثالثة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣. وحدث ما كان يخشاه، فأزيل عظم الفك واستؤصلت أعضاء أخرى عزيزة. وبعد مضي عشر ساعات على طاولة الجراحة كانت أربعة مصارف للافرازات تخرج من جرحه الهلالي الشكل ونتأ أنبوب تنفس من فتحة في حلقه وخرج أنبوب تغذية من أنفه، اضافة الى أنبوبين في أوردة يديه. ورنا شون الى أمه وكأنه يقول: "يا الهي، لم أعرف يا أمي أنني سأتألم الى هذا الحد."

ونقل شون الى بيته لمناسبة عيد الميلاد. وبقي متمسكاً بتفاؤله الى أن اكتشف في أحد أيام يناير (كانون الثاني) ورماً في الجهة اليسرى من رقبته. وفي وقت لاحق ردت بيتي على الهاتف حين اتصل الطبيب ليبلغها نتيجة الفحص المجهري الجديد. وأدرك شون مدى سوء الأخبار من الدموع الصامتة التي ترقرقت على خديها. وما إن أقفلت الخط حتى ارتمى بين ذراعيها. وللمرة الأولى منذ بدء كابوسه المريع انفجر شون مارسي الشجاع الذي لا يقهر بالبكاء كطفل رضيع.

وبعد دقائق انتصب قائلا: "لا تقلقي يا أمي، سأكون بخير." كان لا يزال يؤمن بقدرته على المقاومة الى النهاية.

(*) Computerized Axial Tomography (CAT)

في الأسبوعين الأخيرين من حياة شون احتل سريره الخاص معظم غرفة الاستقبال في البيت. وكان المدرب بريغانس يزوره حاملا في بعض الأحيان مبلغاً من المال جمعه سكان منطقة تاليهينا العارفون بالأحوال المالية الخانقة لآل مارسي.

وحتى النهاية أصر شون على الاعتناء بنفسه، فكان يكمّد جرحه وينظف أنبوب التنفس مراراً في اليوم. ومرة اعترف لأمه بأنه ما زال يلتمس السعوط برغبة شديدة. وأسرّ اليها: "أحياناً أجدني تواقاً لان أمد يدي وآخذ جرعة واحدة." ثم أضاف انه يتمنى لو يستطيع زيارة المدرسة ليرى الرياضيين "كيف يصبح شكلك نتيجة تعاطيه."





مأساة شون مارسي في صورتين.

وكان يعلم أن منظره كاف لاقناعهم بالانقطاع. فقد سبق أن أغمي على أحد زملائه لدى مشاهدته.

وهناك صديق لم يجفل لمنظره هو جون أوديل (٣٩ عاماً) وهو نجم رياضي سابق. وعندما فقد شون القدرة على النطق طلب منه جون أن يخط ما يريد إبلاغه "لاحقاً" الى الرياضيين الشباب. فكتب رسالتين مقتضبتين. الأولى اعتراف بسيط بايمانه بارادة الله، والأخرى التماس ملح: "لا تتناولوا السعوط."

فجر الخامس والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٨٤ ابتسم شون لأخته ماريان ابتسامة متعبة ثم رفع سبابته نحو السماء للحظة. وبعد ساعة فارق الحياة.

قضية موثوقة – في فبراير (شباط) ١٩٨٥ كانت بيتي مارسي بين الشهود الاربعة والخمسين الذين مثلوا أمام إحدى لجان الصحة العامة في ولاية مساتشوستس. وكانت مهمة اللجنة تحديد ما إذا كان السعوط مادة خطرة أم لا. وكانت عائلة مارسي قررت تعميم قصة شون: "فكيف يمكن أن تتحسن الأمور إن لم نتكلم نحن."

وشهد بعض العلماء بأن هناك علاقة أكيدة بين السعوط وسرطان الفم، وهو سابع أنواع السرطان من حيث التسبب في الوفاة في الولايات المتحدة. والعنصر المميت في السعوط مركّبات كيميائية

خطرة تدعى نيتروسامين، يتكون أحدهما في الفم من جراء تفاعل التبغ مع اللعاب. ويعتقد ستيفن هيكت، وهو عالم بالكيمياء العضوية في مؤسسة الصحة الامريكية، أن جرعة من السعوط تحتوي على كمية نيكوتين موازية لتلك الموجودة في سيجارة واحدة، إلّا أنها تولد عشرة أضعاف كمية النيتروسامين.

وانبرى شهود علميون قائلين ان لا دليل علمياً قاطعاً يثبت تسبب النيتروسامين في أي مرض أو يؤكد خطر ادمانه. وأشاروا الى أن هذه المادة سبّبت السرطان لبعض حيوانات التجارب، لكنها لم تؤذِ أي إنسان.

وانضم مندوبو الجمعية الأمريكية للسرطان الى جمعيات طبية أخرى والى باحثي المعهد الوطني للسرطان في التنديد بتعاطي السعوط. وقد لخص الموضوع مساعد وزير الصحة الامريكي روبرت ماكلنبرغ مدير قسم طب الأسنان في وزارة الصحة العامة: "لماذا نسمح لقنبلة كيميائية موقوتة بأن تتكّ في أفواه أولادنا؟"

وقبل وقت قصير افتتح عالم الصحة إلبرت غلوفر من جامعة كارولينا الشرقية في مدينة غرينفيل عيادتين لدراسة سلوك الأشخاص المنقطعين عن تناول التبغ غير المدخن. وكانت النتيجة أن واحداً فقط من أصل واحد وأربعين استطاع الصمود لأربع ساعات من دون تناول التبغ. ويقول غلوفر: "هذا يعني بالنسبة إلي أن التبغ غير المدخن يمكن أن يؤدي الى الادمان."

ومنذ جلسة مساتشوستس فرضت الولاية ضرورة وضع ملصق تحذير على كل علبة سعوط. وتدرس ثماني ولايات أمريكية أخرى إمكان تطبيق إجراء مماثل.

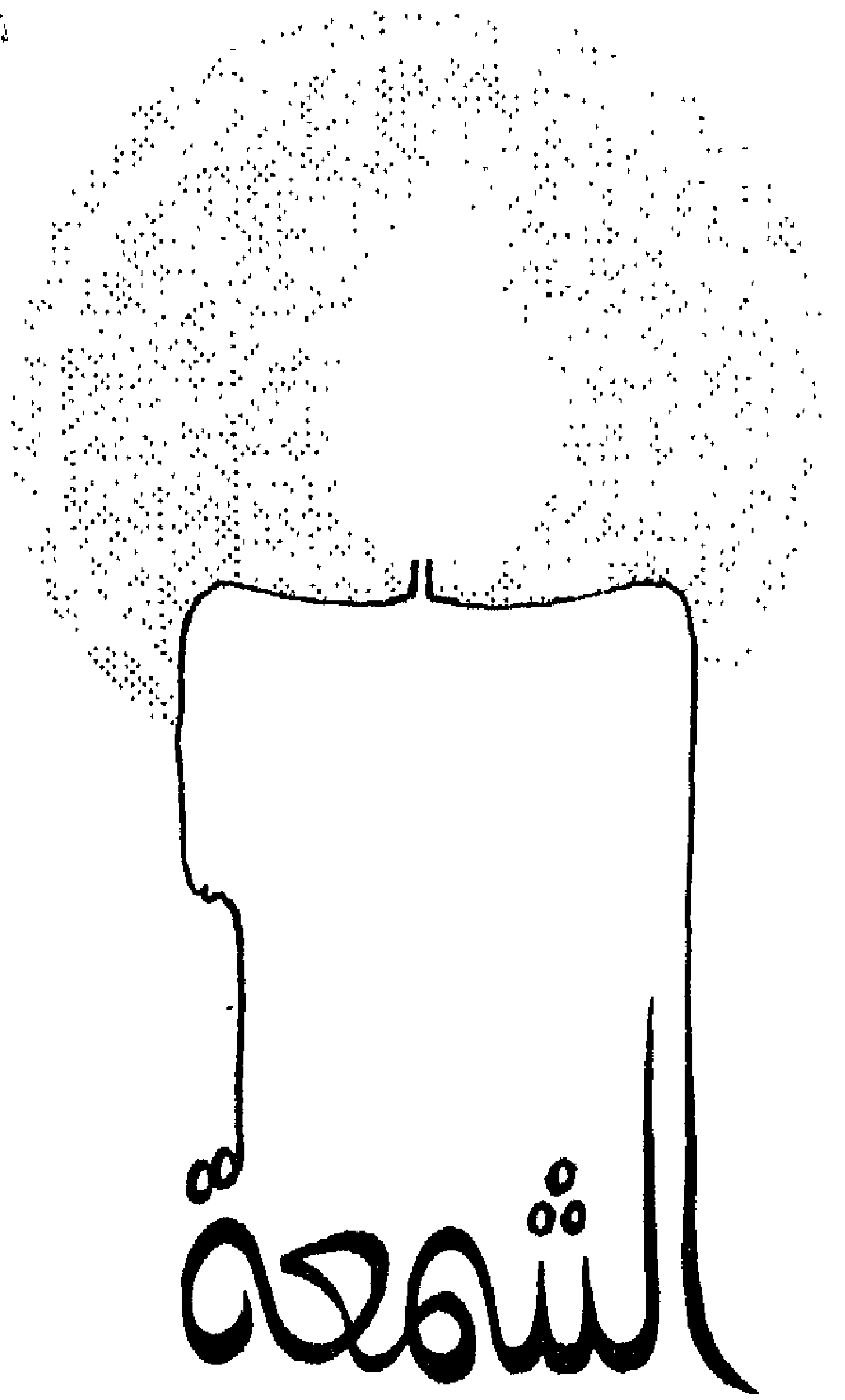
وأعلنت منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة الامريكية أن التبغ غير المدخن يشكل تهديداً سرطانياً. كما أنّ الفريق الامريكي للابحاث المتعلقة بصحة المواطن ناشد لجنة التجارة الاتحادية تعميم ملصقات التحذير. وطلبت اللجنة من وزارة الصحة اجراء مراجعة مستفيضة للأدلة العلمية المتوافرة حول تأثير السعوط في الصحة، وذلك قبل اتخاذ أي إجراءات عملية. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ عقد عضو مجلس الشيوخ الأمريكي هنري واكسمان، وهو رئيس لجنة شؤون الصحة والبيئة المنبثقة من مجلس الشيوخ، جلسة استماع حول موضوع فرض حظر على كل إعلانات التبغ غير المدخن في التلفاز.

ويعترف الدكتور غريغوري كونولي مدير قسم العناية بالأسنان في دائرة الصحة العامة في مساتشوستس: "لا نعلم تماماً مدى تسبب السعوط في سرطان الفم. ولكن استناداً الى المعهد الوطني للسرطان فان خطر الاصابة يتفاقم بالاستعمال المتواصل لهذه المادة."

قبيل مفارقته الحياة قال شون مارسي لأمه انه يعتقد بوجود سبب جوهري لعدم تدخل العناية الالهية لانقاذه. ورأت بيتي مارسي: "أن السبب هو ما نفعله حالياً: الحفاظ على حياة شباب آخرين. فهذه هي وصية شون."

جاك فينشر ■

ريتشارد لوفلايس، شاعر بريطاني (١٦٤٩)



الشمعة

لا، هذه ليست قصة ميلادية، ولا هي رواية عادية. انها تقرير بسيط عن أمر ما حدث في مكان ما. وحتى من هذا المنظور فهي تفتقر الى الموضوعية التي تتميّز بها التقارير عموماً. فهي حدثت قبل ما يزيد على ثلاثين سنة. ومن يكترث لأحداث كهذه اليوم. ولكن في مطلق الأحوال فإن قصة الميلاد الأصلية لم تكن رواية عادية.

وهنالك وجه شبه آخر لافت على رغم أنك قد تجده بعيد الاحتمال. فقصة الميلاد القديمة حدثت في إسطبل. كذلك جرت أحداث هذه القصة قبل ثلاث وثلاثين سنة في إسطبل. والحقيقة انه لم يكن إسطبلا، بل مكان يشبهه كثيراً. كان سقيفة مظلمة يسودها ظلام دامس يتخلله أحياناً بصيص نور خافت. لكن نوراً مجيداً كان يسطع في الخارج على الدوام. فالسقيفة كانت في منطقة إستوائية معرضة لشمس حارقة. لكنها كانت أيضاً مظللة بسماء بديعة ترصعها نجوم متألقة وقمر مضيء أكبر حجماً من الذي نراه في بلادنا. وكان هناك أشخاص يعيشون في تلك السقيفة. والحقيقة أن كلمة "يعيشون" مبالغ فيها، فهم كانوا محشورين هناك. وفي الجوار كانت الشمس والقمر يعكسان ومضات باهتة على الأسلاك الشائكة التي لم تصدأ على مر الزمان. فقد انقضت سنون، أم هي قرون يا ترى؟ كنت تعباً جداً وعليلا جداً وضعيفاً جداً الى حد اني لم أعد قادراً على التفكير في ذلك. في البداية كنت أفكر. أما الآن فكل هذه الاشياء تنتمي الى الماضي السحيق. وكنت آنذاك أواجه الأبدية أكثر مما أواجه اليوم أو الساعة. فالكثيرون قضوا بالجوع أو الزحار (الديزنطاريا) أو بأمراض استوائية

أخرى أو لأنهم سئموا العيش بعدما فقدوا الرجاء.

وجاهدنا لكي نبقى أحياء في معسكر الاعتقال الياباني ذاك. والحقيقة أننا لم نعد نعي لماذا نفعل ذلك. فنحن توقفنا قبل زمن عن رجاء نهاية الحرب والايمان بالتحرير. وكنا نعيش بملل فاقدين الحس وكأننا مخدرون. وانحصرت كل شهواتنا في واحدة كانت تسري في حلوقنا أحياناً وكأننا وحوش مفترسة: الطعام، الطعام، أي شيء يؤكل. لكننا حُرمناه، وفرض علينا تجويع منظم. وكان أحدنا يمسك بين الفينة والاخرى حية أو فأراً. لكن أحد المعتقلين في المعسكر احتفظ بشيء ليأكله. وكان هذا الشيء شمعة عادية. وهو لم يحفظها أصلا ليقتات عليها، فالشخص الطبيعي لا يأكل الشمع. لكنها في النهاية مادة دهنية لا يجوز الاستخفاف بها، خصوصاً عندما لا تشاهد حولك سوى أخيلة هزيلة ترى فيها نفسك.

ولما تمكّن منه الجوع تناول الشمعة التي أخفاها في حقيبة متجعدة وقضمها بدفق. لكنه لم يلتهمها. فهو اعتبرها ملاذه الأخير. وفي يوم قريب حين يفقد الجميع عقولهم من وطأة الجوع سوف يقتات على تلك الشمعة. وأرجو ألا تعتبر ذلك جنوناً أو انحرافاً. فبالنسبة إلي، أنا صديقه، كان الأمر عادياً جداً. والى ذلك كان وعدني بحصة من الشمعة. وأصبح شغلي الشاغل أن أتأكد من أنه لن يفترسها بمفرده. فرحت أراقبه وأتجسس عليه وعلى حقيبته نهاراً وليلا. ومن الجائز أن هذه المهمة أبقتني حياً.

ومرّ يوم اكتشفنا أننا في عيد الميلاد. وحدث ذلك مصادفة بعد حسابات طويلة أجراها أحدهم مستعيناً بأثلام وعلامات في رافدة خشبية. وأخبر الجميع بالأمر ثم أضاف بصوت خفيض: "سنحتفل بالميلاد السنة المقبلة في بيوتنا." وأومأ البعض برأسه موافقاً فيما لم يكترث البعض الآخر. فقد سبق أن سمعنا أمنيات كهذه لسنوات عدة. لكن بعضهم كان لا يزال يتمسك بهذا الامل.

ثم قال واحد: "في ليلة الميلاد تضاء الشموع وسط قرع الأجراس." ولم أعرف ما إذا كان يضمر فكرة أم لا. لكن قوله كان مستغرباً، وكأني به صوت يكاد لا يسمع صادر من ماضٍ سحيق.

ويجدر بي القول الآن ان تلك الملاحظة لم تعنِ الكثير لمعظمنا، فهي كانت تشير الى أمر لا يمت بصلة الى وجودنا. لكن نتائجها جاءت غريبة وغير متوقعة البتة.

ففي المساء حين استلقى الجميع على ألواحهم الخشبية، كل مع أفكاره، والأصح القول من دون أي أفكار، استولى الأرق على صديقي. ثم تسلل الى حقيبته وأخرج منها الشمعة. وتمكنت من رؤية تلك الشمعة البيضاء وسط الظلام الدامس. وتبادر الى ذهني: سوف يأكلها، فليته لا ينساني الآن. ورحت أراقبه من خلال رموشي المطبقة. ولعجبي وضع الشمعة على سريره الخشبي ومشى الى الخارج حيث كانت نار خامدة. ثم رجع بعود صغير مشتعل يتلوى لهبه الصغير كالشبح في أرجاء السقيفة. وحين وصل الى سريره حدثت الأعجوبة، فقد أدنى العود الملتهب وأضاء الشمعة.

ووقفت الشمعة على سريره وهي تشتعل. ولست أعلم كيف لاحظها الجميع للحال. وسرعان ما اقترب الرجال وهم شبه عراة وأجسادهم عظم يكسوه جلد وخدودهم غائرة وعيونهم تتوقّد جوعاً. وتحلقوا بصمت حول الشمعة المشتعلة.

ونادى أحدهم بصوت أجش: "انه الميلاد. والنور يضيء في الظلمة."

وقال آخر: "والظلمة لم تدركه."

حول الشمعة في تلك الليلة لم تكن هذه مجرد كلمات كتبت في أجيال غابرة، بل كانت حقيقة حية، رسالة لنا في تلك الساعة موجهة الى كل واحد منا.

لأن النور أضاء في الظلمة. والظلمة لم تدركه. ولم نكن نحلل الأمر منطقياً في ذلك الوقت، بل كان هذا شعورنا ونحن نتحلق بصمت حول تلك الشمعة المنيرة.

كانت الشمعة مميزة حقاً. فهي ناصعة البياض ورفيعة جداً كما لم أر شمعة من قبل. وكان اللهب المنبعث منها يصل الى السماء. وفيه تراءت لنا أشياء ليست من هذا العالم الفاني. ومهما حاولت فلن أفلح في التعبير عن ذلك. ويشاطرني هذا الشعور كل رفقائي الذين نجوا من الاعتقال. كان الأمر سراً شاركنا فيه. وقد رنمنا بصمت وصلينا دونما كلام. وسمعت أجراساً تقرع وجمهوراً ينشد. أجل، إنني واثق تماماً من ذلك، وهناك أكثر من مئة شاهد على صحة كلامي. وعلى رغم أن معظمهم فارق الحياة، فهذا لا يعني أنهم لم يعلموا بالأمر.

أما مصدر الأناشيد فسيبقى طي الكتمان. واشتعلت الشمعة متوهجة حتى وصل لهيبها الى السقف، ثم تخطاه الى النجوم وأضاء كل شيء ببهاء أبيض عجيب.

ولم ير أحدنا نوراً كهذا في ما بعد. وغمرتنا السعادة والحرية فارتقينا الى العلى وانتفى كل شعور بالجوع، ولم تُشبع هذه الشمعة صديقي وأنا فحسب، بل أطعمت الجميع وقوّتهم.

ثم قال أحدهم بلطف: "سنحتفل بالميلاد السنة المقبلة في بيوتنا." وصدقناه هذه المرّة، لأن الرسالة كانت مكتوبة بأحرف من نار في لهب الشمعة. صدق أو لا تصدق، فأنا شاهد عيان لذلك.

واشتعلت الشمعة طوال الليل. وما من شمعة يمكنها الاشتعال طوال هذا الوقت وبهذا الارتفاع. وعندما انبلج الصبح غنّى بعض الرجال. وهذا ما لم يحدث لسنوات. وخلّصت الشمعة حياة الكثيرين منا، إذ أدركنا حينئذ أن الاستمرار في العيش يستحق العناء، وأننا سنجد بيتاً ينتظرنا في نهاية المطاف مهما يكن اتجاهنا.

وهذا ما حدث فعلاً. فغادر بعضنا قبل عيد الميلاد التالي. وهم الآن أحياء يرزقون. وهم يجدون شموع الميلاد اليوم صغيرة الحجم بعدما رأوا نوراً أعظم ما زال يتلألأ الى الآن.

كذلك وصل معظم الآخرين الى "بيوتهم" قبل حلول عيد الميلاد التالي. وساعدت في إنزالهم تحت الثرى خلف معسكرنا في بقعة جافة من المستنقع. لكن عيونهم لم تكن مظلمة ساعة وفاتهم، بل كانت تحمل نور تلك الشمعة الغريبة، النور الذي لم تغلبه الظلمة.

وليم برانت ■

اشترك في يانصيب كندا العالمي الشهير

مليُون دُولار نقدًا*
قد تكون من نصيْبك

جوائز دورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار

١١٦ سحبا في السنة لها جوائز مقدارها ٣٠ مليون دولار كل سنة

٣٦٠ مليون دولار يربحها المشتركون سنوياً في ثلاثة سحوبات كندية رئيسية. وفي كل شهر يربح المشتركون اربع جوائز بقيمة مليون دولار. اكثر من ٥٠٠ من حاملي اوراقنا السعيدي الحظ صاروا اصحاب ملايين خلال السنوات الخمس الماضية. والآن بات في امكانك الاشتراك في سحوبات اليانصيب الكندي، وهي السحوبات التي تعتبر صاحبة الرقم القياسي في المبالغ التي تدفعها للرابحين في العالم اشترك لمدة سنة واحدة ويصبح لك الحق في الاشتراك في ١١٦ سحبا. ففي كل شهر، ولمدة ١٢ شهراً متتالية، تتسلم البطاقات المشروحة في ما يأتي:

الـ٦٠٠ دولار، قيمة اشتراكك، تخولك في كل شهر ولمدة ١٢ شهراً الاشتراك في عدد مدهش من سحوبات يبلغ مجموعها ١١٦ سحباً:

- بطاقة يانصيب "سوبر".
- بطاقتان اقليميتان (بروفنجال).
- خمس بطاقات "وسترن - اكسبرس".
- بطاقات جوائز فورية تصل قيمتها الى ١٠،٠٠٠ دولار، وهي تبقى في حوزتك للاشتراك في السحوبات السنوية.

تصلك بطاقاتك في كل شهر ضمن مغلف مختوم. وهي تختم حال طباعتها بواسطة نظام الكمبيوتر الخاص بيانصيب الحكومة الكندية الاقليمية.والبطاقات لا تحمل اسماء او عناوين. والارباح لا تخضع للضرائب.

فبطاقات اليانصيب الكندية هذه هي فريدة في نوعها، اذ ان جميع السحوبات تجرى على البطاقات المبيعة فعلا، وليس على ارقام كمبيوترية قد تكون بينها أرقام بطاقات غير مبيعة.

نسبة حظك في الربح هذه السنة هي واحد من أربعة!

اليانصيب الكندي يقدم احتمالات غريبة مستحبة. فخلال الـ١٢ شهرا المقبلة تكون لديك.

- ٤٨ فرصة لربح مليون دولار.
- ١٢٠ فرصة لربح نصف مليون دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ١٠٠،٠٠٠ دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ٥٠،٠٠٠ دولار.
- ١٥٢٤ فرصة لربح ١٠،٠٠٠ دولار.
- آلاف الفرص لربح ٥٠ دولارا حتى ٥،٠٠٠ دولار.

زائدا، جوائز فورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار بالاضافة الى السحوبات المنتظمة. وبخلاف سحوبات اليانصيب الاخرى، من المضمون اشتراك رابحي الجوائز الفورية وبصورة متتابعة في جميع السحوبات الشهرية.

كيف تعرف انك ربحت؟

في كل شهر تتسلم نشرة رسمية تتضمن الارقام الرابحة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة. وما تربحه لا يخضع لأي ضريبة، وفي امكانك تقديم ورقة اليانصيب الرابحة الى المصرف أو أي عنوان تختاره. وتتم معاملة القبض بالكتمان، ويبقى اسمك غير معروف. وتبقى جميع البطاقات الرابحة صالحة للاشتراك في السحوبات لمدة سنة واحدة.

★ يجرى دفع المبالغ التي تربحها بالعملة الكندية الثابتة. وارباحك تكون معفاة من الضريبة وترسل مكتومة الى المصرف او اي عنوان تختاره. وقد تخضع هذه الارباح لقوانين الضرائب في مكان اقامتك.

تسلم ارباحك المعفاة من الضرائب بسرية تامة

اشترك فيه الآن واستمتع بالاثارة طوال العام!

لا يمكنك ان تربح من دون بطاقة، اشترك اذن الآن، ولن يكلفك الاشتراك لمدة سنة اكثر من ٦٠٠ دولار امريكي. وهذه القيمة تشمل جميع رسوم الخدمات بما فيها اجور البريد وغلافات البطاقات وقوائم الارقام الرابحة المصادق عليها. ولكي تحصل على فرصة العمر للربح الوفير، املأ القسيمة وارسلها مرفقة بشيك (بالدولارات الامريكية فقط).

الشيك مدفوع لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى

Capital Distribution Services 1009
220 Portage Avenue
Winnipeg. Manitoba R3C OA5 CANADA
TELEX 07-55-871 PHONE 204-947-6743

او ادفع بواسطة بطاقة **AMERICAN EXPRESS**

املا القسيمة. وارفق شيكاً مدفوعاً لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى **Capital Distribution Services 1009**
220 Portage Avenue
Winnipeg, Manitoba R3C OA5 CANADA

- ٦٠٠ دولار لمدة ١٢ شهرا للاشتراك في برنامج السحب الكندي.
- ٣٥٠ دولارا اشتراكا تجريبيا لمدة ٦ أشهر.

الرجاء الكتابة بوضوح او على الآلة الكاتبة:

الاسم الكامل ______
______
الشارع ______
______
ص.ب ______ المدينة ______
هاتف ______ تلكس ______

او ادفع بواسطة بطاقة:

American Express
☐ **Card N°** ______

Expiration
Month ______ **Year** ______

Signature ______

ARRD 01 86

CAPITAL DISTRIBUTION SERVICES:
OFFICIAL LICENSEE OF CANADIAN GOVERNMENT LOTTERIES.

أغاثا كريستي:
المجرمون يولدون في مغطس الحمام

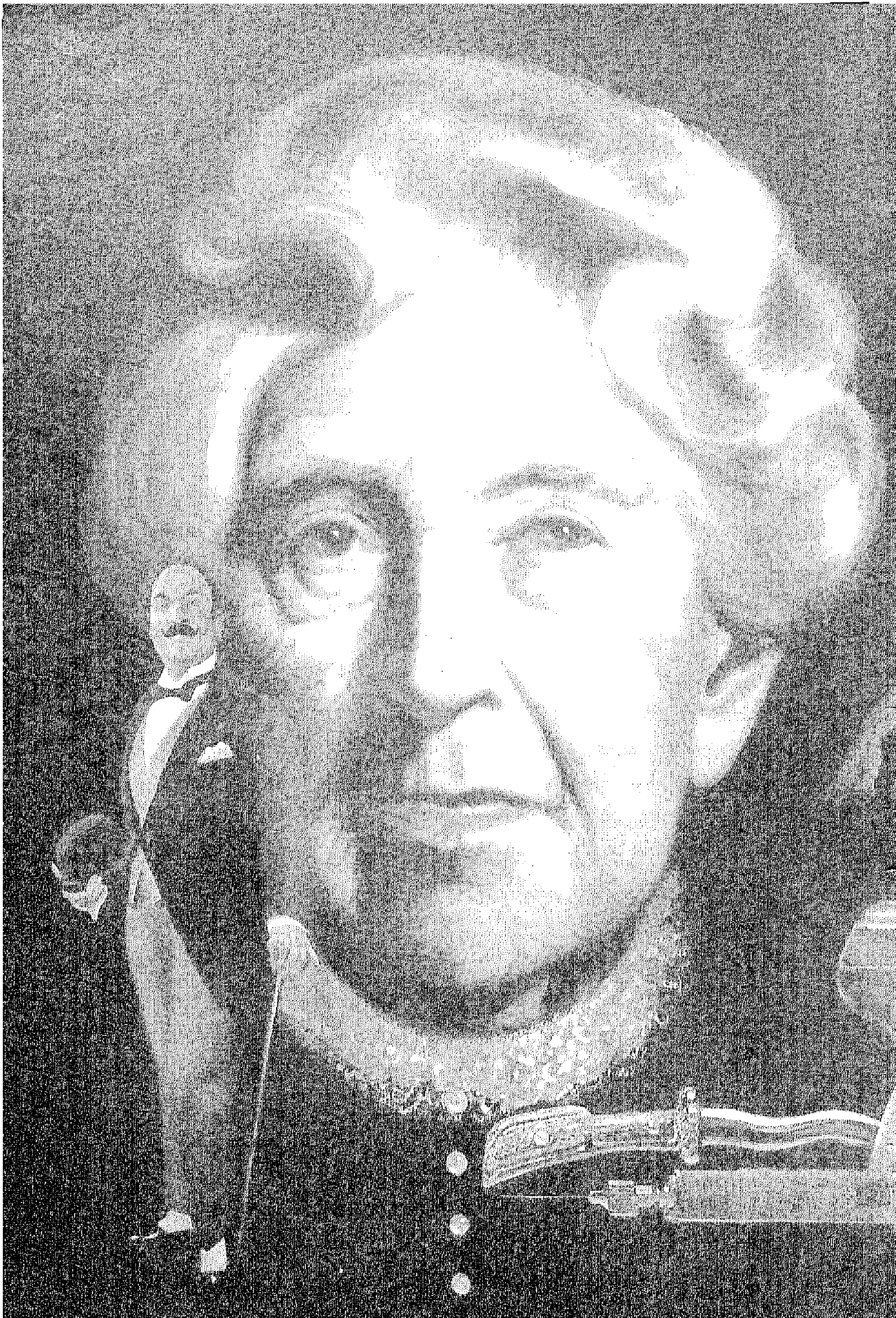
من لم يقرأ لهذه الكاتبة الخجول التي تبوأت المرتبة الاولى بين الادباء البريطانيين بمن فيهم شكسبير؟

وصلت البريطانية الخجولة المتوسطة العمر الى أكسفورد لتحتسي الشاي بعدما اشترت كتاباً جديداً عن السموم من مكتبة بلاكويل. وتتذكر صديقتها هيتي هاميلتون: "كانت تصغي الينا بانتباه حين نخاطبها. ولكن ما ان نوجه حديثنا الى سواها حتى تسترق النظر الى كتابها. وكان شوقها لا يوصف لمعرفة كل جديد في عالم السموم."

في كل مراحل حياتها الطويلة سعت أغاثا كريستي الى اشباع فضولها اللامحدود للأشياء الغريبة كالسموم. وساعدها ذلك في إتقان جرائمها الخيالية. وهي التي لقبت "أميرة الموت" وحازت رقمين قياسيين عالميين.

وخولها إتقانها ألغاز الجرائم أن تصنف أشهر كاتبة روائية في عصرها. فارتفعت مبيعات كتبها البوليسية الثمانين الى ما يزيد على ٥٠٠ مليون نسخة. ومنحت عام ١٩٧١ لقب "السيدة الضابطة في الامبراطورية البريطانية"

Illustration: Dennis Luzak



تقديراً لانجازاتها. وفي مجال المسرح أيضاً تتألق أغاثا كريستي. فالمعروف أن أطول عرض متواصل أبداً كان لمسرحيتها "فخ الفأر" التي افتتحت في لندن يوم الخامس والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٢ وما زالت مستمرة الى يومنا هذا، وهي ترجمت الى ٢٥ لغة ومثلت في ٤٣ بلداً.

وعلى رغم وفاة أغاثا كريستي قبل عشر سنين، في الثاني عشر من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦، فما زالت مبيعات كتبها تسجل ارتفاعاً ملحوظاً. ويبدي الجمهور اهتماماً متزايداً بمؤلفاتها. ويعود ذلك جزئياً الى اقتباس السينما والتلفزيون الكثير من رواياتها. وكما كتب جون أوكونور في أحد أعداد فبراير (شباط) ١٩٨٥ من صحيفة "نيويورك تايمس": "يبدو التلفزيون بارزاً وسط كل مهرجانات أغاثا كريستي." وذكر في سياق مقاله برنامج "لغز" الذي قدم فيه التلفزيون قصص كريستي غير المعروفة. كما كشف عن نية شبكة "سي بي إس" الامريكية إعادة هيلين هايس لتمثل دور الآنسة ماربل في رواية "جريمة المرايا". وهنا أسماء قليلة تضمها لائحة طويلة من الافلام المقتبسة عن رواياتها: "جريمة في قطار الشرق" و"ثم اختفى الجميع" و"الموت على النيل".

اهتمامات شخصية – لا ينكر أحد أن كتب أغاثا كريستي ومسرحياتها خالدة لا تنسى. ولكن من أي طينة كانت هذه السيدة التي أنتجت كتابها الثمانين في السن الثمانين وتبوأت المرتبة الاولى كأكثر الكتاب البريطانيين قرّاء في العالم، يليها شكسبير في مرتبة ثانية هزيلة؟

بالنسبة الى ابنتها الوحيدة روزاليند هيكس كانت أغاثا منعزلة وخجولة تجد سعادتها في عمل ما تحب بين أناس تحبهم وفي أماكن محببة. وتفاوتت مسراتها بين العزف على البيانو والغناء في منزلها في غرينواي، وكانت عازفة ومغنية ممتازة، والسباحة مع روزاليند في توربـاي وممارسة كرة المضرب والكروكي (★). ومن طفولتها الى شيخوختها سرّتها المباهج البسيطة كالتهام دراقة طازجة في أحد أطباق الفواكه المتوارثة في العائلة. ولدى قراءة وصفها لهذه الأطباق في مذكراتها ندرك كيف يساهم انتقاؤها التفاصيل المادية الحسية في جعل أسلوبها جذاباً: "حافاتها خضراء صافية موشحة بلون ذهبي. وتتوسط كل طبق ثمرة مختلفة. أما المفضلة عندي فكانت وستبقى ثمرة التين الارجوانية".

وبالنسبة الى حفيدها الوحيد ماثيو بريتشارد، الذي قتل والده في الحرب العالمية الثانية وهو بعد في الثانية من عمره، فهي جدة عجيبة يمكنها تحويل زيارة عادية رحلة ألغاز مثيرة. ويتذكر: "كانت تتلو على مسامعنا كل أمسية فصلا من كتابها الجديد، فنخمّن نحن من الجاني. لكنها كانت تمقت الظهور والشهرة." وكان تصورها للمرح الحقيقي

(★) لعبة بالكرات الخشبية.

في أن تراقب حفيدها يمارس لعبة الكريكيت، وهي من ألعاب الكرة والمضرب.

وكان ماثيو نوعها المحبب من الأولاد. فكتبت عنه عام ١٩٦٥: "سيبقى أبداً في ذاكرتي ذلك الولد المرح السعيد. فهو يتميز بنزعة جلية الى الفرح والبهجة." ويجيب هو: "هذا ما ورثته عن جدتي." ومنذ العام ١٩٧٤ تسلم ماثيو إدارة شركة "أغاثا كريستي المحدودة" التي تملك حقوق النشر لكل مؤلفات كريستي. وقد كان ماثيو في التاسعة فقط حين أهدت اليه جدته المعطاء حقوق نشر "فخ الفأر".

بوارو العظيم – تحت المظهر الهادىء لشخصية كريستي يكمن وعي هائج لوسائل خطف حياة الانسان.

ولدت أغاثا في الخامس عشر من سبتمبر (أيلول) ١٨٩٠ لأب أمريكي وأم بريطانية. وعرفت طفولة وصفتها بأنها "سعيدة جداً" في بيت تحوطه جنائن مشمسة وفي رعاية مربية حنون روت لها قصة القطة التي قصدت لندن لتقابل الملكة. لكنها كانت تعاني كابوساً متكرراً سمته "حلم القاتل" وفيه يتحول شخص محب مألوف غريباً شرساً.

ظاهرياً ترعرعت كريستي كفتاة محافظة خجولة متواضعة وجميلة في آن. ولكن في الداخل كانت مخيلتها النشطة تتصور كيف يمكن أن تسوء الأمور وتتعقد.

وبعيد اندلاع الحرب العالمية الأولى تبدلت حياتها الهادئة فجأة. فتزوجت عام ١٩١٤ أرشيبلد كريستي وهو ضابط وسيم في سلاح الجو الملكي. وحين أرسل في مهمة عسكرية الى فرنسا تطوعت في فرق الدفاع المدني وألحقت بمستشفى للصليب الأحمر في توركاي. وهناك أنجزت قصتها البوليسية الأولى. وبعدما رفضها كثير من الناشرين وصل بها المطاف الى دار جون لاين التي نشرتها عام ١٩٢٠ تحت عنوان "العلاقة الغامضة" (The Mysterious Affair at Styles)

وعرّف هذا الكتاب بالمفتش هيركول بوارو الذي تألق نجمه لاحقاً. فعندما نشرت أغاثا كتابها "ستارة" عام ١٩٧٥ الذي أعلنت فيه موت بوارو بادرت صحيفة "نيويورك تايمس" الى نعيه في صفحتها الاولى. وعبر السنين كانت شخصية بوارو محببة الى كبار النجوم، فمثلها على المسرح تشارلز لوتن وفي السينما طوني راندال وألبرت فيني وبيتر أوستينوف.

وعلى رغم أن بوارو كان أعظم ابتكارات كريستي فانها لجأت أحياناً الى شخصيات بوليسية أخرى كالعانس المسنة الآنسة ماربل التي مكنتها بصيرتها الثاقبة من حل الكثير من ألغاز الجرائم. وكانت أولى من مثل دور الآنسة ماربل على الشاشة النجمة البدينة العريضة الحنك مارغريت روثرفورد. ومثلت أنجيلا لانسبوري الدور في رواية "المرآة المحطمة".

الاختفاء الغامض – بعد الحرب العالمية الاولى عاشت أغاثا كريستي حياة هانئة مع زوجها وكتاباتها وابنتها

روزاليند التي ولدت عام ١٩١٩. واستمر هذا النمط من الحياة حتى الثالث من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٦ حين اختفت أغاثا لمدة أحد عشر يوماً. ووجدت سيارتها متوقفة عند طريق فرعية في بيركشير. وأعلنت الصحف تخصيص مكافأة سخية لمن يجدها، وشارك مئات من رجال الشرطة والجيش والمدنيين في حملة تفتيش واسعة في أنحاء الريف.

وفي الرابع عشر من ديسمبر (كانون الاول) ارتاب عازفان في أحد فنادق هاروغيت في يوركشير في أمر نزيلة تشبه أغاثا (بعدما رأيا صورتها في صحيفة) فأعلما رجال الشرطة بالأمر. وبلّغت الشرطة النبأ الى العقيد كريستي الذي حضر للحال وقابل المرأة، ثم واجه الصحافة قائلا: "انها زوجتي حقاً، وهي تعاني أسوأ حالات فقدان الذاكرة. تصوروا أنها لم تعرفني!"

وظن البعض أن الأمر مجرد مناورة إعلامية مثيرة لجذب الانتباه الى كتب أغاثا التي ازداد حجم مبيعاتها بعد اختفائها، فيما أكد البعض الآخر أنها كانت تضع مخططاً لكتاب جديد.

لكن الحقيقة كانت مرّة الى حد أن أغاثا كريستي امتنعت عن الاعتراف بها علناً طوال حياتها. فقد مرضت أمها الحبيبة، فكرست أغاثا وقتها لخدمتها. ولكن عندما توفيت فجأة فاتها أن تكون الى جانبها. وفاجأها زوجها بعد زمن يسير برغبته في الطلاق معلماً اياها بصراحة قاسية أنه وقع في حب أخرى. وهكذا تحقق كابوس طفولتها فبدا الرجل الذي أحبته كأنه القاتل. وجاء رد فعل هذه السيدة الحساسة والخجولة هروباً من الواقع المرير ولجوءاً الى فقدان الذاكرة. وفجأة لم تعد تعرف زوجها، ولا حتى نفسها.

عين الخلائق – بعد معالجة أغاثا لدى اختصاصي ماهر استعادت ذاكرتها. وفي العام ١٩٢٨ طلّقت من زوجها (الذي تزوج سريعاً من جديد) وغدت تمضي معظم أوقاتها في السفر عبر بلدان الشرق الاوسط. وزارت العراق عام ١٩٣٠ حيث التقت ماكس ادغار مالوان الذي كان يعمل في الحفريات الأثرية في مدينة أور السومرية القديمة.

وفي شهر سبتمبر (ايلول) من ذلك العام تزوجت مالوان. ولسنوات عدة رافقته أثناء تجواله في العراق وسورية. والى معاونته في أعماله أكبت على الكتابة والتأليف طوال تلك الفترة (لم ينس مالوان ابداً مدى انزعاجها عندما تمكن مرة من اكتشاف القاتل من دون أي عناء، ولكن لاسباب وتحليلات خاطئة).

وبرزت ملاحظتها الحادة في معرفتها العميقة بالسموم. ففي روايتها "الحصان الشاحب" (١٩٦١) كان السم المميت هو الثاليوم. وبعد أربع عشرة سنة كتبت امرأة من أمريكا الجنوبية أن وصف عوارض التسمم كان من الدقة بحيث مكنها في الوقت المناسب من إنقاذ رجل كانت زوجته الفتية تسممه ببطء بهذه المادة. وفي حال أخرى توفيت الضحية، لكن المحقق استطاع اكتشاف الجريمة بتمييزه عوارض التسمم بالثاليوم كما وردت في القصة.

وعـرفت كريستي بلقب "مـاكينة النقانق" لأنها بدت قادرة على إنجاز كتاب كامل في غضون أسابيع أو أشهر قليلة ومن دون إجهاد ظاهر (في الحقيقة كان التأليف يكلفها الكثير من العمل المضني) محافظة على ميثاقها مع قرائها باعطائهم مؤلفاً جديداً كل سنة. وتتذكر صديقتها الليدي إلسا بوكر: "كانت تستنبط قصصها وهي في مغطس الحمام."

وتَستنتج مواقفها الخاصة أحياناً من خلال التفاصيل الدقيقة في رواياتها. ففي كتابها "إعلان جريمة قتل" تلاحظ الآنسة ماربل في سياق مناقشتها شخصية القاتل: "إن الأشخاص الحاقدين على الدنيا خطرون دائماً. ففي اعتقادهم أن الحياة مدينة لهم. والحقيقة أن سر سعادتك أو تعاستك يكمن داخلك." وحول فترات التعاسة كتبت كريستي: "في اعتقادي يجب على المرء أن يتأمل قليلا ويعترف: نعم، هذا جزء من حياتي، لكنه انقضى الى غير رجعة. فلا وجوب للالتصاق به." وعوض ذلك ركزت على السعادة.

بقي الكثير – لدى بلوغها الخامسة والسبعين دونت أغاثا في مذكراتها: "أنا على استعداد الآن لتقبل الموت. فمعي زوجي وابنتي وحفيدي وصهري العزيز، وهم يؤلفون عالمي الصغير. أنا أستمتع بالحياة حالياً. صحيح أنه ينبغي شطب بند ما من لائحة المسرات مع مرور كل سنة، فالسير الطويل ممنوع، كذلك السباحة، ويتعذر أكل الاشياء الصلبة وقراءة الخطوط الصغيرة. ولكن تبقى أشياء كثيرة. فهناك الأوبرا والحفلات الموسيقية ولذة الاندساس في السرير والاستسلام لنوم هني عميق وأحلام متنوعة.

"وما أكثر الذكريات الحلوة: السباحة في البحر مع روزاليند والجلوس الى مائدة ملكة بريطانيا. كم كان ذلك ليسعد مربيتي! يا قطة، يا قطة، أين كنت؟ أشكر الله على حياتي الجميلة وعلى كل الحب الذي مُنحتُ."

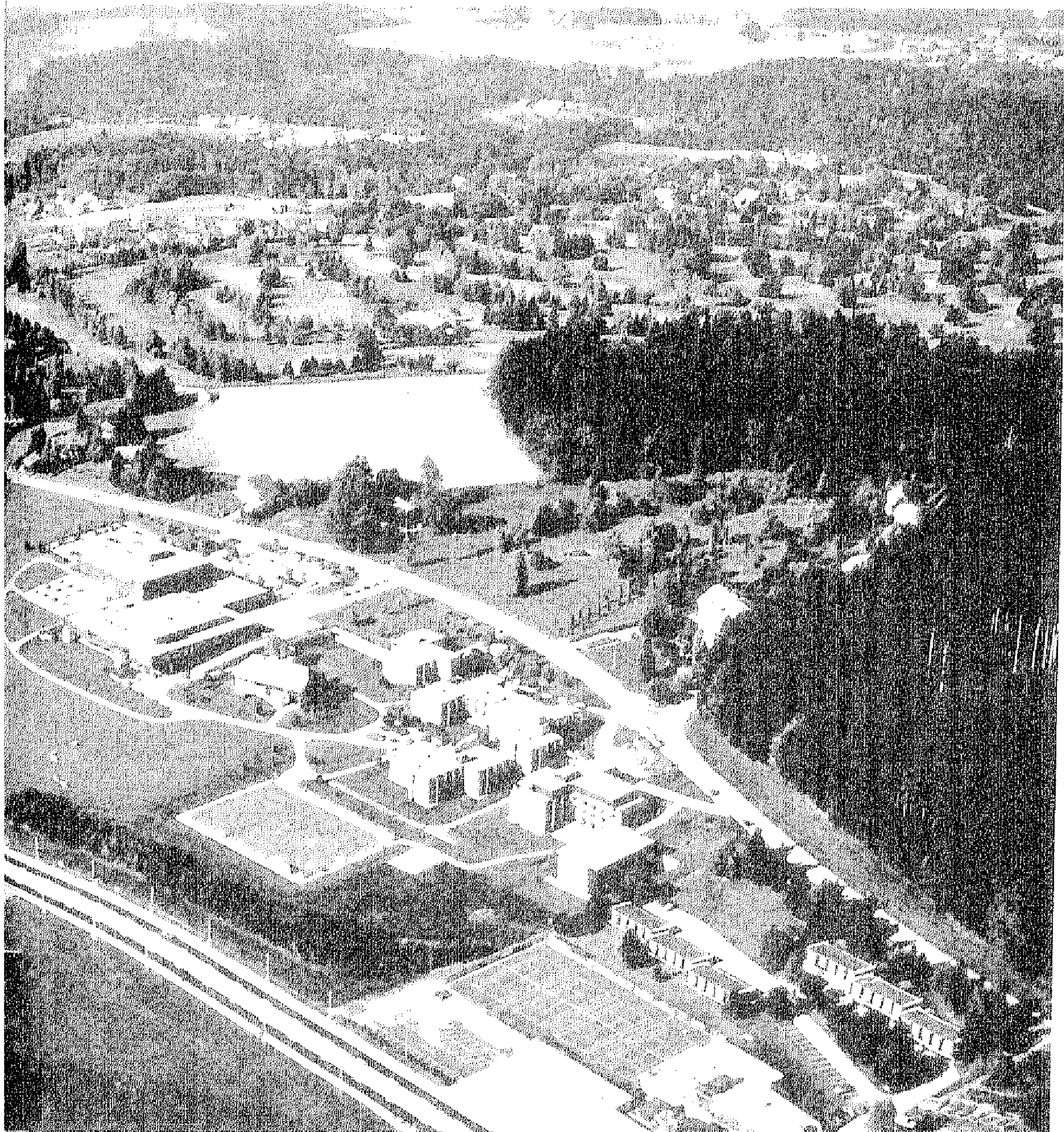
وبعد عشر سنين تـوفيت أغاثـا كريستي وهي في الخامسة والثمانين. وتـركت لنـا شخصيتين بـوليسيتين محببتين في الأدب الانكليزي: بوارو الانيق الذي لا يلين وماربل الداهية الثرثارة. ومن آثارها أيضاً ثمانون مؤلفاً عن ألغاز الجريمة وتسعة كتب أخرى وثماني مسرحيات.

وهي خالدة أيضاً في الملايين منا الذين يزداد شغفهم بالحياة كلما حك بوارو دماغه لكشف جريمة وكلما ساعدت الآنسة ماربل رجال الشرطة في حل لغز من دون أن تتوقف دقيقة عن حبك الصوف.

جون كالهان ■

هل سمعت بالرجل الذي سهر طوال الليل يفكر في المكان الذي ذهبت اليه الشمس، فأشرقت عليه الشمس أخيراً؟

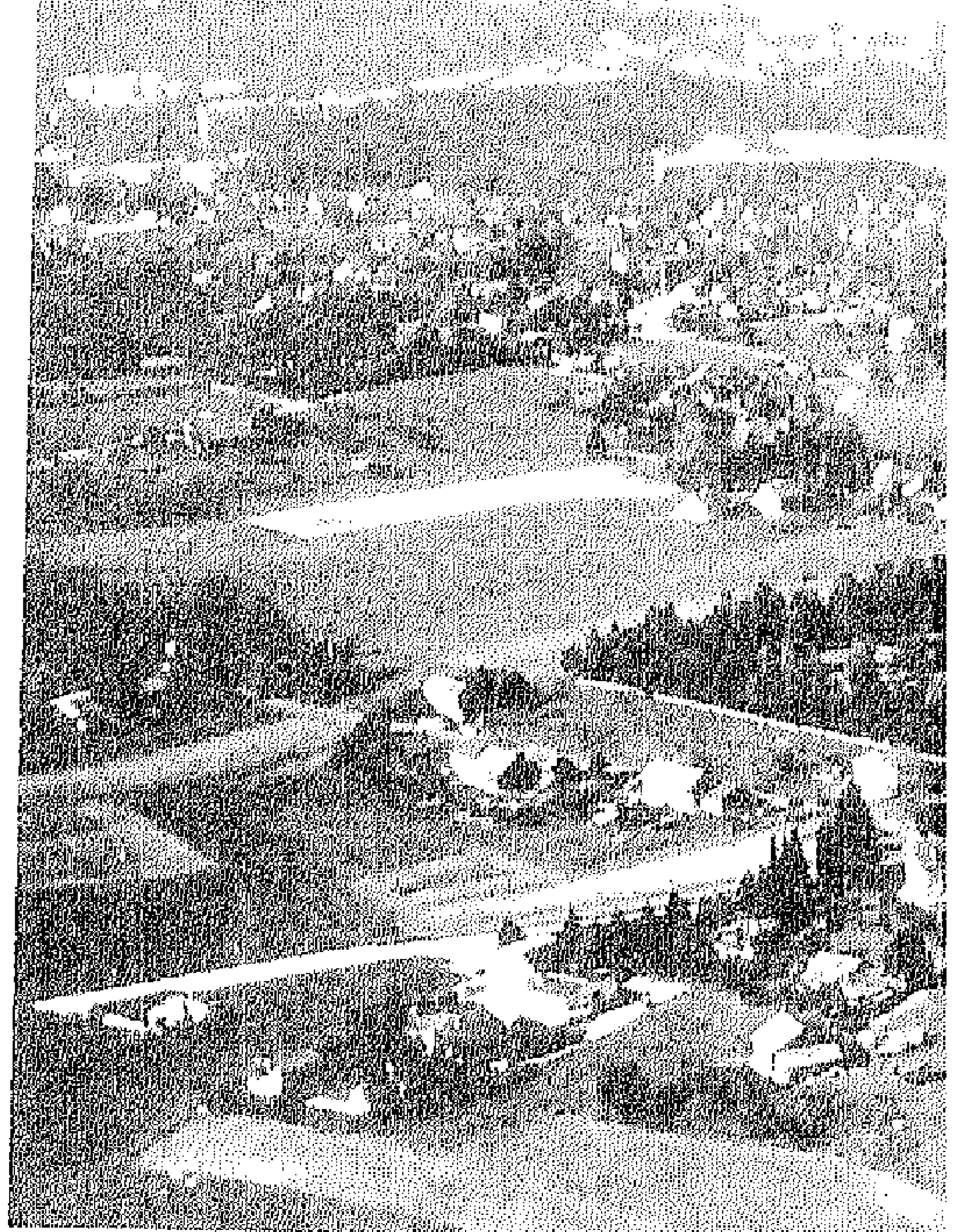
ن.ر.ن.



المدرسة الفندقية في لوشاليه آغوبيه (في الوسط) تحوطها التلال المدرجة فوق بحيرة جنيف.

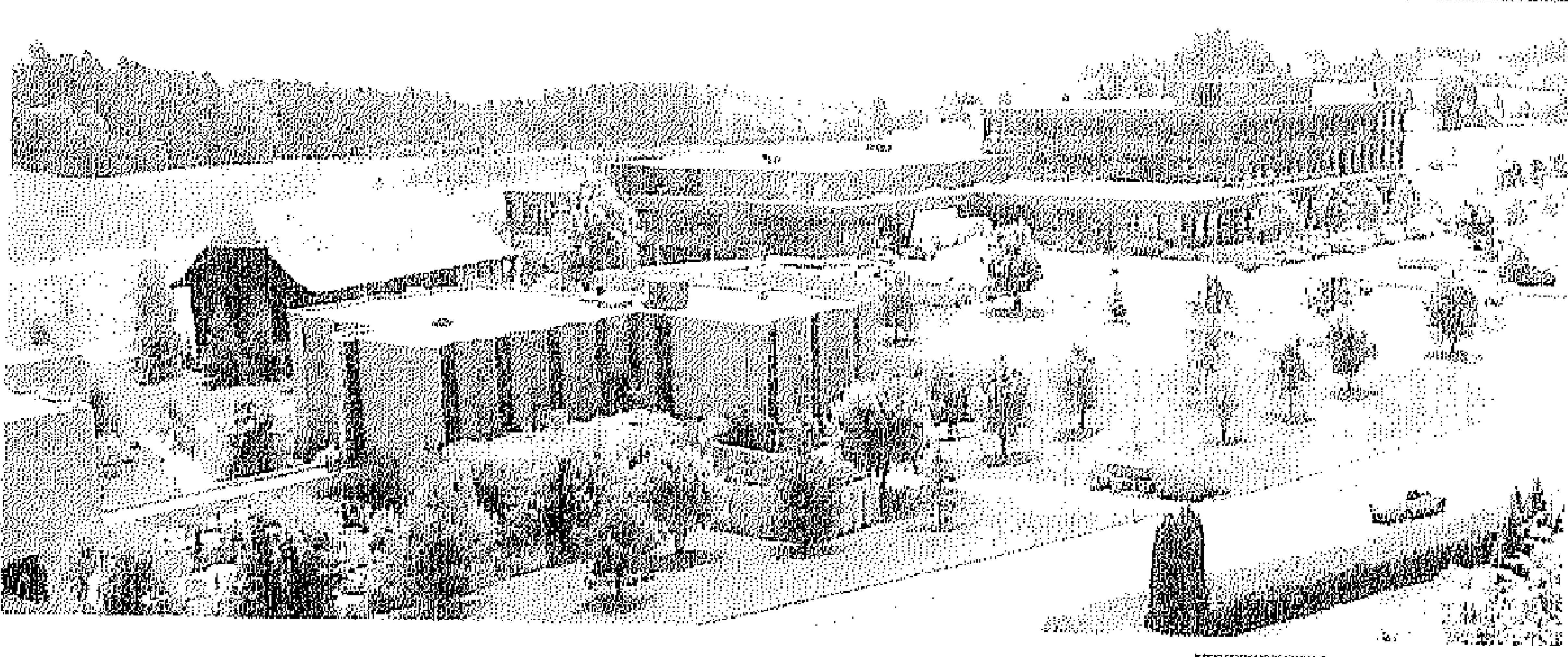
فندقيّة لوزانْ جَعلت الضيافة صناعة عالميَّة

المدرسة الفندقية في لوزان تعلمك كيف تشعر ضيفك بأنه ملك

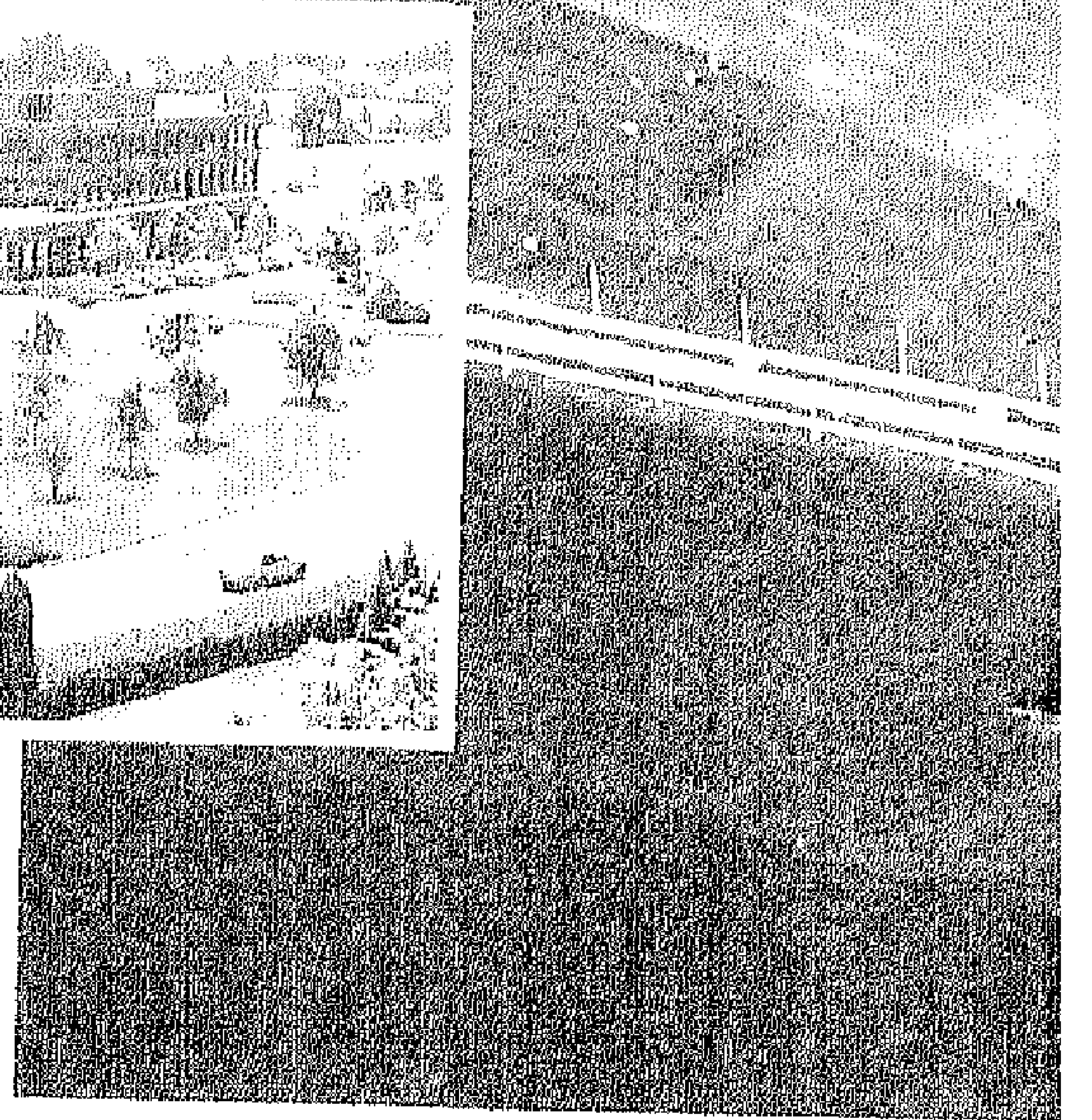


حين سألت مجلة "المستثمر" الامريكية (Institutional Investor) مئة من أصحاب المصارف العالميين أن يذكروا أسماء عشرة فنادق مفضلة لديهم، تبين أن الاربعة الاولى منها تدرب مديروها في المدرسة الفندقية في لوزان بسويسرا. وقد نال أكثر من ٣٠ ألف رجل وامرأة من ٩٥ جنسية مختلفة شهادة هذه المدرسة المعتبرة، وقال أحد خريجيها وهو فرنسي: "نحن خريجي هذه المدرسة نحتل مراكز رئيسية كثيرة حتى غدا أصحاب الفنادق يتندرون بالحديث عن مافيا لوزان."

ما سبب هذا التفوق الذي تحظى به لوزان؟ غاري هول أحد الفندقيين الناجحين يوضح ذلك على أفضل وجه حين يقول: "يمكنك أن تعلّم فن الضيافة بالقاء محاضرة، أما في لوزان فانك تعيشه وتتنشقه."



المجمع المشيد حول بيت مزرعة قديم، وهو اليوم استراحة، يضم مرافق للتدريب (في الخلف) وقاعات منامة.



لا غرو في أن لوزان كانت أول مدرسة فندقية في العالم. وكانت سويسرا موطن كثير من الرواد الفندقيين الشهيرين

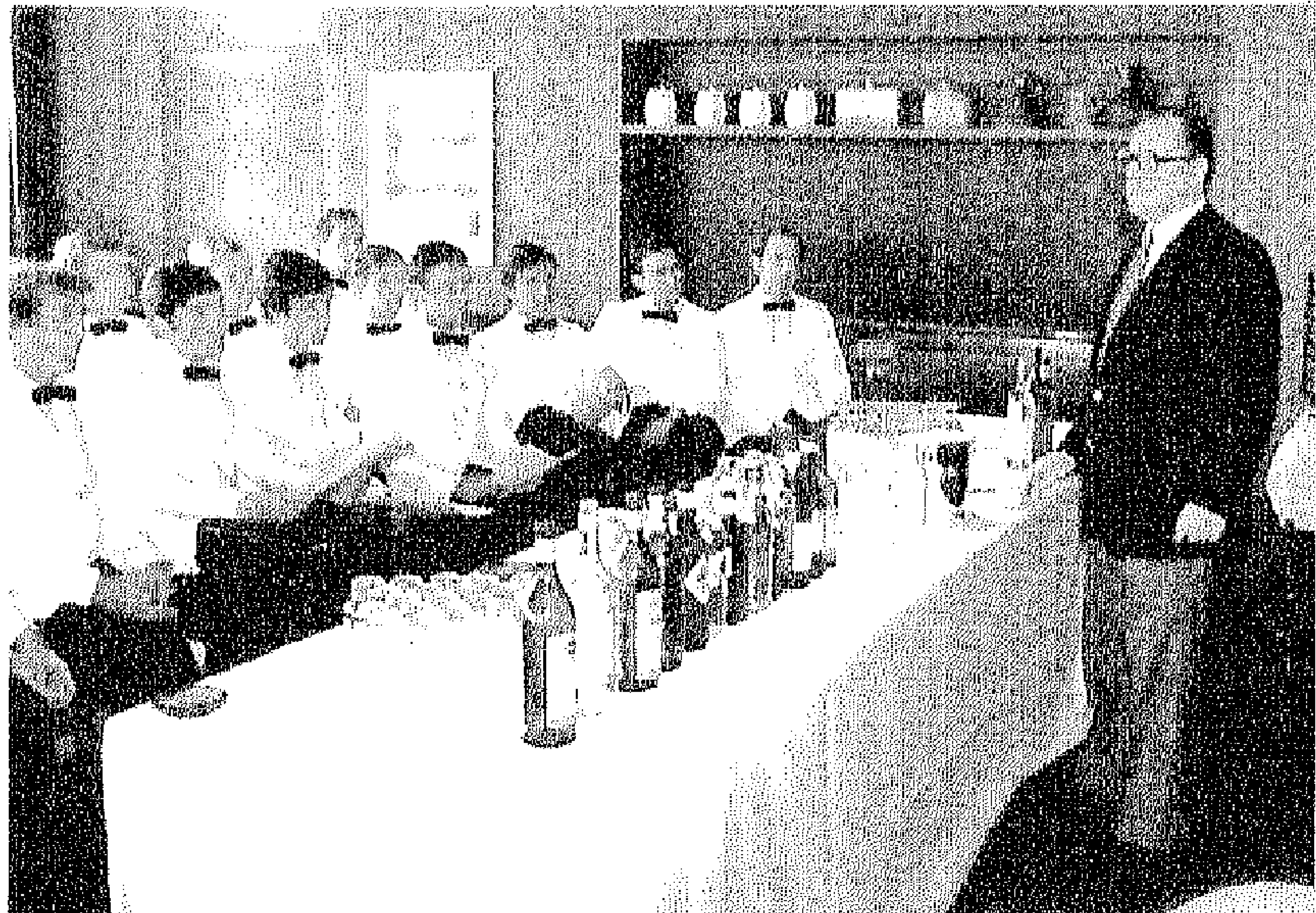
Photographs by courtesy of Ecole Hôtelière Lausanne, Switzerland

أمثال سيزار ريتز "ملك الفندقيين وفندقي الملوك". وافتتحت الجمعية الفندقية السويسرية المدرسة في اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٩٣. وانتقل ٢٧ يافعاً الى فندق انكلترا في أوشي، وهي ضاحية للوزان محاذية للبحيرة، كانوا يدرسون في الشتاء حين تكون الفنادق مقفلة ثم يساعدون في ادارة الفنادق في الموسم السياحي. وازدهرت المدرسة. وفي العام ١٩٧٥ توسعت لتصبح مجمعاً تبلغ قيمته ٥٥ مليون فرنك سويسري (★) قائماً في لوشاليه آغوبيه في الريف شمال لوزان. وفيها اليوم ٥٠ مدرساً و٤٦٠ طالباً.

حين زرت المدرسة رأيت يافعين يرتدون الملابس المهنية ويؤدون واجباتهم ويتصرفون كفندقيين حقيقيين. وعندما ضللت سبيلي ظهر طالب من حيث لا أدري ليرشدني، وكان يعدل خطوه ليناسب خطوي، لكنه بقي دائماً يسبقني بخطوة واحدة ليفتح لي الباب. ويقول مدير المدرسة جان شيفالاز: "في المجتمعات المتكلفة والمتأنقة يغدو السلوك الصحيح طبيعة ثانية."

برنامج مرهق – تبلغ كلفة ادارة المدرسة عشرة ملايين ونصف مليون فرنك سنوياً. وعلى رغم الدعم الحكومي والمساعدات المحلية تبقى الرسوم عالية: ١١ ألف فرنك للفصل الدراسي. لكن هذا يشمل الاقامة والطعام واللوازم المدرسية واللباس الرسمي. وتحجز الاماكن في الصفوف قبل خمس سنوات من بدء الدراسة، وتحمل لوائح الانتظار عشرات الاسماء.

(★) الفرنك السويسري يساوي نحو نصف دولار.



...يل هو أكثر البرامج شعبية في المدرسة.



في السنة الاولى يتعلم الطلاب كيف يقدمون الوجبات وفقاً للاصول.



لمربيات المستقبل.

وعلى المرشحين أن يجيدوا الانكليزية اضافة الى الفرنسية التي هي لغة التدريس. ومن أجل الالتحاق ببرنامج مدته أربع سنوات لتأهيل مدير فندق ومطعم، على الطالب أن يحمل شهادة تعادل البكالوريا السويسرية أو الفرنسية (بالنسبة الى الرعايا السويسريين تقبل شهادة طاه حكومية اذا كان حاملها أتم الدراسة الثانوية). وبعد بضع سنوات من الخبرة يغدو المتخرجون مؤهلين لادارة فندق أو مطعم من الحجم المتوسط.

بيتر بالاس هو المدير الامريكي لسلسلة فنادق "انتركونتيننتال" التي تضم ٤٥ فندقاً في أوروبا وشمال افريقيا والشرق الاوسط. وهو يظهر تقديراً عالياً لمرؤوسيه المتدربين في لوزان، خصوصاً حين يفتتح فندقاً جديداً. ويقول: "يمكنني ان أطلب من أي موظف في مكتب الفندق أن يتسلم المطعم في أي لحظة، وأنا واثق من أنه سيؤدي المهمة على أكمل وجه. وقبيل افتتاح فندق جديد في جاكارتا باندونيسيا تركنا الطاهي فجأة، فأعددنا نحن خريجي لوزان مأدبة لـ١٦٠٠ شخص وخدمنا ٣٠٠ من نزلاء الفندق بأنفسنا."

ولا تقبل المدرسة بأن يطيل الطلاب شعورهم. وعلى الشبان أن يرتدوا سترة وربطة عنق دائماً. وبعد ٣٠ تغيباً من دون عذر يطرد الطالب من المدرسة ولا تعاد اليه الرسوم المدفوعة. ومن القلائل الذين تجاهلوا هذه التنبيهات نكي هيلتون وارث امبراطورية الفنادق المعروفة. وعلى رغم مركزه طلب منه أن يرحل.

الفندق مسرح. عندما يرتفع الستار يجب أن يجري كل شيء بانتظام كامل.



... يكتسب مهارة ينبغي ان تعلّم.

ولذا تكون ساعات العمل طويلة وشاقة. وينقل ديتر فويت مالك فندق "فولفلر" في هانوفر بألمانيا الغربية عن أحد المعلمين العبارة المأثورة الآتية: "المعاون الجيد يعمل ٢٤ ساعة في اليوم. واذا كان هذا غير كاف فانه يعمل في الليل أيضاً."

ولكن ثمة وقت للراحة. وأبرز مظاهر السنة حفلة يعد فيها الطلاب مأدبة غداء فاخرة ويكونون هم أنفسهم نجوم الترفيه. وتطغى على الطلاب أحياناً روح المرح. ويتذكر جيلبير اروندبل، وهو مدير فندق "كريون" في باريس، الطالبة التي كانت تغسل الخس فوق حوض ماء كبير: "لم نستطع مقاومة الاغراء. وحين مررنا بتلك الفتاة المسكينة ألقيناها في الحوض."

أربعون في المئة من الخريجين فتيات. وثمة فنادق عدة في العالم يديرها زوجان تخرجا في لوزان.

وبرنامج المدرسة موسع ومرهق. الفصلان الاولان المخصصان لـ"الطعام والشراب" موزعان بين برامج المطبخ وخدمة المائدة. ويعقب كل فصل خمسة أشهر من التدريب العملي في فندق أو مطعم. وفي الفصل الثالث يدرس الطلاب ادارة الفنادق، وتعقب هذا الفصل ايضاً فترة تدريبية خارجية. أما البرنامج الاخير فيشمل المهارات العالية في ادارة الفنادق: تخطيط مشروع فندق أو مطعم ناجح وادارته.

عمل شاق – لم أشهد في حياتي محاضرة ممتعة مثل "مطبخ العرض" وهو احدى المواد الاولى التي تدرس. ويراقب الطلاب عبر مرآة مثبتة في السقف شريحة سمك في مقلاة بينما رئيس الطهاة روبير لوجون يشرح للطلاب وصفة خاصة للصلصة التي تقدم مع هذا الطبق.

ثم توزع على الطلاب قبعات الطهاة والسترات البيضاء ويرسلون الى المطبخ لتطبيق النظريات التي تلقنوها. ومع أن معظمهم لم يقلِ بيضة من قبل، فانهم يتمكنون من اعداد وجبتين يومياً لـ٦٠٠ طالب ومستخدم.

وكانت الوجبات التي تناولتها ممتازة. ولكن لا بد من وقوع كوارث. من ذلك أن كورت فاتشفايتل الذي اختير فندقه "أورينتال بانكوك" أربع مرات كأفضل فندق في العالم، أخطأ مرة فوضع في قشطة "الميرينغ" ثلاثة أضعاف الكمية اللازمة من السكر. وطوال أشهر عرضت "القشطة المتحجرة" التي صنعها كتحذير للآخرين.

ومع أن الطلاب فازوا في مباريات المطابخ في معارض فندقية دولية، ومع ان اثنين من المطاعم الثلاثة في المدرسة يستحقان أن يصنفا في فئة النجوم الخمس، فان أعضاء هيئة التدريس يشدّدون على أن لوزان ليست مدرسة لتخريج الطهاة. ويقول بركات نائب المدير: "ليس في وسع أحد أن يصنع طاهياً في فترة خمسة أشهر. اننا نعطي هؤلاء الشباب الاساس ليصبحوا مديري مؤسسات فندقية. انهم يعرفون كيف يشترون الاطعمة وكم تبلغ كلفتها وما يصنع بها الطهاة."

وبعد أن يتعلم الطلاب كيف يطهى

الطعام يقضون جزءاً من الفصل الثاني في حرم المدرسة حيث يقدمون وجبات الطعام الى سائر أهل المدرسة. وفي السترة البيضاء وربطة العنق الفراشية السوداء يحاولون أن يتصرفوا وكأنهم ندل ذوو خبرة. ويتذكر متعهد الحفلات البريطاني غاري هول كيف أمال طبقاً كبيراً عليه أطعمة منوعة وأغرق زميلا كان وراءه في دفق من المرق الحار، ويقول: "كان جيد التدريب الى حد أنه لم يقل: آه! "

ويؤدي الطلاب كذلك أدواراً، فيمثلون تارة دور الندل وطوراً دور الزبائن. ويقول شاب اوسترالي شارحاً: "نتعلم كيف نخدم من دون تذلل. ننحني من الخصر والقدمان متلاصقتان والساقان مستقيمتان. ولا ننحني في خنوع أبداً. ويتقن الجميع طريقة حمل زجاجات عدة بيد واحدة، كذلك فن السماع من دون اصغاء والرؤية من دون تحديق."

احد المواضيع التي تهم الطلاب هو المشروبات. انهم يتلقنون طرقاً عدة لتقديم القهوة ويتعلمون مميزات عشرات الانواع من المشروبات.

ويلقن الطلاب كذلك أساليب المهنة: من اجل اقامة حفلة استقبال مربحة قدم كثيراً من الخبز المحمص المالح مع الشراب. وعندما تعلق سدّادة زجاجة شراب في الفوهة، اقطع رأسها واسحبها باللولب. إذا كان لديك نوع من الشراب المحلي لا يطلب لأنه رخيص، ضاعف سعره!

وبعد امتحان عسير يخرج طلاب الفصل الثاني لاكمال فترة تدريب عملي مدتها خمسة أشهر في فندق أو مطعم. العمل شاق. ويقول مانويل اي كينتاس المدير العام الحالي لأحد الفنادق البرتغالية الفخمة الذي خبر هذه المشقة في أحد فنادق غستاد السويسرية: "كنت أمسك الحسابات وأمهد الاسرة وأقف في مكتب الاستقبال وأركض لافتح باب المطبخ حيث يقف بائع الحليب منتظراً. وبعد شهر غلبني العياء فطلبت اجازة لبضعة أيام، فأعطوني اجازة لساعتين."

قمة السعادة — الفصل الثالث في ادارة الفنادق يشمل فرز المعلومات والقوانين والاقتصاد والدعاية والسياحة وحتى تصميم جناح جديد في فندق وتمويله.

ايفون فايفر مدرس التشريفات يخاطب صفه قائلا: "الزبون الذي اعتاد النزول في الفندق يجب أن يستقبل بابتسامة ويخاطب باسمه، اذ ان ذلك يشعره بالارتياح وبأنه شخص ذو أهمية. ومن دون طلب منه ينبغي أن يعطى غرفة تشرف على المنظر الذي يحبه وأن تكون الوسادة الاضافية التي طلبها في اقامته السابقة أصبحت في مكانها. ولا أزهار، فالنزيل مصاب بحساسية ضد الرحيق."

ويكشف فايفر السر: بطاقة مفهرسة تحوي أشمل المعلومات عن كل نزيل. ويقول: "بعض الفنادق ينفق مبالغ طائلة على الدعاية. لكن صندوقاً من هذه البطاقات اذا أحسن استعماله يضمن ثقةالزبائن، وهو لا يكلف شيئاً يذكر."

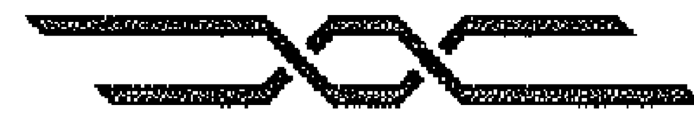
في الفصل الاخير في ادارة الفنادق يتعلم الطلاب كيف يحلّلون بيان الموازنة.

ويقول راوول دي جندر مدير "غران أوتيل دولدر" الشهير في ميونيخ: "في الفندق لا يجوز أن يشعر النزيل بأي تشدّد في الاقتصاد. ولكن في الوقت عينه ينبغي أن يحقق الفندق أرباحاً. وهذا يعني توازناً دقيقاً كالسير على الحبل بين السخاء في ما يتوقعه النزيل وما يمكن الفندق أن يوفره له."

بعض الذين اجتازوا هذا الامتحان العسير حصلوا فعلا على وظائف لدى أرباب العمل الذين أخذوا عنهم انطباعاً جيداً كمتمرنين. ويستعين آخرون بشبكة "أخويات" الخريجين المنتشرة في أنحاء العالم. ويقول آرثر جيرودي مدير نادي "نيكربوكر" في نيوجرزي وراعي الأخوية في الولايات المتحدة: "اتصل بي مرة نائب رئيس شركة فنادق دولية طالباً بضعة عشر مديراً متخصصاً بالاطعمة والمشروبات."

في هذه الاثناء يقشر الجيل الطالع في لوزان جبالا من البطاطا ويصارع أنظمة جديدة في ادارة الاعمال. واذا تخاذل أي منهم حضه ايفون فايفر ذاكراً ما قاله أوليفييه فيتر بعد ١٨ شهراً من تخرجه، وهو الذي أصبح مدير شؤون الموظفين في فندق "الملكة اليزابيث" في مونريال بكندا الذي يحوي ١١٠٠ غرفة: "في حياتي كلها لم أدفع مثل هذا الثمن الباهظ لأقوم بمثل هذا العمل الشاق. كما اني لم أشعر قط بهذه السعادة لأني فعلت."

جيفري لوسي ■



سرادق الاميرال

اهتم ملازم لتدريب جنوده بعدما أوكل اليه أمر تنظيم استقبال على متن بارجة. واستخلص طريقة اداء التحية بالسيف من كتاب التدريب. وأقام سرادقا صغيرا في الليلة السابقة لموعد وصول الاميرال احتياطا لاحتمال هطول المطر.

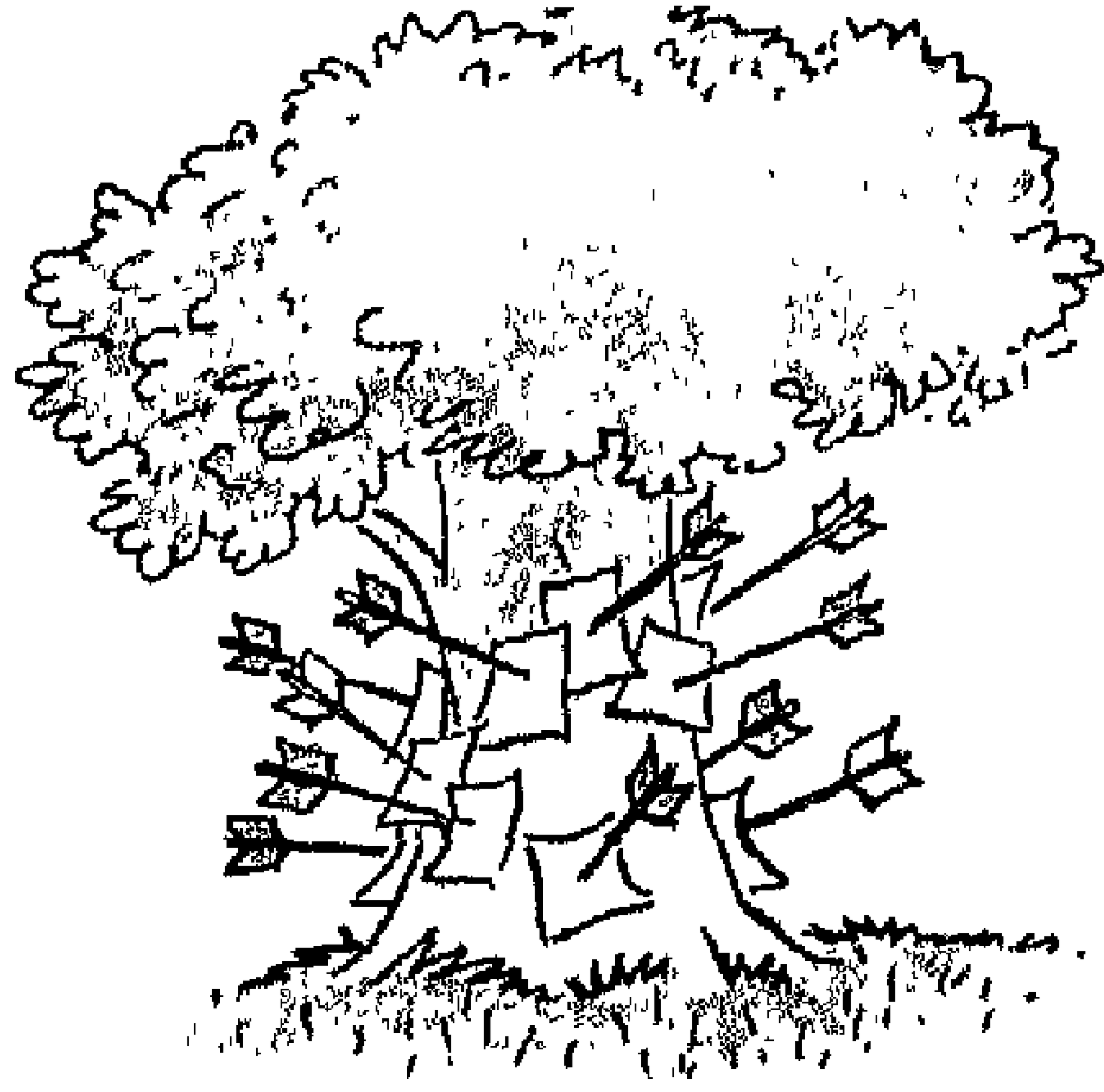
وما ان وصلت سيارة الاميرال الى رصيف المرسى حتى اصطف رجال البحرية في الموقع المحدد لاداء التحية. وتم اداؤها على أكمل وجه... تقريبا. فقد سها الملازم عن السرادق فشقه بسيفه عندما رفعه بالتحية فانهمر عليه ماء المطر الذي تجمع في الليلة السابقة وبلله من رأسه حتى قدميه.

ك.ف.

رياضة الأثرياء

كان الأرستقراطيون الاوروبيون في مطلع القرن السابع عشر، إذا لعبوا كرة المضرب (التنس) طلبوا من أحد الخدم أن يرمي الكرة على الأرض في بداية الشوط، ظنا أن ذلك لا يليق بهم.

صحيفة التايمس، لندن



حكايات من العالم

نفايات فضائية

من مخلفات عصر الفضاء الذي نعيشه نحو ٤٠٠٠ جسم صغير تدور حول الأرض. ويُقدر وزن هذه الأجسام مجتمعة بستة أطنان، بينها بعض الأقذار وعلب الطعام الفارغة. ومن أطرف هذه الأجسام قفاز أضاعه رائد الفضاء الأمريكي اد وايت.

مجلة "انترناشونال وابلد لايف"

التنجيم في الهند

في الهند يكاد الناس لا يفعلون شيئاً من غير استشارة المنجّمين. فبناء الجسور والسدود والأبنية لا يحصل الا في الأيّام الميمونة المبشّرة بالنجاح، كذلك حَرث الأرض وزَرْعها. والأهل يسجّلون تاريخ ولادة كل طفلٍ باليوم والساعة والدقيقة والثانية بغْية الحصول على طالعه الصحيح. والمرء يحمل هذا الطالع طوال حياته ويعرضه على المراجع المختصّة كلما واجه أمراً خطيراً يضع حياته المهنية أو الشخصية على مفترق.

والزواج يُدَبَّر في العادة بعد مقارنة طالع المرشحَيْن، ثم يُحَدَّد الزفاف عبر المنجّم في يوم مُؤاتٍ. ولا يتوانى بعض رجال الأعمال عن استشارة المنجّمين قبل الاقدام على مشروع تجاري. وإذا طلب أحدهم قرضاً، فقد يأخذه مسؤول المصرف الى منجّم ليرى إنْ كانت ثمّة قوّة خبيثة ستمنع طالب القرض عن دفعه عند الاقتضاء.

صحيفة "التايمس"، لندن

آخر اخبار الفنادق

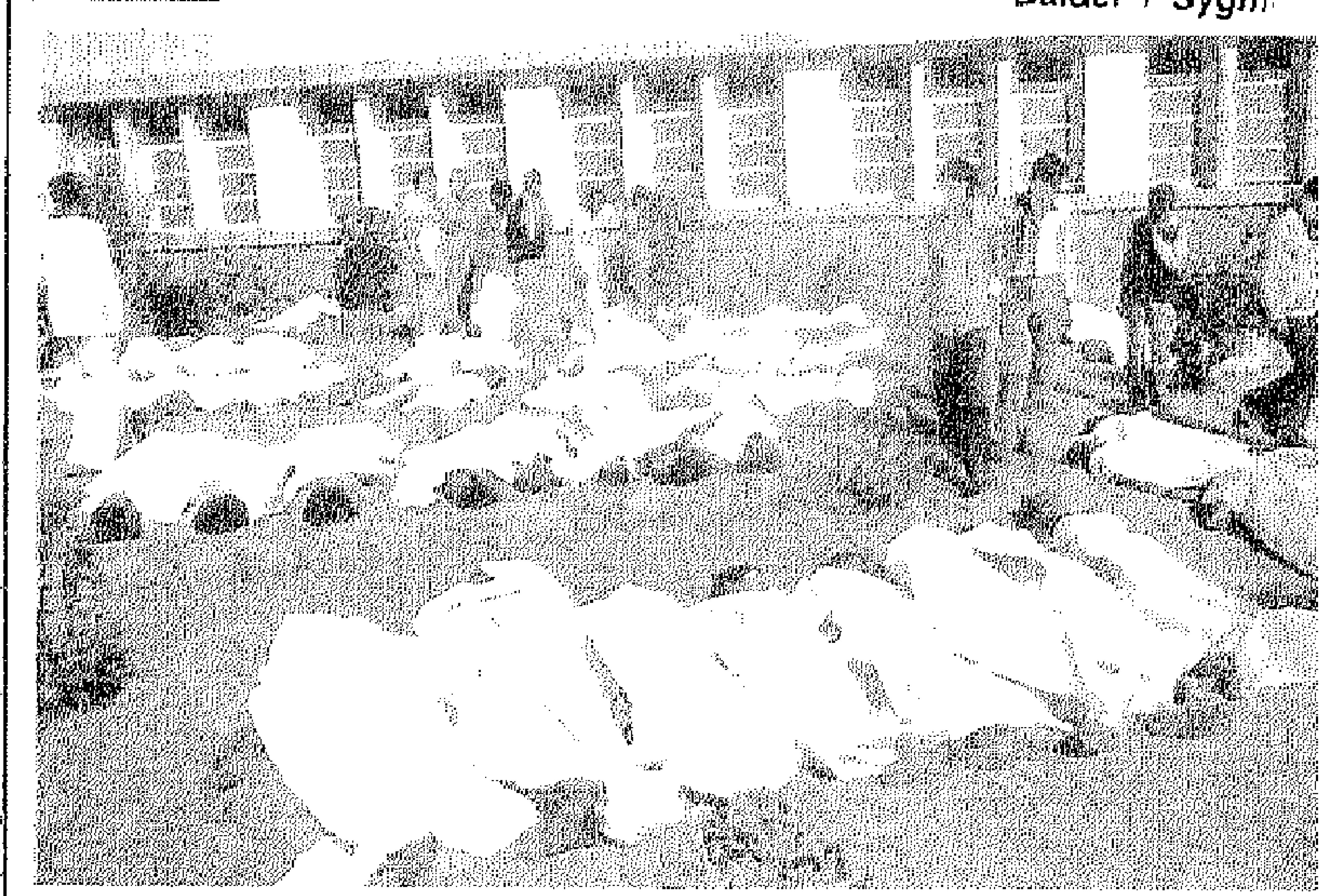
اذا قصدت فندق أندرسون هاوس في بلدة واباشا من أعمال ولاية مينيسوتا الأمريكية، ففي إمكانك طلب غرفة مع هرّ. ووظيفة الهرّ النوم في السرير لابقاء قدميك دافئتين. وبما أن في الفندق ثلاثة هررة فقط، فينصح بحجز الهر والغرفة في الوقت نفسه.

صحيفة "مينيابولس ستار"

رياح

أكواخ البؤس
قرب مصنع يونيون كاربايد.

Balder / Sygma



جثث الضحايا.

في هذه المدينة القديمة وسط الهند كان ألوف الأشخاص نائمين في أكواخ قريبة من المصنع الكيميائي. فزحف سديم أبيض من مخزن وبدأت أسوأ كارثة تلوث صناعية في التاريخ

بدأ كل شيء في سكون الليل، من دون انذار. وكانت بوبال من أعمال الهند تغرق في سبات عميق غير آبهة بالخطر المحدق في الريح المحلقة فوق المدينة الهادئة المكتظة بالسكان. وانطلقت الريح من السهول الفسيحة في وسط الهند وعبر المدينة الآهلة بنحو ٩٠٠ ألف نسمة والواقعة على مسافة ٥٨٠ كيلومتراً الى الجنوب من نيودلهي. وهناك التقطت سحابة من الغاز السام تسربت من خزان في مصنع "يونيون كاربايد".

وفي دقائق اندفع غاز الايسوسيانيت المثيلي (١) عبر الأحياء الفقيرة المجاورة في اتجاه المدينة. وفي غضون ساعة غلف

الموت في بوبال

مساكن عشرات الالوف من الخلق، وبدأت أسوأ كارثة تلوث صناعية في التاريخ مخلفة موتاً مروعاً وآلاماً مبرّحة. وقضى الالوف في أسرتهم، ومعظمهم من الأولاد والعجزة الذين نهكهم الجوع والوهن.

Methyl Isocyanate (1)



Balder / Sygma

ممرضة تعالج عيني ضحية.

واستفاق ألوف آخرون على كابوس من الاختناق والفوضى، وحصد الموت الكثيرين لاحقاً. واندفع الناس الى الشوارع وهم يختنقون ويتقيأون ويذرفون دموعاً حارقة، منضمين الى مجموعات بشرية مذعورة هاربة من جحيم الغاز الذي ملأ الأجواء. وفي خضم الهلع والذعر رهس الكثيرون تحت عجلات السيارات المسرعة. وخارت قوى آخرين فانهاروا وقضوا مع جواميس الماء والبقر والكلاب والعنز والطيور. وقدّرت مصادر رسمية الوفيات بألفين وخمسمئة إضافة الى ١٤٠ ألف جريح.

ويروي أحد الناجين واسمه أحمد خان: "كنا نختنق وعيوننا تحترق. وكدنا لا نميّز طريقنا في الضباب الكثيف فيما صفارات الانذار تصم الآذان. ورحنا نركض متخبطين في كل اتجاه.". ويقول غيريش قمار تيواري المدير المساعد لشرطة بوبال انه نتيجة الارتباك "لم تعرف الأمهات أن أولادهن قضوا، ولم يدرك الأولاد أن أمهاتهم متن، ولم يعِ الرجال أن عائلاتهم محيت بكاملها. وكان الناجون يفرون هائمين على وجوههم."

الغاز القاتل - لاكثر من عشر سنين ظل مصنع يونيون كاربايد أحد معالم الضاحية الشمالية الشرقية لمدينة بوبال. وكان منظره ليلاً غريب الجمال. فأبنيته البيضاء البارزة بدت مثل قاعدة قمرية، وكانت قلائد أنواره القوية تتألق كالالماس ازاء السماء السوداء المخملية. أما في النهار فكان المصنع يبدو كتلة متشابكة عسيرة الوصف من الخزانات والسقائف والأنابيب المتعرجة.

ويوم باشر المصنع أعماله عام ١٩٦٨ لم تكن بعض أحياء الفقراء في ذلك الموقع أنشئت بعد، وهي مستوطنات


Balder / Sygma


Balder / Sygma

اسعاف الضحايا في المستشفيات وعلى قارعة الطريق.

حقيرة مثل جايابراكاش ناغار. ولكن مع التصنيع السريع للمدينة توافد ألوف الناس الجدد، ومعظمهم من عمال البناء والمهاجرين الراغبين في العمل. وشيد هؤلاء أرخبيلا هائلا من أكواخ الطين والقش والخشب والتنك. وكان معظم سكان هذه الأحياء مدقعي الفقر ويعيلون أسراً كبيرة. وهم إما مستخدمون في وظائف وضيعة وإما عاطلون عن العمل.

وكان المصنع يستخدم ٦٥٠ عاملا وينتج سنوياً ٢٥٠٠ طن من المبيدات. وبين العناصر الكيميائية المستعملة فيه الايسوسيانيت المثيلي وهو مادة عديمة اللون سريعة الاشتعال وسامة جداً. والمبيدات المحتوية عليه تعرف باسم كارباميت (٢). وهي خلافاً لمركبات الـ"د.د.ت." القديمة تنحل في وقت قصير مقللة الأخطار على البيئة والحياة البرية.

وكان الايسوسيانيت المثيلي المبرد (ليبقى سائلا) يحفظ في اثنين من ثلاثة خزانات اسطوانية الشكل مطمورة على عمق قليل تحت الأرض. وهي مصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ وسعة الواحد منها ٤٥ طناً. واذا حمي خزان وتجاوزت حرارة السائل فيه درجة معينة فانه يتحول غازاً.

والتعرض لهذه المادة الكيميائية، وان بكميات ضئيلة، يمكن أن يسبب تهيجاً حاداً للعينين والجلد والجهاز التنفسي. ومن أعراضه أيضاً التقيؤ والسعال الحاد والشعور بالاختناق والعمى الموقت. أما التعرض لكميات أكبر فيمكن أن يتلف خلايا القرنية، وهي غشاء العين الشفاف، مسبباً العمى الدائم. وقد يؤدي أيضاً الى الموت اختناقاً اذ تتشنج شعبتا القصبة الهوائية التي تنقل الهواء الى الرئتين أو

(٢) Carbamates





Nogues / Sygma

نازحون من بوبال.

تتجمع سوائل الجسم التي يحفز الغاز المثير افرازها في الرئتين متسببة في احتقان قاتل.

سحابة الموت - بدأت الكارثة قرابة الحادية عشرة والنصف قبيل منتصف ليل الاحد في الثاني من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤. فداخل أحد الخزانات الفولاذية المحتوية على ألوف الليترات من سائل الايسوسيانيت المثيلي كانت درجة الحرارة ترتفع على نحو خطير. وما ان تخطت الدرجة الفاصلة حتى بدأ السائل يتحول غازاً واخذ الضغط يزداد داخل الخزان.

وفيما الضغط يرتفع كان يتعين تحويل الغاز الى فتحات أجهزة الغسل حيث يحيِّد فيزول خطره. واذا تعذر ذلك دفع الى "برج الاشتعال" حيث يحرق قبل أن يتسرب الى الجو. لكن خطأ ما وقع.

واكتشف موظف يقوم بجولة عادية على الصمامات أن مستويي الحرارة والضغط تخطيا "الحدود المقبولة". وأسرع لاعلام أحد المشرفين الذي حاول أن يوقف التسرب الكثيف، فكان من الموظفين القلائل الذين قضوا بالأبخرة المميتة. وأطلق آخرون صفارات الانذار محذرين الناس من الكارثة المحدقة.

ووضع عدد من العمال أقنعة الغاز وحاولوا ضبط التسرب. لكن الغاز كان يتدفق بكميات هائلة يصعب إيقافها.

وسرعان ما غلّف المجمع الصناعي بطبقة بيضاء كثيفة من الغاز. ويتذكر سوريش قمار دوباي وهو عامل صادف وجوده على بعد خمسة عشر متراً من المصنع عندما بدأ التسرب: "كان الغاز كثيفاً الى حد أن الرؤية باتت متعذرة." وأخذ يركض متعثراً فيسقط ثم ينهض. ومن خلال الضباب رأى أشياء مروعة: "رأيت اطفالا ونساء وشيوخاً يموتون في الطرق. كانت لحظات رهيبة رهيبة."

وتسابقت رياح الليل فوق الأحياء الفقيرة المكتظة ناشرة سحابة موت في كل مكان. وكانت الحرارة أربع عشرة درجة مئوية فقط. وأبقى البرد السديم الابيض ملتصقاً بالأرض حيث هو أكثر إهلاكاً. فلو كانت الحرارة عالية لارتفع السديم وتبخر وخف ضرره.

وتوفي أكثر من مئتي شخص في جايابراكاش ناغار وهم بعد في أسرتهم. واستفاق آخرون وهم يتقيأون ويلهثون برئات ذابلة وعيون ملتهبة ضريرة. وتتذكر راهيس بانو ولها عشرون عاماً: "استيقظت مذعورة حين ضاق تنفسي. وكان صراخ جيراني يصم أذني. ثم صدمتني موجة غاز." وسقطت أرضاً وهي



Bartholomew / Gamma — Liaison

أدم تريزا في أحد مستشفيات بوبال.

تتقيأ بشدة. وترنح ولداها قربها بسكرات الموت. فتأبّطت الأقرب إليها وخرجت مهرولة لتنهار مجدداً في الشارع.

وفي الأزقة الضيقة تدافع عشرات الالوف متلمسين طريقهم عبر الضباب الخانق ومنضمين الى أنهر بشرية مذعورة. وقالت إحدى الناجيات التي مات زوجها وأصيب ابنها ذو الاعوام الستة بجروح بالغة: "كنا نبغي الهرب الى أي مكان من الغاز الماحق." وافترق الأهل عن بنيهم وضاع الرضع والعجزة أو تركوا لمصيرهم. وشلت قوى المئات وهم يفرون.

وتعثر المصابون بعمى جزئي وهم ينشجون ويدوس بعضهم بعضاً. ووصف أحد الشهود كيف تراكضت جماعات مذعورة تعد بالآلاف نحو "ملجأ" على تلة في وسط المدينة: "امتلأت الطرق بالسيارات والدراجات والعربات الآلية وبكل ما يسير، وركابها يحاولون جميعاً الوصول الى قمة الرابية. وشاهدت أشخاصاً يخورون على جوانب الطرق."

تفاني الاطباء – تدفق عشرات الالوف من المصابين على المستشفيات وهم في حال هستيرية يحكون عيونهم ويلهثون متألمين. وكان الأطباء أنفسهم يعانون ضيق تنفس ويذرفون الدمع المدرار. لكن الجسم الطبي كان على مستوى المأساة.

كان الدكتور براديب شوراي، وهو جراح متمرن في منستشفى هاميديا، أنموذجاً للأطباء الشباب الذين هبوا لمواجهة الأزمة. ففيما هو هاجع في منامة للاطباء قريبة استفاق بعيد الاولى فجراً عندما استصعب التنفس. واذ ظن أن هواء غرفته فاسد فتح النافذة ليدخل الهواء النقي، فلفحته هبّة من الغاز الخانق، وأحس كأن فلفلاً حاراً نفخ في عينيه.

وأسرع الدكتور شوراي مع عشرات من زملائه الى المستشفى لمواجهة الكابوس المرعب. وبدأت طلائع الضحايا تتوافد الى هاميديا قرابة الثانية فجراً. وبحلول الرابعة والربع كانت طوابير الشاحنات والسيارات العسكرية تصل بأعداد ضخمة من المصابين كل خمس دقائق أو نحوها. وفي الأيام الأربعة التالية عمل الدكتور شوراي وزملاؤه نهاراً وليلا مسعفين ألوف المتألمين. وكانوا ينامون ساعتين أو ثلاثاً حين يتسنى لهم ذلك وفي أي فسحة غير مشغولة من المستشفى المكتظ. ويؤكد الدكتور ب. ماثور عميد مستشفى هاميديا: "طلبت من الأطباء وطلاب الطب أن يتناوبوا العمل. لكنهم جميعاً أصروا على العمل من دون توقف."

ووضع المصابون في كل مكان، على الشرفات وفي الممرات والباحات، وفي بعض الأحوال من دون بطانيات يضطجعون عليها. وازدحموا في ذلك المكان الضيق ملتصقين بعضهم ببعض. ووجد الأطباء صعوبة في التنقل بينهم. وبدت هاميديا أشبه بساحة وغى، خصوصاً بعدما نصبت عشرات الخيم في الخارج لاستيعاب الفائض من المصابين الذين لا مكان لهم في المستشفى. وكان الأطباء يتجولون وسط غابة من الجنود والحراس ورجال الشرطة، فيما عمل الطلاب المتطوعون على نقل جثث الضحايا.

ولم يتم التعرف الى هوية الكثير من

القتلى. وفي النهار كانت تجرى مراسم دفن جماعية للموتى المجهولين الذين ستروا بملاءات حمر وبيض تحمل كل منها رقماً.

الشيء الجميل - كانت المشاهد متماثلة في المستشفيات الستة الاخرى. في بوبال. فهناك أيضاً كان الأطباء المترنحون يبذلون جهوداً كبيرة للانقاذ. وساعدت الفرق الطبية مصادفة سعيدة. فمصنع يونيون كاربايد لا يبعد أكثر من ثلاثة كيلومترات عن هاميديا وهو مستشفى التعليم الرئيسي لكلية غاندي الطبية التي تعتبر الأولى بين مثيلاتها في ولاية ماديا برادش. وكان في المستشفى مخزون هائل من الأدوية، وبرعت إدارته في نسج علاقات وثيقة مع الجسم الطبي الهندي، وكانت تعلم تماماً كيف تستقطب المزيد من الايدي العاملة والأدوية والمعدات الطبية. وكان الاطباء الخمسمئة المقيمون في بوبال يدعمون من حين الى آخر بثلاث مئة وخمسين طبيباً من مناطق أخرى، الى ممرضات ومساعدين ومتطوعين من جماعات مدنية.

وكانت المشاكل الصحية الرئيسية التي واجهها الناجون إصابات العينين وصعوبة التنفس. وقد اعطي مصابو العينين قطرات من المضادات الحيوية لمنع الالتهابات الثانوية، وفي حال بروز خطر على القرنية كانوا يعالجون بقطرات الأتروبين السريع المفعول الذي كان يريحهم ويمنع أي تعقيدات أخرى محتملة. وأما مصابو الرئتين فأعطوا أدوية خاصة توسع شعبتي القصبة الهوائية فتسهل التنفس. كما استعمل الأوكسجين في الحالات الأخطر. وأجريت جراحات عاجلة لمن تورمت حناجرهم، أدخل خلالها أنبوب عبر فتحة في القصبة الهوائية.

إن الفوضى والبطء في المعاملة والتكليف أمران مألوفان في الهند. لكن الأمور اختلفت هذه المرة. ويقول الدكتور كريشان ميهرا مدير التعليم الطبي في ماديا برادش: "في الأزمات ننتج أفضل أعمالنا. لقد غابت الفوضى هنا لأن الأمور لم تخطط سابقاً. كل الانجازات تمت من دون أوامر مركزية."

كيف حصل هذا التسرب؟ من المسؤول؟ لماذا ارتفع عدد الضحايا على هذا النحو؟ هل كان من الممكن تجنب ما حصل؟

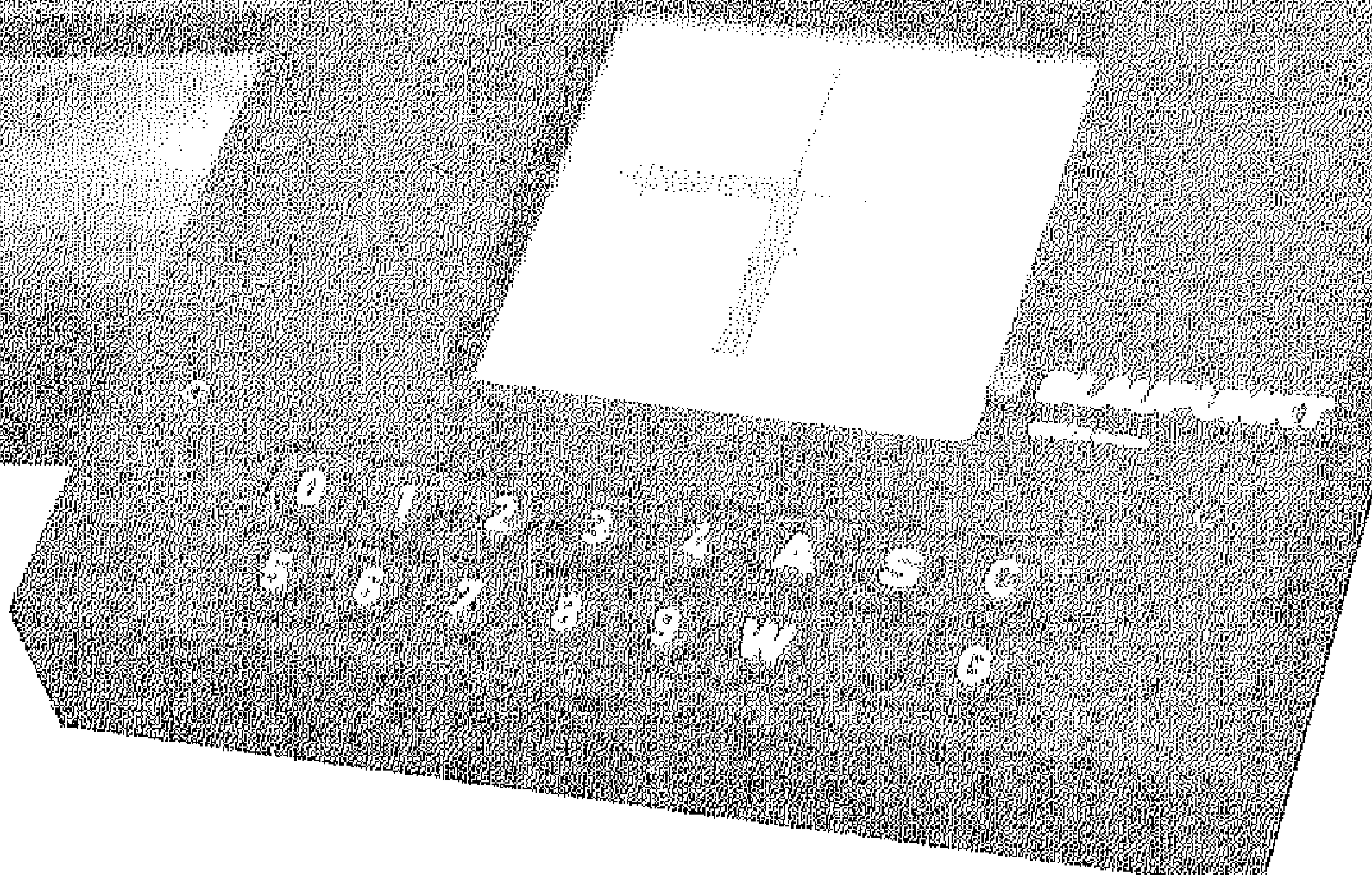
وسط الأسئلة والاتهامات المتنافرة يبرز صوت الأم تيريزا الحائزة جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٩، وهي الملقبة "سيدة كالكوتا" تكريما لأعمال الرحمة التي تقوم بها في أوساط المعدمين والمشردين والمنبوذين والأيتام. وهي طارت الى بوبال لتخفف من آلام الضحايا.

وبعيد خروجها من أحد المنازل في حي فوتا مكبورا المجاور للمصنع قالت: "إنه عذاب فظيع." وعلى رغم صعوبة استخراج أي صلاح من المأساة الماثلة أمام عينيها قامت الأم تريزا بالمحاولة ونجحت: "شيء واحد جميل، أن المأساة أخرجت الطيبة من قلب كل إنسان وجعلت الجميع يشاركون ويتغلبون بالحب على الألم."

روبرت ماكفادن وسانجوي هازاريكا وفيليب بوفي ■

صيانتها أسهل
ومصروفها أقل
وقيادتها أمتع

سيارة الغد يقودها الدماغ الإلكتروني



يلج السائقون اليوم العصر الذهبي للسيارة. فبعد عقد من الزمان سعى خلاله صانعو السيارات الى تحقيق أهداف مصلحية خاملة، تراهم عاكفين الآن على محاولة اغواء المستهلكين بمجموعات من المستحدثات التقنية، بدءاً بواجهات الاجهزة المضاءة بالنور التوهجي (الفلوريسان) وناقل السرعة الذي يتحكم به دماغ الكتروني وانتهاء بالسطح الذي "يحس" قطرات المطر فيحرك مسّاحات الزجاج تلقائياً.

في التسعينات من هذا القرن ستبدو

Condensed from Fortune (April 29, '85), © 1985 by Time Inc., New York, N.Y.
Photo: Milan Horacek/ Bilderberg

السيارات المتطورة متشابهة أكثر مما هي اليوم، لأنها كلها ستتجه نحو تبني الانسيابية (١) المثالية التي تجعلها تبدو كالأسماك من دون حراشف. ولكن تحت المظهر الخارجي ستكون لكل سيارة شخصيتها المميزة. وتتطور الآن شبكة من الاجهزة التي تجعل السيارة تستجيب لتعليمات سائقها على نحو أفضل وتتكيّف مع أحوال الطرق وتمنع السائق من ارتكاب الاخطاء في القيادة. ستكون قيادة مثل هذه السيارة متعة حقاً كما ستكون اقتصادية وأقل ازعاجاً لمالكها.

ان الثورة في الكترونيات السيارات أحدثت فورة من التسهيلات الداخلية، ومنها المرآة التي تتكيف ذاتيا لتسهيل القيادة في الليل أو في النهار، والمقاعد "ذوات الذاكرة" التي تتهيأ ذاتياً لتتخذ الشكل الذي يلائم أربعة أشخاص مختلفين يقودونها. ومن طريق الدماغ الالكتروني الخاص بالرحلات، الذي يتوافر حالياً في كثير من السيارات الفخمة، يمكنك أن تراقب كم تستهلك سيارتك من الوقود وأن تقيس الحرارة في الخارج وتعرف كم سينقضي من الوقت قبل أن تصل الى حيث تقصد. وفي أواسط التسعينات سيكون في وسع سيارتك أن "تشعر" باقترابك منها بواسطة مفتاح تحمله معك يعمل بالاشعة دون الحمراء، فتفتح لك بابها تلقائياً وتعدّل ضوابط تكييف الهواء والمقعد والمرايا والمقود ومعيار الوقود الذي يؤمن الاستهلاك الاقتصادي الذي يناسبك، ثم تدير لك المحرك.

وتشهد واجهة الاجهزة كذلك تغييرات جذرية. فهناك واجهات تبدّل ألوانها من طريق دماغ الكتروني صغير، وهي متوافرة الآن في كثير من السيارات الفخمة. وتقدم شركة "أولدزموبيل" الى زبائنها واجهات مضاءة بأنوار توهجية بيضاء أو زرقاء مخضرّة، مع جهاز انذار لربط حزام الأمان ومعيار للوقود يتحول الى اللون البرتقالي الفاتح ليشير الى أن مستوى الوقود انخفض في الخزان.

[illegible] – كثيرون من صانعي السيارات أصبحوا يضعون الأجهزة التي يستعملها السائق غالباً في مكان أقرب الى يديه. ونظام الاسلاك المتعددة الاغراض، حيث يكفي سلك واحد حسّاس لنقل اشارات الى أجهزة عدة، سيمكن صانعي السيارات من تجميع عدد وافر من الاجهزة الضابطة حول عمود القيادة. وفي أحد الطرازات التي أنتجتها شركة "فورد" على نطاق محدود تستخدم هذه الاسلاك لوضع عشرة أزرار لاجهزة مختلفة تحت أنامل السائق. وفي طراز ١٩٨٦ لشركة "بويك" لوحة عرض حساسة يستطيع السائق بملامستها تحريك ابرة الراديو وتعديل الحرارة الداخلية وتشغيل الدماغ الالكتروني الذي يراقب سير الرحلة.

وتطور شركة "دايملر – بنز" طرازاً يستطيع فيه السائق أن يطّلع على خريطة محددة قبل الانطلاق في رحلة، ويلقّم الدماغ الالكتروني معلومات عن

---

(١) Aerodynamics أو الديناميكا الهوائية علم يبحث في حركة الهواء والسوائل الغازية الاخرى وفي القوى المؤثرة في الاجسام المتحركة عبر الهواء.

مكان وجوده والمكان الذي يقصده. وفي أثناء السير يظهر على الواجهة سهم صغير يرشده الى الاتجاه الذي ينبغي أن يتبعه.

وتحت غطاء المحرك تتناول تغييرات التقنية العالية كل وظيفة أساسية في السيارة. والكوابح المانعة لتقبّض العجلات (٢) هي أبرز التطويرات الحالية التي تستأثر بالاهتمام منذ ابتكار أحزمة الأمان. فحين يضغط السائق الكابح العادي على أديم طريق شديد الانزلاق، فان واحدة أو أكثر من العجلات قد تنقبض فتتوقف كلياً عن الدوران وتسبب انزلاق السيارة وفقدان السيطرة عليها. والجهاز المانع لتقبّض العجلات يستبق الانزلاق ويقرر متى يقارب ضغط الكابح حد ايقاف العجلة كلياً، فيرفع الضغط عن الكابح تماماً كما يفعل السائق المجرّب ولكن على نحو أسرع. واحدى فوائد هذا الجهاز أنه يوقف السيارة ضمن مسافة أقصر من المعتاد في معظم الاحوال، وميزته في ذلك أنه يمكن السائق من تحويل وجهة السيارة فيما هو يضغط الكابح، وهكذا يتاح له أن يتحاشى العوائق في الطريق أو السيارات الاخرى المنزلقة.

– قد يكون أفضل التحسينات المقبلة في مجال تشغيل السيارات نظام التعليق "الفعّال" (٣) الذي يتحكم به دماغ الكتروني. وقد بدأت تظهر بضعة طرازات أولية من هذا النظام في سيارات "تويوتا" و"نيسان" و"ميتسوبيشي". ففي طراز "ميتسوبيشي" يمكن السائق أن يضغط زراً في واجهة الاجهزة ليختار التعليق الصلب أو التعليق الآلي، وهذا يجعل السيارة تقرر هي اذا كان وضع الطريق يتطلّب تعليقاً صلباً أو ليناً. وحين تنعطف السيارة بحدة (وهي الحال التي يستنتجها الدماغ الالكتروني من مقارنة حركة المقود بالسرعة) أو في أثناء الكبح الحاد أو الانطلاق السريع، تتولى السيارة ذاتياً تصليب نظام التعليق فيها. أما في أثناء السير البطيء فانها تجعل التعليق ناعماً. وتحقق سيارة "ميتسوبيشي" هذه الغاية من طريق نفخ الرفاصات الهوائية أو تنفيسها وتبديل توزع السائل داخل مقاومات الصدمات.

وثمة نظام تعليق أكثر تطوراً تنفذه شركة "لوتس" بضمان مالي من سبع شركات أخرى. وهذا النظام يستغني كلياً عن الرفاصات ومقاومات الصدمات ويعتمد بدلا منها مكابس تعمل بالزيت. ويؤمّن دماغان الكترونيان التكيّف مع أحوال الطريق والقوى المتفاعلة في الالتفاف السريع. وهذا النظام مهيأ ليؤدي وظائف مدهشة فعلا مثل ابقاء السيارة في وضع أفقي تماماً عند الانعطاف بدل الميل جانبياً كما يحدث عادة.

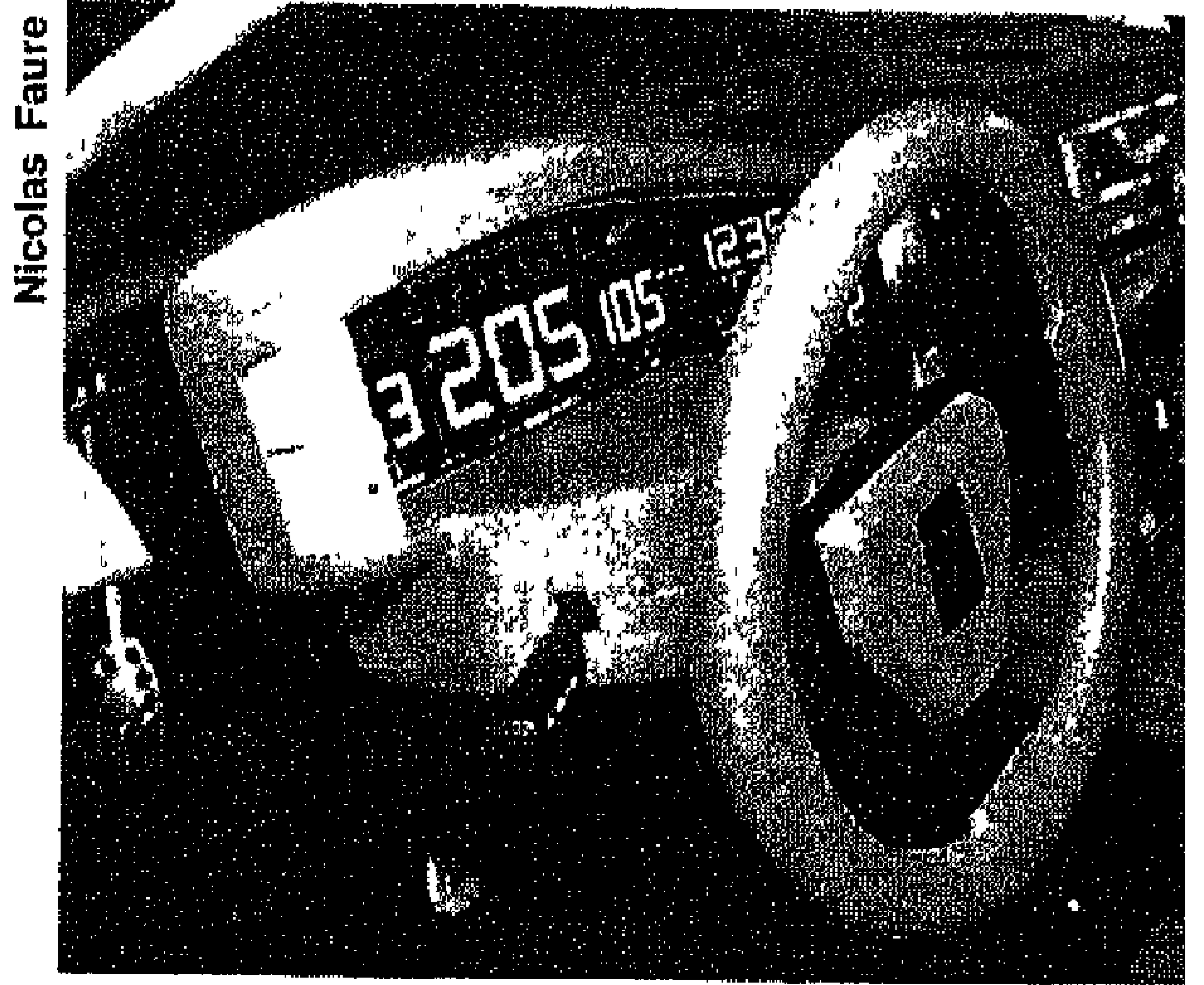
كذلك ستتحقق درجة أعلى من الفاعلية في تشغيل السيارة بفعل الأدمغة الالكترونية داخلها وهي التي تنظم أدق وظائف المحرك. وينتظر العلماء في مصانع "جنرال موتورز" اليوم الذي ستتولى أجهزة كهرمغناطيسية

(٢) Antilock brakes

(٣) «Active» suspension

صغيرة وقوية مهمة فتح الصمامات واغلاقها فتغني عن عمود الحدبات (٤) الميكانيكي.

- اذا كانت التقنية العالية تخفي بعض المفاجآت السيئة بالنسبة الى المستهلك، فان هذه ستظهر ربما حين تحتاج سيارة الغد الجديدة



جهزت شركة "بيجو" هذه السيارة المصممة بواجهة رقمية وشاشة دماغ الكتروني.

اللمّاعة الى ضبط. ولا يزال صانعو السيارات يحتفظون بالميكانيكيين في وكالات البيع، الا ان الحؤول دون تحول مشاغل التصليح "مواقع تعذيب" يقع على عاتق المصممين. وقد حقق صانعو السيارات تقدّماً كبيراً في اتجاه انتاج السيارة التي لا تحتاج الى صيانة. فالبطارية الكهربائية لم تعد تتطلب عناية، وبعض أجزاء السيارة مثل جهاز نقل الحركة والترس التفاضلي (٥) لم تعد تتطلّب تفريغاً واعادة ملء بالزيت.

وهناك الآن سيارة واحدة على الأقل تنبّهك الى موعد حاجتها الى الصيانة. وبعض السيارات يضبط ذاتياً. وتتولى الادمغة الألكترونية التي تتحكم بالمحركات في معظم سيارات الركاب العادية من انتاج شركتي "جنرال موتورز" و"فورد" تعيير مزج الوقود بالهواء بحيث يستمر محرك السيارة في العمل بفاعلية حتى بعد اهتراء شمعات الاشعال وتجمع الاقذار في المصافي وتبدل نوعية الوقود. وتعمل الأدمغة الالكترونية كذلك على غرار مسجلة الرحلات في الطائرات، فتوفر على صاحب السيارة عناء وصف ما يلاحظه من اضطراب في عمل المحرك في الايام الباردة أو الممطرة للميكانيكي المختص بالتصليح. وما على الميكانيكي سوى أن يستخدم الدماغ الالكتروني في مشغله ليخرج "الجنّي" المتواري في السيارة كي يشخص له كل العلل المحتمل حدوثها.

في التسعينات سيوفر تجار السيارات لزبائنهم ما هو أكثر من "عملية نفض" بتقنية عالية. فالسيارات التي لا تزال اليوم في مرحلة التصميم ستكون قادرة على استيعاب التحسينات الجديدة، مثل ادخال الدماغ الالكتروني الذي يلقّن السيارات أساليب مستحدثة، وتركيب أجزاء جديدة في الهيكل تعيد الشباب الى سيارة تخطت عامها الثالث. وقد تكون هذه أفضل بشرى الى المستهلكين الذين لن يحتاجوا الى شراء سيارات جديدة لارضاء رغبتهم في مجاراة التكنولوجيا المتطورة.

بيتر بيتري ■

---

(٤) Camshaft

(٥) Transmission & Differential

"لم تعد الأمور كما كانت في الماضي" جملة يرددها المسنون بلا انقطاع

منذ زمن بعيد والشيوخ يثنون على أيام صباهم ويتأسفون على الحاضر وينبئون بالخراب في المستقبل القريب. ففي أي زمان عاشوا تراهم يصرون على أنه قبل بضعة عقود كان الأبناء يحترمون آباءهم وكان المنزل مكان المرأة وكانت الاستقامة منتشرة بين الناس وكان السلوك مثالياً وحسن الذوق سائداً ونكهة الطعام والشراب لذيذة. وكان الشبان يبذلون حياتهم في سبيل الذود عن أوطانهم.

وسخط الشيوخ هذا لا ينصبّ فقط على انحطاط المعايير الاخلاقية ("لم يعد أي شيء مبجلا") وتقلب الفصول ("لم يعد في استطاعتك أن تجزم بأنه الربيع")، بل هو يشمل أيضاً الامور الصغيرة والتافهة. الكسندر ايفانوفيك هرزن ثوري ميسور من القرن التاسع عشر، خصص صفحة من مذكراته مفعمة بالحنين للذة السفر في عربة تجرها الجياد. وكتب: "إنك تتحرك ببطء، فتتقدم تدريجاً داخل بلد جديد وتمتع نظرك بمرأى الطبيعة وتقيم صداقات جديدة وتتعلم لغة أجنبية من دون أن تشعر بذلك، في حين أن السفر في القطار وسط الدخان والهدير الذي يصم الآذان يجعلك تصل بسرعة الريح الى المكان الذي تقصده من دون أن ترى أو تفهم أو تتعلم أي أمر."

غير ان هذا الاريستوقراطي الروسي نسي نومة الأكواخ والأسرّة التي تعج بالبق والتي تتقاسمها مع الغرباء والطعام الذي لا يؤكل والمراحيض التي تثير الاشمئزاز أو التي لا وجود لها على الاطلاق (سأل الشاعر الالماني غوته صاحب النزل في قرية توربل الواقعة في شمال ايطاليا: "أين المرحاض؟" فأتاه الجواب: "في الفناء." فسأل: "ولكن أين هو بالتحديد؟" فأجاب صاحب النزل: "في أي مكان.") ونسي هرزن أيضاً جشع سائقي العربات وأعمال السلب التي يقدم عليها

قطاع الطرق والازعاج الذي يحمله الخروج من العربة ودفعها على المرتفعات وتحت المطر والثلوج أحياناً.

ويذكر أبي قول الشيوخ ان الشراب المستقطر من الكروم الامريكية لم يكن بالجودة التي عرفت قبل أن تتلف آفة الفيلوكسرا (*) الكروم الاوروبية. أما المسنون من أهالي مدينة ميلانو الايطالية فلا يأكلون إلا خبز البانيتوني العريض المسطح الذي يصنعه خبازوهم وليس الخبز الطويل الرفيع الذي يتيح للخبازين ادخال أكبر عدد ممكن منه الافران الصناعية الحديثة. ونشب أيضاً صراع حاد وطويل بين مستعملي الموسى التقليدية وأولئك الذين اعتمدوا آلة الحلاقة، وبين مؤيدي قناديل الكاز ومريدي المصابيح الكهربائية، وبين أنصار الياقة المنشاة التي يمكن نزعها (إذ يسعك أن تبدلها وأنت ترتدي القميص ذاته) وأنصار الياقة الليّنة المعلقة بالقميص. أما أبي فيأسف لحالنا إذ لم نعد نستذوق النكهة الشهية للطعام المطبوخ على الحطب أو الفحم.

لا شك في أن الرائحة المنبعثة من الطعام المطبوخ على الفحم والحطب تسيل اللعاب، لكن النكهة لم تكن تستحق العناء. كنت كل صباح تستفيق على أمل العثور على بضع جمرات في موقد المطبخ تساعدك على اضرام النار لتحضير القهوة. وقلّما تحقق أملك على رغم كل التدابير الاحتياطية التي اتخذتها في الليلة السابقة. ولاضرام نار جديدة كان عليك أن تملأ الموقد بأوراق الصحف والعيدان ثم بالفحم. وتشعل الورق بعد ذلك بعود كبريت وتنفخ اللهب الواهن بكل ما أوتيت من قوة. وهذه العملية كلها تتطلب نحو ١٥ دقيقة صبراً.

ومن الماضي أيضاً تعاودني ذكرى الأيام والليالي الطوال التي أمضيتها في القطار خلال الرحلات التي قمت بها في صباي. وهي رحلات برية لا نهاية لها تخللتها في بعض الأحيان رحلات بحرية كانت تطول وتطول حتى ان هرزن نفسه كان ليستمتع بها. وأذكر أنه في أحد أيام العام ١٩٣٩ كان علي أن أبلغ لندن بأقصى سرعة ممكنة. فركبت إحدى البواخر الراسية في ميناء اوستند في بلجيكا. (لم يكن القطار يومذاك يعبر فرنسا لأن السّكك الحديد هناك كانت مقطوعة بسبب التعبئة العامة). وكان الطقس ذاك اليوم عاصفاً والغيوم سوداء ومنخفضة يطارد بعضها بعضاً في كبد السماء والأمواج عالية تضربها الريح العاتية فتحطمها وتحوّلها سحباً من الرذاذ الأبيض. وعندما أصبحنا في عرض البحر قيل لنا انه يستحيل علينا دخول أي من المرافىء البريطانية. ولم يكن في وسعنا أن نستدير ونرجع الى أوستند. وهكذا أمضيت ٤٨ ساعة في باخرة تتقاذفها الامواج وسط مسافرين شاحبي الوجوه يتقيأون. (في السنة الماضية ذهبت في رحلة ممتعة لم تستغرق سوى ساعتين على متن طائرة أقلّتني من لندن الى روما. ولم يُصب أحد بالغثيان.)

إن هذا الحنين الذي يشعر به المسنون

(*) نوع من قمل النبات.

قد نجد تفسيراً له في ما قاله الشاعر الروماني هوراسيوس: "إن الذي يثني على الماضي أيام كان فتياً لهو صعب الارضاء وكثير التشكي. تراه ينتقد الاجيال الفتية بقسوة ويلقي باللوم عليها. ان السنين التي تمر تجلب معها الكثير من الرفاهات، لكن رفاهات كثيرة أخرى تمضي بمضي السنين."

وهكذا فإن حنين المسنين يركز بلا شك على انحطاط القيم وانهيار المثاليات وضعف الشعور بالوطنية وزوال الصدق والفضيلة والمجاملة وحسن الذوق. لكنهم يتأسفون خصوصاً على زوال الكثير من رفاهات صباهم ومباهجه ومتعه وأذواقه، وهي رفاهات ومباهج ومتع وأذواق قد تكون حقيقية وقد تكون من صنع خيالهم.

أما أنا فلا أجد لهذا الشعور الا تفسيراً واحداً ألا وهو أن العالم يكون صادقاً وفاضلا ورائعاً وممتعاً ومرحباً ومستساغاً وحافلا بالمباهج عندما تكون في العشرين من عمرك. لكنه يصبح كريهاً مع بلوغك سن الرشد، ويتحول مرفوضاً في شيخوختك.

لويجي بارزيني ■

سيارة للسكن

كانت أختي تعمل ساعات اضافية والمقعد الخلفي في سيارتها يمتلىء بالاشياء التي لم تجد متسعاً من الوقت للاهتمام بها. وتراكمت هناك ثياب يجب إيصالها الى محل التنظيف وزجاجات فارغة تجب اعادتها الى البائع وصحف ورسائل وزوج أحذية وكيس بقالة.

ومرة ركبت معها في السيارة زميلة في العمل. فذهلت حين نظرت الى المقعد الخلفي وسألتها: "منذ متى تقطنين هنا؟"

ك.ج.

نشّافة التكنولوجيا

علقت الارشادات الآتية على جهاز تنشيف الايدي بالهواء الساخن في أحد المطاعم: (١) أنفض الماء عن يديك. (٢) اضغط الزر ثم اتركه. (٣) أفرك يديك سريعاً أمام الفوهة. (٤) المنشفة تتوقف تلقائياً.

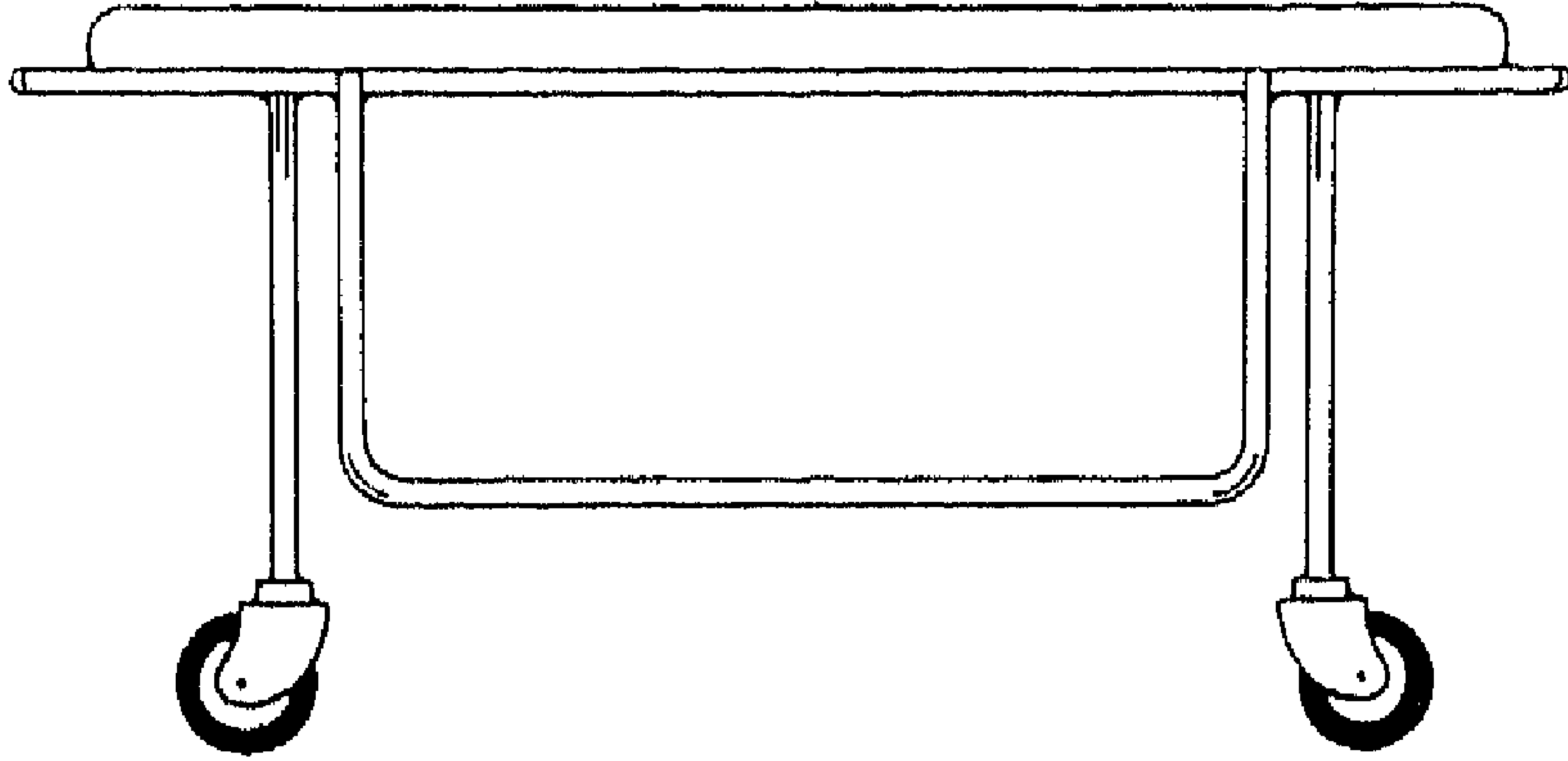
وأضاف أحدهم تحت هذه التعليمات: (٥) امسح يديك بسروالك.

ر.ب.ف.

لا يستطيع أحد ولوج المستقبل وهو يسير القهقرى.

ج.هـ.

أنباء من عالم الطب



على رغم الكلام الكثير خلال العقود الثلاثة الاخيرة حول العلاقة بين ارتفاع كمية الكولستيرول في الدم وانسداد الشرايين التاجية، فان الباحثين الطبيين لم يبرهنوا فعلا عن أن إنقاص نسبة الكولستيرول يقي المرء الاصابة بالنوبات القلبية. لكن الباحثين اليوم يقولون انهم أثبتوا صحة هذه النظرية، بعد دراسة استمرت عشر سنين وكلفت المعهد الوطني للقلب والرئة والدم في الولايات المتحدة ١٥٠ مليون دولار.

أجريت الدراسة في ١٢ مركزاً في الولايات المتحدة وكندا على ٣٨٠٦ رجال في منتصف العمر كانت كميات الكولستيرول مرتفعة جداً لديهم، ولكن لم تظهر عليهم بوادر أمراض القلب عند بدء الدراسة. وأخضع الرجال أول الامر لنظام غذائي خفض مقادير الكولستيرول لديهم بنسبة ٣،٥ في المئة. وبعد ذلك أعطي نصفهم عقار كولستيرامين الذي يُنقص الكولستيرول، فيما أعطي النصف الآخر حبوباً لا تحوي أي دواء. وتحرّى الباحثون الاحوال الصحية للرجال طوال السنين العشر اللاحقة.

وبيّنت النتائج أن كميات الكولستيرول لدى الذين تناولوا الدواء الحقيقي انخفضت بنسبة ١٣،٤ في المئة، في حين لم يحصل انخفاض مماثل لدى النصف الآخر. كذلك تبين أن خطر النوبات القلبية لدى المجموعة الاولى تدنى بمقدار ١٩ في المئة، وأن الآلام الصدرية المتعلقة بأمراض القلب قلت لديهم.

ولكن ما معنى هذه النتائج؟

يقدر الدكتور باسيل رفكند الذي أشرف على الدراسة أن مئات آلاف الوفيات السنوية في العالم يمكن تجنبها اذا عمد ذوو النسب المرتفعة جداً من الكولستيرول الى انقاص وزنهم. وأضاف أن اعتماد الطعام الذي ينطوي على كميات ضئيلة جدا من الشحم الحيواني يمكنه خفض الكولستيرول بنسبة ١٠ الى ١٥ في المئة. اما العقاقير فلا يجوز وصفها الا لذوي الكميات الكبيرة من الكولستيرول الذين لا ينفع معهم نظام الحمية الغذائية.

مجلة "نيوزويك"

بعدما كان الأطباء يظنون أن العطل الدماغي لا يزول ولا يمكن إصلاحه، تبيّن لجماعة من الباحثين أجروا اختبارات على الحيوانات، خطأ تلك النظرية. ففي الامكان إبراء تلك الامراض عبر زرع خلايا دماغية جنينيّة لقابليّتها على الالتحام والنموّ.

ووصف دونالد شتاين من جامعة كلارك في وستر بولاية مساتشوستس الأمريكية وثلاثة من زملائه نتائج اختباراتهم في مجلة "العلم"، وهي اختبارات أجروها على ٢١ جرذاً نزعت قشور أدمغتها الامامية المتعلقة بتعلّم العلاقات المكانية. وفي هذه الحال يستغرق تعلّم العلاقات ١٨ يوماً. إلا أن العلماء اختاروا ثمانية من تلك الجرذان وغرسوا في دماغ كل منها نسيجاً جنينياً مكان النسيج المستأصل. وكانت النتيجة أن الجرذان الثمانية اكتسبت درسها في ثمانية أيام ونصف يوم.

ويتولى العلماء إجراء اختبارات مماثلة على أمكنة أخرى من الدماغ. وهذه الاختبارات قد تؤدّي الى اكتشاف طرائق لشفاء بعض الامراض المستعصية حالياً. مثل الشلل الرعاشي وداء آلزهايمر (نوع من الخَرَف) وداء الرقّاص الذي يصيب الوجه والاطراف باختلاجات عصبية.

مجلّة "تايم"

في دراسة أشرف عليها الدكتور جون وينبرغ أستاذ الطب العائلي في جامعة دارتموث (ولاية نيو هامشير الامريكية) أن الكثير من الجراحات التي يخضع لها المرضى غير ضروري. ومن هذه الجراحات استئصال اللوزتين والرحم والبروستات.

ووجد الباحثون أيضاً أن الناس الذين يسكنون مناطق تفتقر الى الخدمات الطبية والجراحية المتطورة لا يقلون صحة عن سكان المناطق التي تكثر فيها تلك الخدمات. وتخلص الدراسة الى أن ثمة حاجة ملحة الى اعادة تنظيم الجسم الطبي بحيث يُستغنى عن الخدمات غير الضرورية.

صحيفة "شيكاغو تريبيون"

إذا نجح الاختبار الذي يجريه مستشفى القديس يوسف في بلدة مارشفيلد من أعمال ولاية وسكونسن الامريكية، فستشهد البلدة المزيد من محبّي الموسيقى الكلاسيكية بعد عشرين عاماً.

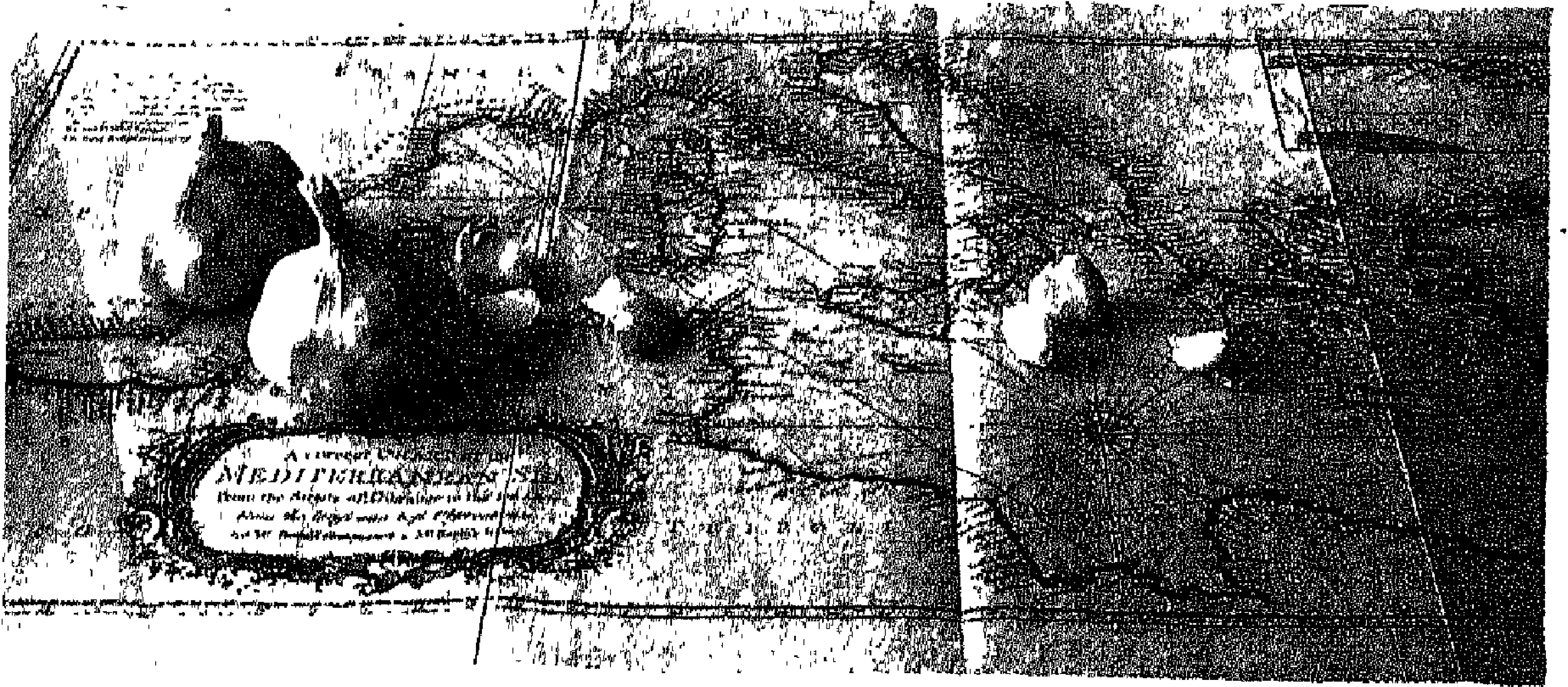
ويجرى الاختبار على الأطفال الذين وُلدوا قبل أوانهم ووُضعوا في غرفة العناية الفائقة داخل المستشفى. ويتولى الفريق الاختباري بث مقاطع من موسيقى بيتهوفن وباخ وبرامس في الغرفة، كجزء من خطة لجأ اليها المستشفى بالنسبة الى جميع المواليد الجدد.

وقد بينت الأبحاث في مستشفى جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس أنّ المولودين قبل الأوان يكتسبون الوزن على نحو أسرع إذا هم وُضعوا في غرفة تدار فيها أشرطة مسجلة تحوي موسيقى كلاسيكية وأصوات أفراد عائلاتهم.

اذاعه وسنفماوس

هذا مقال آخر عن الثوم (★)
الذي يزعم بعضهم ان نفحة
من ريحه كفيلة بطرد "الارواح الشريرة".
لكن ملك الاعشاب شهي أيضاً،
وقد يصنع الاعاجيب في مجال الصحة

الثــوم مأكل الأبطال



ايزابيلّا بيتون "ملكة" المطبخ الفيكتوري كتبت في الثوم ما يأتي: "رائحة هذه النبتة تعتبر كريهة، ومذاقها هو الاشد لذعاً بين جميع فصائل الابصال. جيء بها الى بريطانيا عام ١٥٤٨ من شواطىء المتوسط حيث تتوافر. وفي القارّة الاوروبية، خصوصاً في ايطاليا، يستعملونها بكثرة. وهي في فرنسا عنصر أساسي في تحضير أطباق كثيرة."

لكن هذا الكلام يفتقر الى الدقة

(★) "المختار" نيسان (ابريل) ١٩٧٩.

التاريخية. فقد عرف الثوم في بريطانيا حتى قبل أن يهزم الساكسونيون البريطونيين القدامى فيفر هؤلاء الى هضاب ويلز. ونظر اليه الانغلوساكسونيون كنوع من الكرّاث ذي أوراق رمحية. وكان الثوم البري ينبت في الافنية. وظلت أكاليله وعقوده لاجيال "تبعد" الارواح الشريرة ومصّاصي الدماء. وليس صعباً على المرء أن يشتمّ السبب.

ان فص الثوم شيء سحري. انّه يؤدي خدعة غريبة على طاولة المطبخ. اضغط فصّ الثوم بكلية يدك فيفر من قشرته الرقيقة عارياً. استخرج العصير بكبسة تحصل على ما يعتقده البعض دواء قادراً على الشفاء من معظم الاوجاع. وقليل ما لا يستطيعه.

اعتدال ومبالغة – أعيش على تخوم منطقة بروفانس جنوب شرق فرنسا حيث يدخل الثوم كل شيء على ما يظهر. أحشو به اللحم بكثرة وأحرص على أن تستقر الفصوص في العمق، اذ يجب ألا يغمق لون الثوم أو يسودّ، والثوم المحروق فظيع. أطبخ الدجاج في وعاء مع "رؤوس" كاملة من الثوم. هذا طبق بروفانسي جداً. أسحن الثوم في هاون مع البقدونس والنعناع والطرخون وحصى البان، وأضع المزيج في حشوة الطيور أو في أطباق اليخنة. ولغذاء خفيف آكل فصوص الثوم مع البندورة (الطماطم) المملحة والجبنة البريطانية (وأفضل جبن الشيدار). لقد أصبح الثوم جزءاً من حياتي.

ان للثوم توزّعاً عالمياً أوسع مما يظن بعض الناس. واذا كانت السيدة بيتون ترفضه برعدة لانها تجد فيه أكثر من مؤكّد على عدم ملاءمته الذوق النسوي، وتابلاً من المطبخ البربري الهزيل، ولا وقع له حتى في الطبقة المتوسطة العليا، فقد نمّ رفضها عن نظرة ضيقة ومتعصبة. فالرومان الذين سمّوه "أليوم" (allium) نشروه في أنحاء أوروبا عبر طرقهم وجيوشهم. ولفظات "آي" (ail)الفرنسية و"آليو" (aglio) الايطالية و"آخو" (ajo) الاسبانية تعود الى الاصل اللاتيني. وللثوم أيضاً مركز مرموق في المطبخين الصيني والهندي. انه منكّه ملائم للحضارات التي لا اعتراض لديها على الروائح الحادّة.

يخيّل اليّ أنّ أحد أهداف الثقافة الانكلو – أمريكية كان إبطال حاسّة الشمّ. لقد أصبح ينتابنا ذعر من معظم الروائح. ويوم يبدأ طهو الثوم فمن المؤكد أنه سيعم.

لكن الثوم بدأ يشق طريقه الى مطابخ شعوب الشمال الهادئة. وأصبح معترفاً به كلاذع محترم وشهي ودليل على سعة أسفار. أما المشكلة التي يواجهها الطباخون الهواة فهي: الى أي مدى يجوز السماح للثوم بفرض "المتوسطية" على أطباق الشمال التقليدية؟

وينزع بعض الامريكيين الى الافراط او المبالغة. لقد دعيت الى عشاء أعدته ربة بيت قديرة وطموحة. بدأ العشاء بالفطائر المثوّمة وانتهى بلحم البط والسلطة المثوّمين مع الخبز المنقوع بزبدة الثوم. ولقد أحسست كأنّ محذراً داخلياً موقتاً هو الذي ردع مضيفتنا عن تقديم الجيلاتي والقهوة مع رشّة من مسحوق الثوم.

ولا أظن أن الثوم يمكن أن يستعمل في قلي البيض صباحاً. فلا يستحسن لطعام الفطور أن يرصّع بفصوص الثوم، ولا حاجة الى الثوم في مسلوق اللحم والبطاطا وبعض الخضر، ولا مع السمك المشوي. ومع ذلك فالثوم يتلاءم تماماً وتلك الاطباق الرائعة التي تحضّر من المتبقيات كفطائر الاسماك والمعجنات المحشوة المقلية.

وبفعل ما يصدر عنه من رائحة فالثوم أفضل ما يكون مع أطباق الجنوب كحساء السمك واليخنة. وهو اليوم ينسلّ الى أطباق الشمال من غير أن يلحظه المتذوق تماماً. ولكن حين يعلن الثوم نفسه بكل عنف فأنت في صميم المطبخ الجنوبي. أنت في مناطق زيت الزيتون وقد تركت الزبدة لمرتفعات الشمال.

"أهل الثوم" – هذه الانطباعات عن الثوم أملتها زيارة الى مدينة سان كلار في مقاطعة غاسكونيا جنوب غرب فرنسا. والعالم يعرف هذه المنطقة التي اشتهرت بابنها سيرانو دو برجيراك الشاعر والجندي ومتذوق الثوم. وتعتبر سان كلار عاصمة الثوم في فرنسا. وفي كل خميس بين يوليو (تموز) ويناير (كانون الثاني) تفتح في العاشرة صباحاً سوق يباع فيها بين ٥٠ و١٢٠ طناً من هذه العشبة في أكياس أو باقات.

في شهر أغسطس (آب) ١٩٨٤ كان مهرجان سان كلار عابقاً برائحة الثوم. كان يرى في كل مكان، وقد أقيمت له نقوش تزيينية. وحضرنا المهرجان أنا وزوجتي، وتعلمنا الكثير.

تعلمنا أن كلّاً من العمّال المصريين الذي بنوا الاهرام كان يعطى فص ثوم قبل بدء العمل لكي يقبل عليه برضا وليطرد عنه الامراض. وكان الرياضيون الاغريق القدامى يمضغون فصّاً منه قبل بدء تمارينهم العضلية. ووباء الطاعون الذي اجتاح مارسيليا عام ١٧٢٠ أمكن التغلب عليه بمطهّر ركّب من مزيج الثوم والخلّ.

واليوم؟ يخبروننا أن الثوم الممضوغ والممزوج باللعاب يثير شهيّة قويّة ويحفز العصارات المعدية للتوصل الى هضم أفضل. وهو يقاوم الانفلونزا (النزلة الوافدة) وتصلّب الشرايين بالشراسة نفسها، ويخفض ضغط الدم العالي. الثوم هو الصحة، كلوه!

قد يكون هذا تطرفاً في الادعاء، ولكن له مبرراته في مقاطعة تفاخر بأفضل ثوم في العالم. ويعود ذلك الى التربة الغنية والمناخ والتقاليد القروية التي جعلت الثوم أحد اهتماماتها. وتستطيع دائماً التعرف الى "أهل الثوم" حين تراهم يأكلونه نيئاً. انهم يأخذون قطعة من الخبز يغمسونها في الدهن أو زيت الزيتون ثم يهرسون فيها فصّ ثوم. انهم يعلكون الخبز ثم يبلعونه مع فص ثوم أو فصين وحبة عنب. وفي طهو الثوم يحذّر أهل سان كلار من تركه يغلي طويلاً، فقد يفقده ذلك نكهته.

قد يكون الثوم الوحيد في الاصناف المطبخية الذي يجاز له أن يطلق نزواته على هواها ويصنع الاعاجيب في آن. وهناك أقراص الثوم من أجل الذين لا يستطيعون الحصول على كفايتهم من

هذه النبتة اللاذعة. وفي اعتقادي يكفيك أن تدخل الثوم وجباتك لحمل الكولسترول على الجريان في أجهزتك فلا يغل في الزوايا والخطوط الجانبية من شرايينك.

ولكن مع كل الاجلال الواجب لمدينة سان كلار فالاقتناع بالثوم هو اقتناع بحضارة لا تثقلها الشحوم. انه الابتعاد عن خطوط الدهون الحيوانية وتعوّد زيت الزيتون. وقد يكون التحول عن نظام الزبدة والشحم الى نظام الزيت هو الذي أنقذ حياتي في منتصف العمر. لكن الثوم حتماً أدى دوره أيضاً.

حمِّ زيت الزيتون في مقلاة، أضف فصوص الثوم بسخاء، ذبِّل اللحم أو السمك ثم كل كابطال هوميروس. أنت الآن في صميم المتوسط، تلك المنطقة الساحلية التي علّمتنا كلَّ ما يحسن تعلّمه. ان نفس الشعر الملحمي، عندما لا يكون دماً، هو ثوم صرف.

أنطوني بورغس ■



القبيلة والطائرة

استخدم جون هاملت رجالا من قبيلة مورو في جزيرة مندناو من جزر الفيليبين، لمعاونته في اصطياد قرود بالاشراك من أجل اختبارات طبية حول شلل الاطفال. وقبل مغادرته البلاد أراد تكريمهم. وروى في ذلك:

لم يكن رجال القبائل رأوا طائرة على الارض من قبل، واقتصرت معرفتهم بالطائرات على رؤيتها في الجو، لذلك ظننتهم سيبتهجون بركوب طائرة، فاستأجرت واحدة لهذه الغاية. وبقي رجال المورو هادئين على نحو غير عادي حين أقلعت بهم الطائرة ثم حامت فوق قراهم في الجبال المكسوة بالغابات. وكانوا ينظرون من النوافذ بلامبالاة من دون أن يقولوا شيئاً أو تبدو عليهم أمارات الابتهاج.

وبعد هبوط الطائرة سألتهم متحمساً: "كانت رحلة ممتعة، أليس كذلك؟ تصوروا أنكم كنتم هناك في الجو، تطيرون فوق الاشجار والجبال. كنتم تنظرون الى أسفل لتروا كل شيء من عل. أليس هذا مدهشاً؟"

فحدق الي رئيسهم بوجه كالح وتمتم بعد لأيٍ: "هذا ما يفعله البعوض."

هـ.ك.

آداب الكبار

شاءت معلمة أن تلفت الصغار الى آداب السلوك من طريق استنطاقهم حول توجيهات أهلهم عندما يأخذونهم الى مطعم.

قال أحد الصغار: "لا تلعب بطعامك." وقال آخر: "لا تتكلم بصوت عال." وهكذا.

ثم سألت المعلمة طفلا: "ماذا يقول لك والداك قبل أن يأخذاك الى المطعم؟" فأجاب الطفل من دون تردد: "أطلب طعاماً رخيص الثمن."

ل.ر.

قد يموت والدك فجأة. وقد يحدث هذا في الوقت الذي يكون زوجك فقد عمله وأنت تعانين مشاكل مع أولادك.

قد يسرق بيتك. وربما حدث هذا فيما أنت منهمك في اعداد معاملات الطلاق بعد ابلالك من مرض.

عندما تواجه ضغطا كهذا تصبح مرشحا لما يسمى "انهيار اعصاب" وهو نوع من الشعور المطبق بعدم السيطرة على الحياة وبحاجة الى الاستشفاء من الاضطراب العقلي. لقد اصبحت هذه المعانيات شائعة.

"كل امرىء في بعض ظروف الحياة قد يجد نفسه في موقف يمكن أن يؤدي به الى اختلال في بعض وظائف العقل." هذا ما يقوله الدكتور مورتن سيلفرمان من المعهد الوطني للصحة العقلية في الولايات المتحدة. وحتى الامراض الجسدية العادية قد تتحوّل مشكلة عقلية. ويؤكد الدكتور ميلتون غرينبلات من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس أن الاعتلال الصحي الطبي يصاحبه ضيق عاطفي في ما يراوح بين ٦٠ و٧٠ في المئة من الحالات. وكلنا الى حدّ ما معرضون للخطر.

لذلك يعتقد خبراء الصحة العقلية أنه يجب أن نتعلم "الاسعافات الاولى النفسانية" التي يمكن أن نطبّقها للاحتفاظ بتوازننا في الشدّة، حتى عندما

يكون العون الاختصاصي ضرورياً. مثل هذه الاسعافات الاولى قد تخفّف الصدمة وتساعد على الشفاء بسرعة. ومهما يكن مدى الارشاد الخبير الذي تحصل عليه، فستبقى لك وحدك مهمة استرجاع نفسك.

ولمساعدة الناس على ذلك أنشئت خلال السنين العشر الفائتة ثلاثون ألف مجموعة للاعتماد على النفس في الصحة العقلية تقوم بمساعدة نصف مليون انسان. ويزداد عدد الاختصاصيين الذين يؤيدون الفكرة.

يقـول ألفرد كـاتس من جامعـة كاليفورنيا في لوس انجلس وهو خبير صحة عامة: "لا شك في أن هـذه المجموعات تعمـل." وكشفت دراسة أجريت عام ١٩٧٩ في معهد فلوريدا للصحة العقلية أنّ المرضى العقليين الذين انضموا الى مثل هذه المجموعات، أكان ذلك في المستشفى أم خارجه، بدوا خيراً من الذين لم ينضموا اليها.

ولقد تحرّيت بعض هذه المجموعات فاكتشفت أنها تستطيع تعليمنا كل ما يتعلّق بـالتـغلب علـى المشكـلات والمصاعب. ففي اللقاءات المفتوحة يتبادل المجتمعون الآراء حول التقنيات التي تزيد في جمالات الحياة وقد تكون نافعة لكل فرد.

(Recovery, Inc.)

بدأها عام ١٩٣٧ طبيب نفساني اسمه ابراهام لو وأصبحت عام ١٩٥٢ تدار كلياً بواسطة المرضى. ولها الآن نحو ألف مجموعة مساندة في الولايات المتحدة وبورتوريكو وبريطانيا وكندا وايرلندا.

وهي تشدّد على تدريب الناس لتأدية أعمالهم بانتظام على رغم المخاوف والاعراض العصبية.

(Grow, Inc.) بدأت عام ١٩٥٧ في سيدني باوستراليا بمشاركة من كون كوغ الذي عانى سابقاً مرضاً عقلياً نفسانياً. فقد فكر كوغ وآخرون في مساعدة بعضهم بعضاً للشفاء من انهيارات عقلية. وصنفوا الاولويات التي هي أكثر افادة لهم وأحدثوا في النهاية أكثر من ٦٠٠ مجموعة للمساندة المتبادلة في سبعة بلدان هي أوستراليا وكندا وبريطانيا وايرلندا ومـاليزيـا ونيوزيلندة والولايات المتحدة.

(Emotions Anonymous International)

بدأت عام ١٩٧١ وحصلت من جمعية "المدمنين المغفلين" على اذن بتهيئة برنامجها ذي المراحل الاثنتي عشرة لتطبيقه على من يعانون اضطرابات عاطفية. مركز عملياتها مدينة سانت بول. ولها الآن ألف فرع في ١٧ بلداً.

في ليلة ممطرة حضرت أحد اجتماعات مؤسسة "الشفاء" في سان دييغو بولاية كاليفورنيا حيث تجمّع ١٥ شخصاً في قاعة. ولم يكن أحد فيهم يبدو قذراً أو غير عادي، وقد تفاوتت مشاكلهم بين الرغبة في الانتحار والتشاجر مع الاصدقاء.

احدى الشابات المتحفظات حكت بصوت متهدج كيف "خـربت" أمها مشاريعها لزيارة أخ لها في مدينة بعيدة، قالت: "كان تفكيري في أمي يخيفني

لانها كانت دائماً تفهمني أنني غير كفية. ولم أكن في الماضي أستطيع التعامل مع غضبي حتى كدت أفقد السيطرة على نفسي. لكنني تعلمت في مؤسسة "الشفاء" أن علينا ألا نتصرف بتأثير الانفعالات. وتقاسمت مشاعري مع صديقة لي، وتوصلت الى بلوغ ما أصبو اليه."

ولقد هنّأها الاعضاء لعدم اذعانها للاعراض. وأعلن عضو التحق بالمؤسسة عقب اصابته بانهيار عصبي: "لقد اكتشفنا أننا قادرون على السيطرة على أفكارنا ونزعاتنا." وهكذا ثبت مرة أخرى أن الاسعافات الاولى النفسانية أنقذت أحدهم من "الجنون".

وفي رأي غاري ايمري استاذ علم النفس في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس ان الجنون لمعظم الناس ليس مرضاً يحدّد عيادياً، بل هو شعور بفقدانهم السيطرة على النفس وردّ فعل مذعور لانفعالاتهم الشديدة. انّ الفاصل بين البقاء على الحافّة وحصول الانهيار درجة تستطيع فيها تحمّل الاعراض لتبقى مسيطراً على تصرفك. وجماعات مثل مؤسسة "الشفاء" تعلّم الناس كيف ينمّون قدراتهم لجبه هذه الازمات الحادّة من القلق أو الغضب أو الضغط، والاعراض المرافقة لها كالدوار والخفقان السريع.

يقول كون كوغ أحد مؤسسي "غرو": "في جميع الاضطرابات العقلية تفقد توازنك لانك تبالغ في تجسيم مشاعرك، وتلقي تفكيرك وتصرفك في التشوش. ان عليك أن تتعلم كيف تقوّم الامور على نحو صحيح."

أرلين باص رئيسة فرع "غرو" في هاواي عبّرت عن ابتهاج شخصي في اجتماع عقد في هونولولو، قالت: "ليلة الجمعة أغلظ لي احدهم الكلام الى حد لم استطع النوم. وأحسست بحقارة. ثم أرغمت نفسي على التذكر أنني كائن آدمي ذو قيمة، وأن المشكلة هي في الانسان الذي أساء الي وليست فيّ. وأويت الى فراشي، فنمت."

بتي كنيستون أسست فرع "الشفاء" في سان دييغو عام ١٩٥٨ بعد اخفاق طبيب نفساني في مساعدتها على التغلب على نوبات ذعر. وحلّت مشكلتها بعد تمضيتها سنة ونصف سنة في موسسة "الشفاء". وهي أخبرتني كيف تعالج الآن نوبات القلق الطارئة: "في الليلة الماضية قبل موعد عمل انتابني خفقان قلب وضيق تنفس ومن ثمّ ذعر. وساءلت نفسي لماذا هذه الاعراض. وعرفت أنه التخوف من ألا أستطيع انجاز ما يواجهني في الغد. وحرصت على ألا أبالي بالانفعالات وأن أرخي كل عضلة في جسمي فزالت الاعراض."

هل تشعر في بعض الاحايين أنك أنت أيضاً معرّض للجنون؟

ان مؤسسة "الشفاء" تنصح بالافكار الآتية لمساعدتك:

[illegible] . "لا يمكن أن تضطرب ان لم تكن أعصابك متوترة. لذا أرخِ اعصابك." هكذا تقول بتي كنيستون، ثم انكش الحديقة أو اذهب في نزهة.

بعد ذلك غير اهتمامك. أتلُ جدول



'The Sky is Our Lim

WE LEAD
AND BY FA

% OF TOTAL NEWSWEEKLY MAGAZINES SALES IN GREATER BE
EXTRACT OF A BOOKSHOPS SURVEY CONDUCTED BY
IN SEPTEMBER
SPONSORED BY LES EDITIONS ORIENTALES, LA REGIE LIBANAISE DE PUBL
H&C/LEO BURNETT, L'ORIENT-LE
STRATEGIES AND TAMAN



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMA

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.





قسيمة اشتراك

Name ______________________ الاسم

____

Address ______________________ العنوان

____

Profession ______________________ المهنة

Date ______________________ التاريخ

Signature ______________ التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

الضرب. استظهر قصيدة. أنت مضطرب الى حدّ عدم استطاعتك التفكير في المشكلة عقلانياً في الوقت الحاضر. هدّىء نفسك أولا.

حتى اذا صرت أكثر هدوءاً حدد مشكلتك وحلّل بموضوعية ما الذي يتأكلك. وعلى رغم عجزك في هذه المرحلة عن السيطرة على مشاعرك فانك تظل قادراً على امتلاك تفكيرك وخلجاتك.

ان الاعراض مقلقة لكنها ليست خطرة. فاذا تملكك شعور بالاختناق فتذكّر أنه عارض ولا يمكن أن يؤذي. فالاحاسيس ليست وقائع.

تحدَّ أعراضك. واجه ما يضايقك يزُل التضايق. احمل نفسك على النهوض من السرير. عضلاتك ستقوم بما تريدها أنت أن تقوم به. احتفظ بصحّة تصرفك.

تجنّب الحديث المزاجي أو المبالغ فيه. هذا الصداع مثلا لن يقتلك، انه يؤلمك لكنه سينتهي. اذا لم تستطع النوم فلا تقل "انني سأمرض." مجرّد بقائك مستلقياً سيريحك.

لا تدلل انفعالاتك. فالسقوط في هوة الاشفاق على النفس يبقيك مكبّلا. كرهك الآخرين والقاء المسؤولية عليهم يغذّيان سخطك فقط. واطلاق العنان لانفعالاتك يمكن أن يفقدك التوازن.

تعوّد أن تكون وسطاً. ليس شرطاً أن تكون فريداً أو أن تعرف كل شيء. لتكن لديك الشجاعة لأن تخطىء. "اللعبة هي"، كما تقول بتي كنيستون، "ان لا تدع اخفاقك الظرفي يقاضي شخصيتك بكاملها." امنح نفسك مجال افتخار بالجهد.

ينصحك اعضاء مؤسسة "غرو" بأن تلقي على نفسك هذه الاسئلة الاربعة خلال الازمة:

١. "ما هو بالتحديد ما يقلقني؟" لا تقف عند عبارة "لا أستطيع تمالك نفسي." وضّحها بكلام محدد يمكنك التعامل معه. "لقد انهرت، وبكيت اليوم أثناء العمل، وأعرف أن ذلك سيتكرّر."

٢. "هل تكرّره مؤكد أم محتمل أم ممكن؟" هل من المؤكّد أنك ستبكين ثانية؟ يقول كوغ: "معظم ما يزعج الناس ليس مؤكداً، انه محتمل أو ممكن."

٣. "ما مدى أهمية تكرره؟" محتمل ألا تكون أهمية كبيرة، فلن تطردي لمجرد كونك بكيت في العمل.

٤. "ماذا سأعمل في شأنه؟" يقول كوغ: "اعملي الشيء العادي. اذهبي الى عملك ولا تدعي أحاسيسك تغرقك."

لتهدئة نفسك اليك بعض ما توصي به مؤسسة "غرو":

تصرف بما تعرف لا بما تحس. في كل ما يخيف وقائع غير صحيحة وتصورات غير واضحة. فلا تمسرح أحاسيسك. يقول

كوغ: "غالباً ما يشعر أحد الناس بالتعب، فيقرّر ان الحياة لا تستحق أَن تعاش. لكنّ التعب هو التعب لا غير."

حسّن تفكيرك وتصرفك فيتحسن شعورك. يقول كوغ: "اعمل ما هو عادي وعش يومك كل يوم، وستجد أنك تدير حياتك. ان المشاعر المرة لا يمكن أن تدوم اذا كان تفكيرك وعملك صحيحين."

أخرج الحب الذي في داخلك. ردد كلمات التحبب مع عائلتك. ابسط يدك وخذ بيد أحد. ضع الآخرين في الصورة. لا تنصرف الى أحلام اليقظة. يقول كوغ: "لن تستطيع تعلّم النضج الانفعالي على نفسك. استفد من تجارب الناس."

أترك مشكلتك تستريح. لا تبقِ أفكارك المزعجة وسط المسرح. تعهد النواحي الحسنة في ذاتك.

تعامل بالسلوك لا بالحافز. يقول كوغ: "اننا لا نفهم بواعثنا معظم الاحايين. فاذا تطلع أحد الناس بطريقة معيّنة فلا تظنّن أنه أخطأ اليك. فربما كانت تلك طريقته في النظر. تعامل مع ما يقوله الناس ويفعلونه، لا مع ما تتصوره أنت."

تخلَّ عن الاعتقاد ان جميع مشاعرك يجب أن تبرز. هناك مستشارون كثيرون يتشاركون في الاعتقاد الخاطىء ان لدينا جملة مشاعر غير معلنة أو هي مكبوتة. ويقول كوغ: "غالباً ما يكون العكس هو الصحيح، فالافصاح عن المشاعر هو ما يردينا."

لا لزوم لان تشعر دائماً بالارتياح. المشاعر لا تؤذي أحداً. ولكن عندما لا يكون لتفكيرك أو تصرفك علاقة بالواقع فانك تقع في المشاكل.

أنت المسؤول. لا تلُم والديك أو أيّ انسان آخر. اهتم أنت بحياتك الخاصة.

كن واحداً من السلالة البشرية. تذكر أنه مهما يكن ما يقلقك فمن الممكن حصول مثله للآخرين أيضاً.

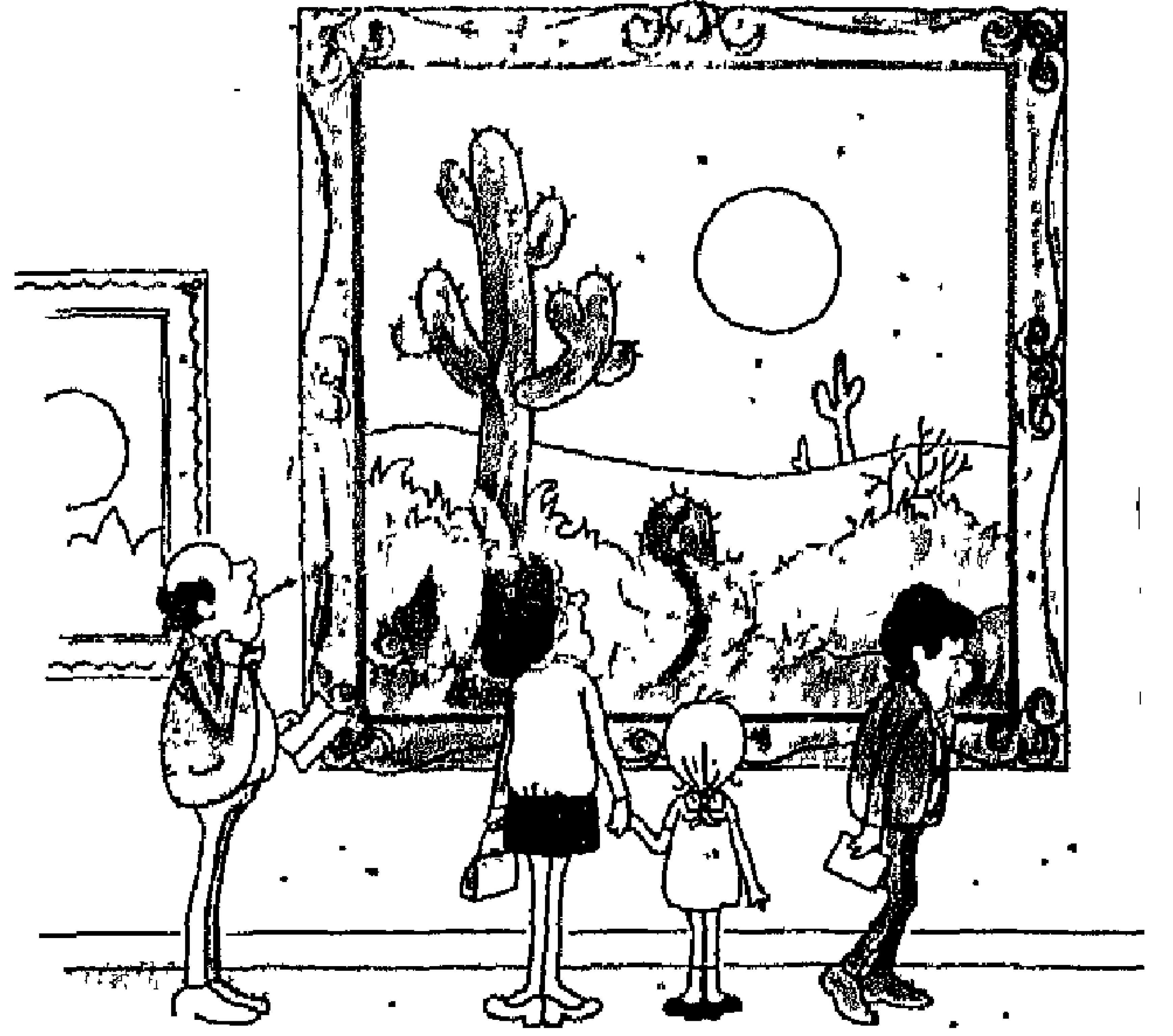
اذا كان ما يجعلك تحس بفقدان السيطرة غماً أو قلقاً أو انحطاط قوى، فمن المريح أَن تتذكر أنّ كثيرين من الناس المحترمين عانوا ما تعانيه تماماً واجتازوه. اختلّوا واعترفوا بحاجتهم الى المساعدة ثم تعلّموا كيف يشقّون طريق العودة الى الصحة العاطفية. لقد علمونا كيف نواجه المشاكل... وننتصر.

زينة كليغ ■

كلام المحامين

قال محام لزوجته لدى عودته الى البيت: "كان يوماً رهيباً في المحكمة. فقد أظهرت سخطاً مناقبياً في حين كنت أنوي اظهار نقمة أخلاقية."

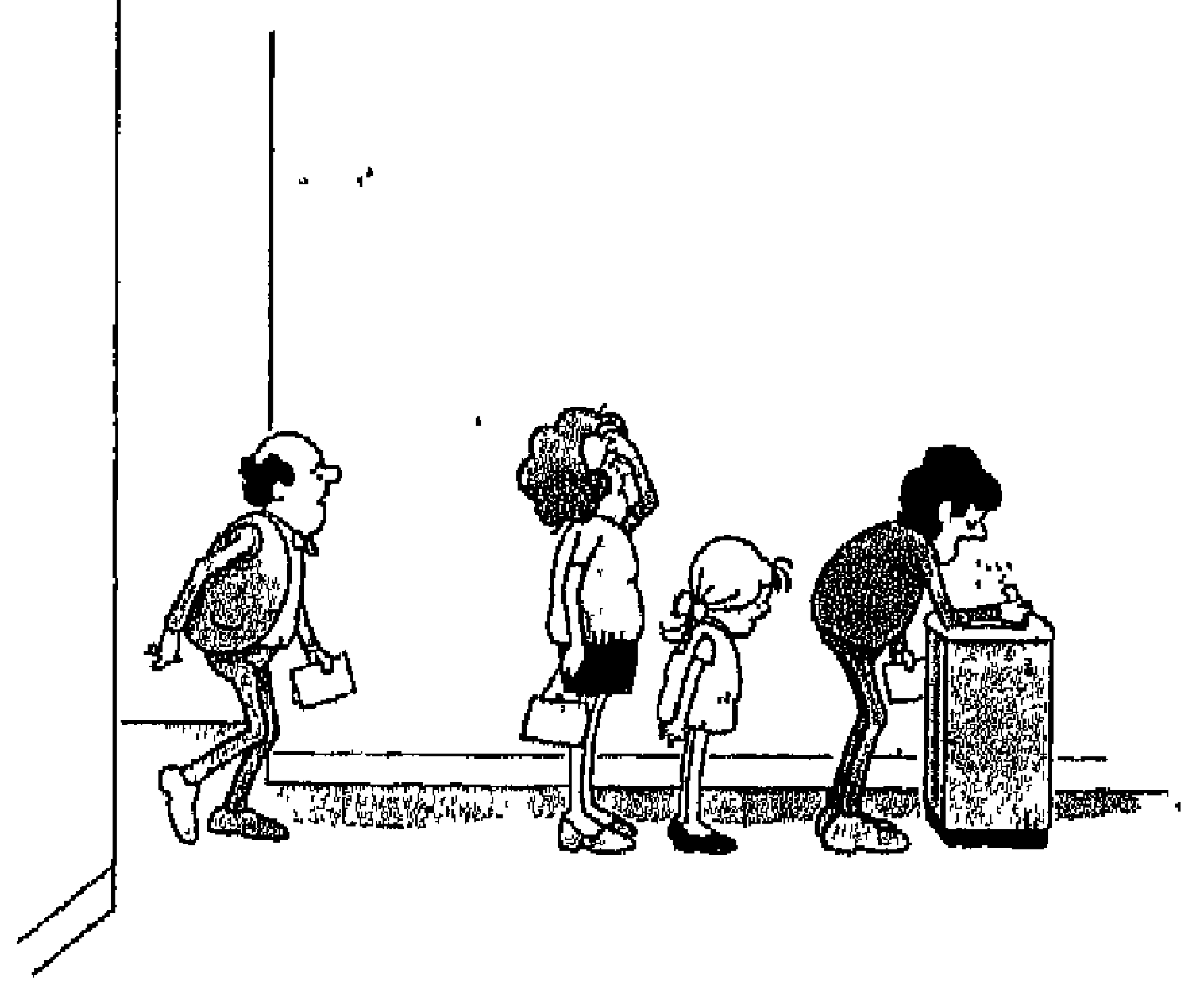
م٠غ٠



دائرة المعارف

الكلمات الآتية تسميات أطلقت على سبيل الاستعارة أو التشبيه أو الوصف. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **الغزالة**: الغيمة الشاردة – الشمس – الحياة – المرأة المتهورة.
٢. **الحاتم**: الموت – الكريم – الحاكم الظالم – الغراب الاسود.
٣. **الفرات**: البغض – الرجل الجبان – البحر – الوادي السحيق.
٤. **الكبيرة**: الاثم الكبير – الثروة – العاطفة – الابنة البكر.
٥. **الفِرِنْد**: حب الرمان – السيف – الصديق – الدر الثمين.
٦. **النقيع**: اللعاب – الماء الآسن – السم في أنياب الحية – العانس.
٧. **الجمان**: الارجوان – الاسنان البيضاء – القلب – اللؤلؤ.
٨. **العقيم**: ريح بلا مطر – الطبيب – الخنجر – البخيل.
٩. **الحيزبون**: الفاحش الثراء – الحية – الفيلسوف – العجوز الداهية.
١٠. **الوحى**: الصوت الخافت – النار – الحلم – أرض المعركة.
١١. **القشعام**: المتكبر – النسر العظيم – المقدام – الثاقب النظر.
١٢. **النبراس**: القلم – الطريق القويم – المصباح – الكتاب.
١٣. **الظَنون**: البئر القليلة الماء – الزوجة – الحامل – ريح الشمال.
١٤. **الأنام**: النوم الهانىء – التراب – الهواء الساخن – الخَلق.
١٥. **الأرقم**: علم الحساب – الحية الخبيثة – العدوّ – الحافي القدمين.
١٦. **الفريدة**: حبة الرمان – العوراء – الجوهرة النفيسة – نجمة الصباح.
١٧. **العِرْنين**: الأنف – بيت الأسد – كوز الذرة – الشاب الوسيم.
١٨. **القَراح**: الماء الخالص – النابغة – الوطن – العاشق الولهان.
١٩. **سِعالِ**: الحبيبة – الرعد – الزلزال – أنثى الغول.
٢٠. **القرطاس**: القلم – الصحيفة – حلية الأذن – الشرف.
٢١. **السبنتى**: البدر – الورد الجوري – النمر – العروس.
٢٢. **الحياء**: ذكر الحية – الأرض العارية – البرعم – المطر.
٢٣. **التامور**: موسم التمر – الحب العظيم – النهر – دم الحياة.
٢٤. **العَرَنْدَس**: الأسد – زهر الرمان – البساط – الربيع.
٢٥. **الخَوْد**: الجبل – البطل – الشابة الناعمة – الخدر.



الأجوبة الصحيحة

١. **الغزالة:** أنثى الغزال والشمس لأنها تمد حبالا كأنها تغزل.
٢. **الحاتم:** الغراب الأسود وغراب البين وهو غراب أحمر المنقار والقائمتين قيل سمي كذلك لأنه يحتم بالفراق اذا نعب بين القوم.
٣. **الفرات:** الماء العذب والبحر. الفراتان: نهرا دجلة والفرات.
٤. **الكبيرة:** الاثم الكبير.
٥. **الفِرِنْد:** السيف ووشيه والورد الاحمر وضرب من الثياب.
٦. **النقيع:** السم في أنياب الحية. ومن الماء العذبُ البارد.
٧. **الجُمان:** اللؤلؤ.
٨. **العقيم:** الريح لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً.
٩. **الحيزبون:** العجوز أو المسنة الداهية.
١٠. **الوحى:** النار والصوت والاسراع والسيد الكبير.
١١. **القِشعام:** النسر الذكر العظيم. وأمُّ قشعم الحرب والداهية والمنية والضبع والعنكبوت وقرية النمل.
١٢. **النبراس:** المصباح والسِنان والجريءِ الجسور والأسد.
١٣. **الظَنون:** البئر لا يدرى أفيها ماء أم لا، والقليلة الماء.
١٤. **الأنام والآنام:** الخَلق.
١٥. **الأرقم:** أخبث الحيات وأطلبها للناس. ويقال للانثى رقشاء وليس رقماء.
١٦. **الفريدة:** الواحدة والجوهرة النفيسة. جمعها فرائد.
١٧. **العِرْنين:** الأنف. وهو المَعْطِس والمَخْطِم والخُرطوم.
١٨. **القراح:** الماء الخالص.
١٩. **سُعال والسِعْلى والسِعْلاة:** أنثى الغول.
٢٠. **القرطاس:** الصحيفة التي يكتب فيها. وهو الكاغد والطرس.
٢١. **السَبَنْتى:** الجريء. أيضاً النمر سمي به لجرأته.
٢٢. **الحَيا والحَياء:** المطر يحيي الارض، فاذا دام مع سكون فهو الدِيمة، والهطل فوق ذلك.
٢٣. **التامور والتؤمور:** دم الحياة. ومن معانيهما أيضاً القلب والوعاء والولد ووزير الملك.
٢٤. **العَرَنْدَس:** الأسد العظيم والسيل الكثير. ومن الابل الشديدُ الطويل القامة.
٢٥. **الخَوْد:** الشابة الحسنة الخَلق الناعمة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول



نهدت مرتفعة فوق العباب الطامي وانتفخت أشرعتها صلبة كالحديد

في ليالي الشتاء والعواصف الهادرة، حين تعول الرياح، أستمتع بلذتها، أقول: آه أيتها اللبوءة الزائرة، هبّي وتمايلي كما تشائين، ثم اصغي الى حرير العوارض وقرقعة الاخشاب القديمة. ازأري ما طاب لك، فسألبث هنا في انتظار الفجر.

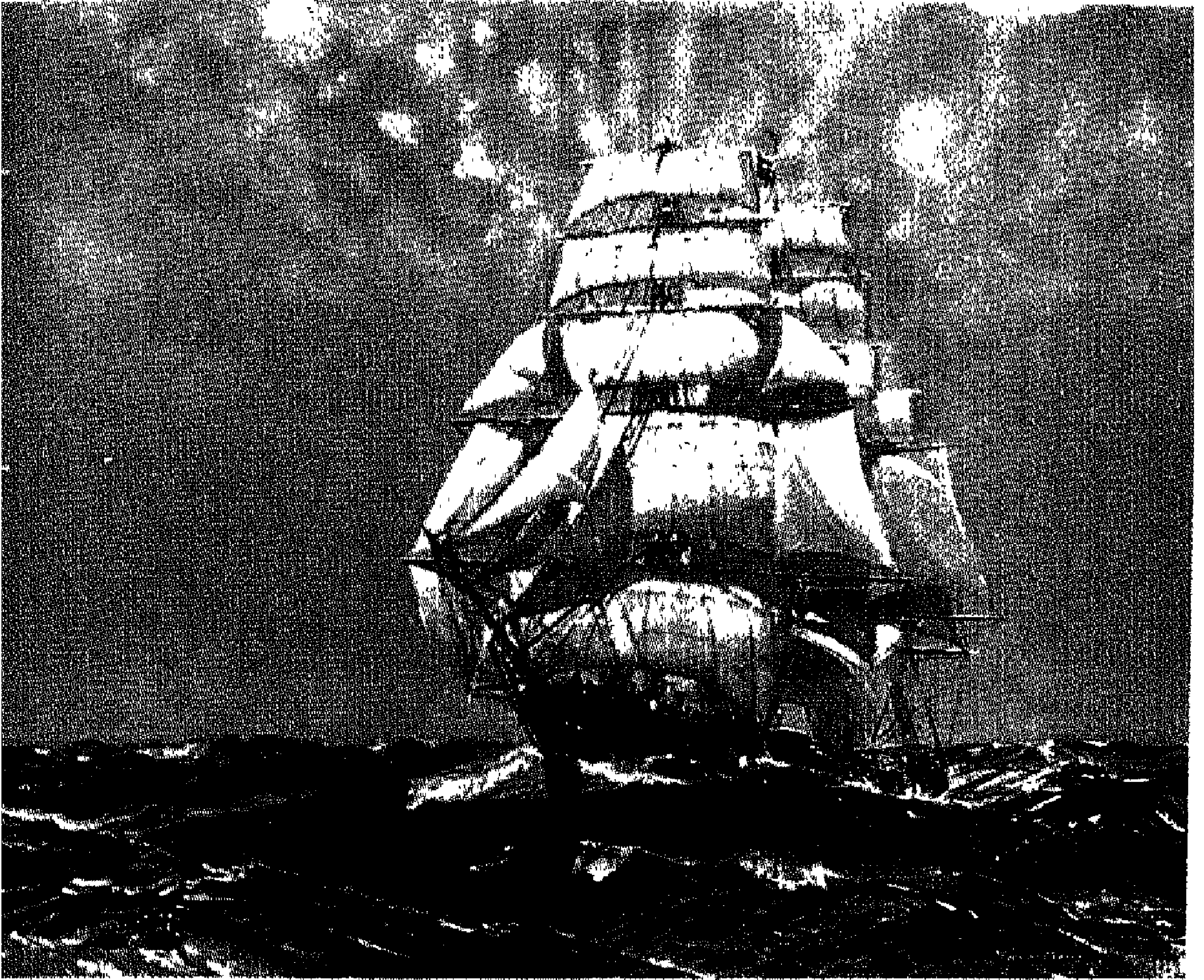
ان في ثوران العاصفة متعة لا تضاهى. ولكن في الأيام الهادئة، حين تمطر السماء وتوحل الارض ويغبّر وجه الدنيا، يستعيد المرء ذكرى أيام الهيجان والجهد الشاق والمغامرة. ألم أكن مخبولا حين عدت الى البر لأحيا هذه الحياة المقيتة. آه، لو بقيت في البحر لكنت اليوم المساعد الثالث في باخرة ركاب كبرى أو ربما المساعد الثاني في سفينة ساحلية، ولّما كنت مكباً فوق مكتبي هنا. لو بقيت في البحر لكنت الآن على دفة سفينة مع القبطان، أتحسس انطلاقتها.

في مثل هذه الاوقات أستعيد ذكريات تلك الايام السعيدة المثيرة، أيام الجهد المفعمة بالبهجة. وينفرد يوم بارزاً عن كل أيام حياتي. انه يوم حبور.

كنا في البحر عند مصب نهر لا بلاتا قبالة ساحل الارجنتين وسفينتنا تنطلق جنوباً كالوعل النافر. وكانت الريح منعشة وبقينا طوال اليوم نشق عباب البحر كبارجة حربية ضخمة. قطعنا في ذلك اليوم ٥٠٠ كيلومتر واعتبرنا ذلك انجازاً رائعاً. كانت الريح تهب على مؤخر السفينة مؤاتية كما يشتهى. وقاد قبطاننا السفينة من دون رحمة حتى أخذت تئن من العناء.

طوال ذلك اليوم كانت السفينة تنطلق وتميل وتقفز بجنون وتشق العباب الطامي وترتجف ثم تعلو وهي تهتز. الريح تجأر وتملأ الاشرعة فتنتفخ صلبة كالحديد. كنا نمخر الامواج في قفزات واسعة. أجل، لا يمكن أن يوصف ابحارنا بسوى هذه العبارة. بدا لنا أن السفينة تخرج من صفحة الماء الازرق فوق موجة عارمة لتندفع في قلب موجة تالية. الريح تهدر وقرقعة الحبال والاشرعة تتعالى والامواج حولنا تتكسر وألواح السفينة تئن. هذه كلها كانت تحاكي أنغاماً موسيقية راقصة في آذاننا.

كنا منطلقين بسرعة والزبد يتلاطم وراءنا. نتوجه الى ناحية ونرتد الى أخرى



"سفينة شراعية في المحيط الهندي" زيتية للرسام ماران ماري.

حتى غلبنا العياء. لكننا كنا نغنّي ونصرخ ونحن نكدح وقد استحوذ علينا سحر الريح. كنا في نشوة. خيّل الينا أن السفينة ستقفز من الماء لتخترق أديم السماء.

فوق مقدّم السفينة كان الرذاذ ينهمر في دفق متألق. وابتلّ الشراع الامامي وغدت مصارف المياه جداول جارية وفتحاتها الجانبية شلالات تصب الماء غزيراً. أذكر أيضاً أن ذلك اليوم كان يفرح القلب. الشمس متلألئة في السماء التي بدت لوحة زرقاء صافية. وكنا منطلقين فوق صفحة الماء على نحو يهيج في النفس رغبة في الغناء. الماء يتألق ويتموّج حتى أقصى مدى النظر. بحر أزرق، بل أخضر، ولمعانه تحت أشعة الشمس يخطف البصر.

وارتفعت الامواج كأنها الجبال، وتفجرت زبداً هادراً. وهبطت ثم طمت ثانية لتتهادى من جديد. كانت تعلو وتهبط في ايقاع، في لحن، في موسيقى. ويحس الانسان رغبة في الارتماء في هذا

العباب والاندماج فيه. ذلك الجمال كان عجيباً مجيداً مرعباً، كان ظفراً وأبهة.

بعد ذلك اليوم الشديد جلسنا في جوف السفينة وأحسسنا أنها تعلو وتهبط وسط فجوات في عباب اليم وتهتز في بهجة لا توصف. كانت زاخرة بحياة هائجة لا تستقر. وبدت لنا متوحشة مجيدة خيالية. ينسى المرء أن هذه المعجزة هي من صنع الانسان. ونسينا أننا بشر. كانت هي مفعمة بالحيوية الخالدة الهائجة، وكنا نحن صغاراً ازاءها. كنا خدماً لها. لم نكن سوى الغبار الذي يعج في ذيل مذنب منطلق في الفضاء. ولذا دعوناها "مجد البحار".

مجد الانسان زائل. ومجدنا زال حين جلسنا الى مائدة الغداء. فتح الباب ودخل بحار في معطف واق وأهاب بنا أن نصعد الى ظهر السفينة "من دون أن نتوقّف حتى لارتداء ثيابنا." لقد أزف الوقت ولم تعد السفينة تمخر، بل أصبحت تتعثّر في مهب الريح. كان البحر غائماً وراء ستار العاصفة المقبلة. وتلاشت روعته وطغت عليه غبرة وجهامة. تحول جماله توحشاً، وموسيقى الريح تحولت عزيفاً.

حينئذ أخذنا نخفف من حمولة السفينة لنريحها وحاولنا أن نحد من اندفاعها. وهرعنا الى حلقات الشراع لنشدها، وعندئذ نودي علينا: "الى فوق يا شباب! شدوا الاشرعة!" شراعي كان صغيراً، كان قطعة من شراع تتراقص بين الغيوم، خرقة كبيرة غبراء تنتفض وتتلاعب مع الريح على ارتفاع ٥٠ متراً فوق رأسي. وصفعتني الريح ورمتني فوق عوارض الاشرعة. ضربتني وأطارت الدمع من عينيّ. شعرت كأنها ترفعني عن العوارض الى قمة السارية وحبالها المشدودة الى الجسور. وعلى هذه الجسور تعلّمت ما هي الريح عندما تعصف.

وصدمتني عصفة مرت بي مزمجرة فبهرت أنفاسي. ولم أعد أقوى على شيء سوى النظر الى الشراع الذي كنت أقصده وأجر جسدي اللاهث متسلقاً اليه. وأخيراً وصلت. هذا هو الشراع الذي جئت لكي أطويه. وكان منظره هناك مذهلا. كان ينتفض وينتفخ مع الريح ويتواثب هنا وهناك كالمهر المجفل. كان يعلو فوق السارية ويضربها مرة بعد مرة. كان ثائراً كالعجل يخبط في كل اتجاه. وأخذت السارية تميل تحت وطأة العاصفة وبدت لعيني تلتوي كفكّ حوت.

وتمدّدت على عارضة السارية فلطم الشراع وجهي وقذف بقبعتي في الهواء. انهال علي ضرباً وصفعاً وأفلت من يدي. وسمّرتني الريح على العارضة وتراءى لي أنها تمزّق ثيابي. أحسست أنني ملك، أنني امبراطور. وصرخت عالياً صرخة الفرح، فرحي من صراعي مع ذلك الشراع.

ورأيت السارية الكبرى أمامي وفوقها شاب آخر يصارع شراعاً صغيراً ووراءه آخر بدا أن شراعه التف متعقّداً. وتحتي كانت السفينة تتمايل وتقفز في ثورة من الجنون، وعلى متنها رأيت أشخاصاً بدوا لعينيّ أقزاماً. كلهم رؤوس ومناكب، يشدّون حبالا. وهناك البحر تحتي أغبر ومخطط بالزبد.

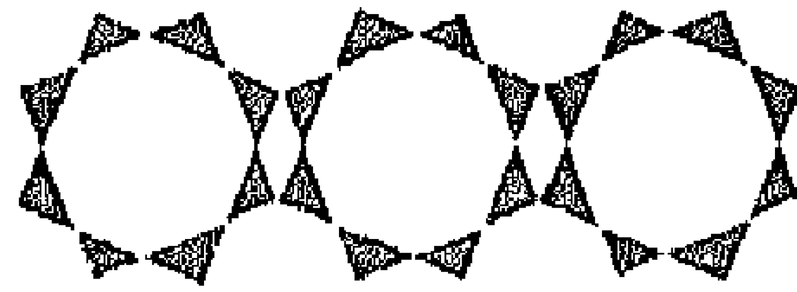
فجأة انهمر المطر علينا مدراراً وأخذ يضرب صفحة الماء ويحجب كل رؤية: لم أعد أرى سوى القتام الأغبر والمطر

الغزير والغيوم التي تتفجر سيولا من الماء والسماء الغبراء التي انشقت فوقنا ليهطل وابلها. كان المطر بارداً كالثلج، وقد أزال الصباغ عن قميصي فباتت قدماي تتركان آثاراً زرقاء حيثما مشيت. وطوال ساعتين بقيت أشد حلقات الشراع وأطويه وأشده الى أسفل. ومع هبوط الظلام أنزلنا الأشرعة الثلاثة العليا وشراع المقدم. وفي اليوم التالي كنا مرتمين تحت غطاء واق نستريح.

ثمة أنواع مختلفة من البهجة. وبالنسبة الى معظمنا، ذلك النوع الذي يسمّى الاثارة هو الأحب. ففي يوم جهم حين تغور الاعشاب في وحل الطرق لنتهترىء، تغدو صورة تلك الاثارة وذكراها بهجة للقلب. انها بهجة لهذا السبب من دون سواه. انها تعلّمنا أن شيئاً صغيراً جداً، حفنة من الريح ربما، يكفي ليجعلنا نبتهج ونعتز بما نؤديه في معارج هذه الحياة.

جون مانسفيلد ■

ولد الكاتب عام ١٨٧٨ ولاذ بالبحر في مطلع حياته. وتتغنّى قصائده ومسرحياته وقصصه الكثيرة بأمجاد السفن الشراعية القديمة التي انقضى زمانها وبالرجال الذين عملوا على متونها. وقد ظل مانسفيلد يحمل لقب "شاعر البلاط" في بريطانيا من العام ١٩٣٠ الى يوم وفاته عام ١٩٦٧.



علاج المفاصل

الزوج: "لماذا لا نأوي الى السرير؟ ان الجنس خير علاج لالتهاب المفاصل."
الزوجة: "اني لا أشكو التهاب المفاصل."
الزوج: "ولكن ألا تعرفين أن درهم وقاية خير من قنطار علاج؟"

مجلة "العلم الضاحك"

اللص والسعادة

القاضي للمتهم: "إضافة الى سرقة المال، إذاً، أخذت الساعات والخواتم والمجوهرات."

– أجل يا سيدي. فقد عُلِّمتُ أن المال وحده لا يجلب السعادة.

ج.ا.

خيمة صيف

قالت امرأة لصديقتها: "الأمر الوحيد الذي يزعجني حين أذهب مع زوجي الى مخيم صيفي هو عدم احتواء الخيمة على باب كي أصفقه ورائي عندما نتشاجر."

ن.ك.

كتاب الشهر



أطفال الخريف

ملخص من كتاب

بقلم آلن دولب

٢



أطفال الخريف

علم التوليد أو القبالة عبارة مشتقة في اللغات الاوروبية من اللاتينية ويعني "الترقب". وقد ظلّت هذه الكلمة قروناً عدة تصف مهمة المولدين. وجاء ابتكار ملاقط سحب الجنين في القرن السابع عشر وتطوير أساليب التعقيم والتخدير في أواسط القرن التاسع عشر ليدخلا أولى التغييرات الحقيقية على هذا العلم. ثم أعقب ذلك اكتشاف المضادات الحيوية في القرن العشرين. غير ان عوامل تنطوي على خطورة كبيرة ظلّت ماثلة. فالتغييرات الاجتماعية الحديثة أدت الى تعاظم احدى الفئات المعرضة للخطر الكبير، وهي فئة النساء اللواتي يؤخرن حملهن الى أواخر العقد الرابع من العمر. وهنا يقدّم آلان دولب الكاتب الطبي الخبير تصويراً مثيراً لحال امرأة من هذه الفئة، ويبيّن أن المولّدين العصريين لم تعد مهمتهم مقتصرة على "الترقب"، بل انهم من طريق المهارة والتكنولوجيا والتفهم أخذوا يسخرون علمهم لمساعدة "أطفال الخريف"

Condensed from «Autumn's Children,» copyright © 1985 by Alan Doelp, Published by MacMillan Publishing Co., New York, N.Y. Illustrations: Stan Hunter

بعد المضاجعة استلقى بيل ادواردز وزوجته لوري(١) في سريرهما هادئين. انه وقت النشوة لا وقت المحادثة. لكن بيل سيفاجأ حين تخبره زوجته انها توقفت عن استخدام وسائل منع الحمل. وكان القرار الفصل في هذا الأمر اتخذ قبل أشهر، بل ربما قبل زمن طويل، حين أقرت لوري بأنها لم تعد قانعة بعملها وأنها تحتاج الى طفل يملأ حياتها.

بدا الأمر بالنسبة الى لوري قراراً فردياً، اذ كان بيل منذ زواجهما مستعداً لانشاء عائلة. ومع مرور الزمن تضاءلت آماله في تحقيق رغبته. وكانت لوري دائماً هي التي تحجم عن ذلك.

بعد تخرجه في الجامعة أعلن بيل عزمه على نيل شهادة ماجستير في ادارة الاعمال، كما اعلنت لوري استعدادها للعمل الى أن يحقق رغبته. ولكن في العام ١٩٦٧ كانت الوظائف المتاحة للنساء اللاتي يحملن شهادات عالية في التاريخ نادرة، وأخيراً عثرت لوري على وظيفة كتابية في مكتب محاماة وكان راتبها ٦٠ دولاراً في الاسبوع.

في شهر مايو (أيار) من السنة التالية منح بيل شهادته في ادارة الاعمال وحصل للحال على وظيفة كمتمرن اداري في شركة تأمين كبرى. وعندئذ اخذ الزوجان يبحثان في انشاء عائلة. وعبّر بيل عن أمله في أن يكون له ابن ليأخذه معه الى مباريات الكرة وقالت لوري انها تفضل أن تكون لها ابنة. وأخيراً اتفقا على أن يكون لهما ابن وابنة... انما ليس الآن، بل حين يصبح في امكانهما شراء بيت.

أحضرت لوري الى البيت أول كتاب قانون تقتنيه بعدما طلب منها رئيسها في العمل أن تبحث عن تفاصيل دعوى معينة وتصوّر صفحاتها. وقبل أن تتم لوري هذه المهمة أثارت الدعوى فضولها فانصرفت الى قراءتها. وجاء رئيسها يبحث عنها فوجدها قرب آلة التصوير غارقة في قراءة المجلّد. واحمرّ وجهها خجلا وأخذت تعتذر، الا أن المحامي حدّق اليها مفكراً ثم عاد في وقت لاحق وأعطاها كتاباً مليئاً بقضايا مماثلة لتأخذه الى البيت وتقرأه. وهكذا علقت لوري في دراسة القانون.

وأثارت الموضوع مع بيل وحسم الأمر حين قال لها: "نظراً الى كل الاسباب التي أبديتها لي لتدفعيني الى التخرج في الجامعة، سأجعلك تتخرّجين في كلية الحقوق." وقدّمت لوري طلبات دخول الى خمسة معاهد فقبلت فيها جميعاً. لكن عمل بيل كان في مدينة بالتيمور بولاية ماريلاند. لذا اضطرت الى التخلّي عن عملها ذلك الخريف والتحقت بكلية الحقوق في جامعة ماريلاند. وبعد التخرج عملت سنتين كمتدرجة في السلك القضائي ثم عادت الى الشركة التي عملت فيها سابقاً كسكرتيرة، ولكن هذه المرة بصفة شريكة. وكانت بلغت التاسعة والعشرين من العمر.

"أهنئك!"

طوال ما يقرب من عشر سنين واظبت لوري وزوجها على عملهما. وخلال ذلك

(١) القصص الواردة في هذا الكتاب مبنية على تجارب حقيقية لأزواج حقيقيين. وأسماء الاطباء ومساعديهم حقيقية أيضاً. أما اسما الزوجين فمستعاران.

الوقت أعادا البحث في ما اذا كانا يرغبان في انجاب أولاد. ان انشاء عائلة ينطوي على محاذير كثيرة. فهما لن يتمكنا حينئذ من قضاء صباحات السبت في تكاسل وراحة ولا من الذهاب في رحلات مرتجلة الى نيويورك كلما عنّ لهما ذلك، بل سيجدان أمامهما حفاضات الاطفال وزجاجات الحليب وفواتير الاطباء. وفوق ذلك فانهما سيبلغان الستين قبل أن يشب الطفل الذي سينجبانه.

واتفقا على أن ثمة أسباباً وجيهة ومنطقية ليبقيا من دون اولاد. اذاً لماذا يتحدثان في هذا الموضوع؟ وأجاب بيل عن هذا السؤال: "لأننا نرغب في ذلك حقاً. لأننا نشعر بافتقارنا الى شيء ما."

وتمطّت لوري وتنهدت ثم انقلبت على جنبها وهي تنفض الوسادة وتضعها تحت رأسها. وفكّرت في نفسها: اذاً سيتعين علي أن أنجب طفلا. أريد بنتاً."

في اليوم التالي اتصلت لوري بالطبيب النسائي لاجراء فحص شامل بعد اسبوعين. وعندما أظهر الفحص أنها غير حامل طلبت أن تعرف السبب. ونظر اليها الطبيب مستنكراً وأجاب: "لو كنت حاملا لأدهشني أكثر، اذ يتعيّن على معظم النساء أن يحاولن الحمل على مدى فترة من الزمن. فمن كل مئة امرأة يحاولن بجد أن يحملن تنجح ٨٠ في المئة في تحقيق رغبتهن خلال سنة."

وتساءلت لوري: "ولكن هل يمكنني أن انتظر سنة؟"

قال الطبيب: "دعيني أوضح لك الأمر. ثمة أخطار في الحمل والولادة تواجه الأم والطفل. وتزداد هذه الاخطار كلما تقدمت المرأة في السن. ولكن في الوقت الحاضر وخلال السنتين المقبلتين ستبقى الاخطار ضئيلة نسبياً لديك."

وسألته لوري: "أي نوع من الاخطار تعني؟"

قال الطبيب: "خطر اصابتك بداء السكري أو ارتفاع ضغط الدم. والأقل احتمالا خطر المخاض قبل الأوان. ومن الواضح ان هذه الاخطار تهدد الجنين كذلك. ثم هنالك خطر التشوّه الكروموزومي(٢) الذي يؤدي الى علة داون التي كانت تعرف بالمغولية (Mongolism) والتي تسفر عن ولادة طفل مشوّه الخلقة ومتخلف عقلياً. أنت تعرفين معنى ذلك. ولكن لا تدعي هذا يدفعك الى سوء التقدير، فلديك حظ وافر في أن يمضي كل شيء على ما يرام."

واضاف: "ولكن هناك مسألة التدخين. اذا تابعت التدخين في فترة الحمل فربما جاء طفلك أصغر حجماً وأقل صحة مما ينبغي."

بدأ الطمث لدى لوري في موعده تماماً في الشهر التالي والذي بعده. وبعد ذلك تأخر ثلاثة ايام وشعرت بالخيبة عندما جاءها بعد هذا التأخير.

واستمرت مواعيد الطمث منتظمة، ولكن بعدئذ تأخر طمثها بضعة أيام حدست على نحو ما أن ذلك لم يكن عرضاً. فاتصلت بعيادة الطبيب وطلبت اجراء فحص دم لها. وبعد ثلاثة أيام اتصل بها الطبيب وقال: "أهنئك."

(٢) الصبغي أو الكروموزوم خييط في نواة الخلية يحمل الجينات أو الخصائص الوراثية.

جهدت لوري لكبت مشاعرها والتصرف بواقعية فقالت: "انني الآن في الثامنة والثلاثين، وسأكون في التاسعة والثلاثين عندما أضع المولود. دعنا نتحدث عن الاخطار مرة ثانية." وفيما كان الطبيب يتكلم أطفأت هي سيجارة لم يحترق سوى نصفها ومدت يدها الى حقيبة يدها فأخرجت علبة السجائر وألقتها في سلة المهملات.

ولفتها الطبيب الى "ان الاخطار الآن لا تزال على المستوى الذي كانته قبل سنة. من الناحية الفنية تصنفك سنك حاملا على مستوى عال من التعرض للخطر. لكن ما يعنيه ذلك حقاً هو ان حظك في حمل ناجح يقف عند نسبة ٩٤ أو ٩٥ في المئة بدلا من ٩٧ في المئة، وتستطيعين تحسين هذه النسبة اذا عالجك اختصاصي بطب الأم والجنين."

وسألته لوري: "لو كنت زوجتك، الى أي اختصاصي كنت ترسلني."

فاجاب من دون تردد: "الى الشخص عينه الذي كنت على وشك أن أوصيك بالذهاب اليه للحال، الى الدكتور كرينشو في مستشفى جامعة ماريلاند."

معلومات مطمئنة

ان الفحص الحوضي هو حجر الزاوية في علم التوليد والطب النسائي. وليس ثمة فحص مخبري أو جهاز تصوير الكتروني يمكن أن يغني عنه. فالاجهزة والفحوص قد تضيف بعض الاجزاء من المعلومات الى الأحجية الكاملة، الا أن ما يراه الطبيب بعينيه ويتلمسه بيديه يبقى الاساس الذي يعمل غالباً بموجبه. فالاطباء يتعلمون ذلك بالممارسة وهم طلاب أو أطباء متمرنون. وبعد اجراء مئة فحص أو نحوها، اذا كانوا يقظين، يصبحون قادرين على كشف امور ذات أهمية في فحصهم.

ولدى بلوغه الثانية والخمسين من العمر كان كارليل كرينشو قضى ٣٥ سنة أو أكثر في ممارسة الفحوص الحوضية، أي منذ كان طالب طب في جامعة ديوك. انه يعرف كيف ينبغي أن يبدو كل شيء وأين يجب أن يكون ومتى يجدر به أن يقلق من شيء ما، والأهم من كل هذا يعرف متى ينبغي ألا يقلق.

ان علم التوليد، ومنه التوليد المحفوف بالاخطار العالية، ينطوي غالباً على الكثير من التحدّيات العسيرة. لكنه يبقى طباً عميم الفائدة، والاحتمالات ترجّح كفة النتائج الحسنة.

ويكمن السر في اكتشاف المرأة المعرّضة للخطر. ولهذا السبب مشى الدكتور كرينشو الى طاولة الفحص بعد لحظات من دخول لوري عيادته. وحتى وهو يعدّل وضع كرسيه كانت عيناه تستكشفان منطقة الحوض في جسد لوري وتلاحظان عدم وجود ندوب من أثر جراحة وتقدران محيط الوركين. وفحص الطبيب الجلد بحثاً عن طفح أو خدوش أو التهاب. وكان خليقاً بلوري أن تغضب لو درت أنه كان يبحث عن دلائل مرض زهري. غير أنها لكانت تصاب بالهلع لو علمت كم مرة عثر الطبيب فعلا على آثار مرض زهري بين النساء اللاتي فحصهن.

لم يعثر الدكتور كرينشو على أي أثر لعدوى أو التهاب أو دم أو قيح حول عنق

الرحم ولا على أي نتوءات غير عادية توحي وجود سرطان. لم يكن في عنق الرحم أي نتوءات، وهذه علامات مميزة في النساء اللواتي تعاطت أمهاتهن العقار Diethylstilbestrol الذي كان يظن انه يمنع الاسقاط وأضحى الآن مرذولا.

وبعدما أخذ الطبيب مسحة مهبلية (Pap Smear) للفحص، وضع قليلا من المرهم المعقم على القفاز الطبي الذي يغلّف يده اليمنى وأخذ يفحص عنق الرحم بأنامله: هل العنق طويل أو قصير، صلب أو رخو؟ هل هو في مكانه الصحيح؟ هل هناك نتوءات أو تورمات محتملة في أي جزء منه؟

في هذه الاثناء كانت يده اليسرى تضغط بطن لوري في محاولة لتحسس أسفله. ولم يفلح في ذلك. لا بأس، هذا أيضاً دليل على أنه في حال طبيعية. ولكن هل ثمة تكتلات توحي بوجود دمامل؟ لا. وهذا حسن.

قال الطبيب للوري وهو يبحث عن قناتي فالوب حول الرحم: "أخبريني اذا شعرت بألم." وهو لو عثر على احدى هاتين القناتين لكان ذلك دليلا سيئاً جداً. ولو شهقت لوري ألما لدى عثوره على احداهما لكان الأمر أخطر، فهذا دليل على حمل انبوبي، أي انزراع الجنين داخل احدى قناتي فالوب بدلا من الرحم، أو على وجود دمل في المبيض. لكن لوري ظلت هادئة ولم يشعر الطبيب بأي تورم في قناتي فالوب. كذلك المبيضان كانا في المكان الصحيح. وكان احدهما متضخماً قليلا، تماما كما يجب أن يكون لدى امرأة حملت قبل فترة قصيرة. وتوالت المعلومات الاخرى، كلها سلبية وكلها مطمئنة.

وتجمّعت الدلائل التي كشفتها أنامل الدكتور كرينشو في رأسه صورة مجسّمة لحوض المرأة. وكان الحوض مثالياً في سلامته: فشكله مناسب تماماً وهو على اتساع يكفي لخروج مولود في حجم عادي. ليس ثمة شيء ينذر بمخاض عسير.

ودفع الدكتور كرسيّه الى الوراء ونهض ثم قال للوري: "يبدو أن كل شيء على أحسن حال." ثم عاد الى مكتبه مضيفاً: "اتبعيني الى الغرفة المجاورة وسنتحدث."

قرارات

عندما دخلت لوري مكتب كرينشو وجدته منهمكاً في تعبئة استمارة. ونظر اليها من فوق نظارتيه وابتسم: "ليت جميع مرضاي في صحة مثل صحتك."

سرّت لوري بهذا الاطراء، لكن روح المحامي فيها تناولت الموضوع فقالت: "جئنا لنتحدث عن الاخطار."

استوى كرينشو في مقعده وقال: "ان احتمال وضع الأم، في أي سن كانت، طفلا مصاباً بعاهة خلقية رئيسية يراوح بين ٢ و٣ في المئة. ولكن في السن الثامنة والثلاثين..." وهنا نظر الى جدول أمامه موضحاً: "... التاسعة والثلاثين عندما تلدين طفلك، يراوح خطر الاصابة بعلة داون بين ٦ و١٠ في الألف، ويبلغ خطر الاصابة بأي نوع من التشوّه الكروموزومي نحو ١٢ في الالف.

"ان هذا في علم التوليد يعتبر نسبة

عالية من الخطورة. ولذا أوصيك بأن تحضري لاجراء استشارة خاصة بالوضع الكروموزومي، كذلك بأن يجرى لك فحص ماء النخط الذي يسبح فيه الجنين وفحص السلى (Amniocentesis) لنتأكد من خلوهما من أي شيء غير طبيعي.

"واذا وجدنا خللا وراثياً خطيراً يتعين عليك أن تتخذي قراراً حول اسقاط هذا الحمل. ونرجو ألا تضطري الى اتخاذ مثل هذا القرار ابدا، لكن هذا شأن يجب أن تبحثي فيه مع زوجك، لأنك اذا قررت ألا تسقطي، مهما تكن الظروف، فلن يبقى داع لفحص ماء النخط."

وتابع الدكتور كرينشو: "أود أن أتأكد من أنك تضعين قضية هذا الخطر ضمن نطاقها الحقيقي. فحين نقول: مستوى عال من الخطورة، فاننا نتكلم عن نسبة خطر تبلغ نحو ٥ في المئة. انظري الى الأمر من الناحية المعاكسة، ان أمامك أملا يبلغ ٩٥ في المئة بأن يكون حملك طبيعياً وينتهي بولادة طفل في صحة تامة."

ثم تحدث عن الحمية والوزن والتمرين ضمن حدود معقولة وعن الادوية التي يجب أن تتجنبها لوري. وأشار عليها بالاتصال به هاتفياً اذا ساورها أي قلق على صحتها وقال: "اذا احسست بألم في المعدة، اتصلي بي حالا. اذا تبدّل مزاجكِ فجأة أو شعرت أنك متوترة الاعصاب ومضطربة، اتصلي بي. اذا وقع لك حادث سيارة، فقد يتطلّب الامر فحصاً فورياً بالذبذبة الصوتية العالية (Ultrasound exam) لنتأكد من أن الجنين بخير.

"هذا يوصلنا الى الحديث في مسألة مهمة: أحزمة السلامة في السيارات. هناك كثير من سوء الفهم في صدد هذه الاحزمة وفي ما اذا كان ينبغي أن تستعمليها أم لا. أجل، استعمليها."

عادت لوري الى المستشفى بعد انقضاء أربعة أسابيع. وهذه المرة التقت الدكتور ديفيد ناجي، وهو أحد اعضاء فريق الاختصاصيين بشؤون الحمل ذي الخطورة العالية الذين استدعاهم الدكتور كرينشو. وقرأ الطبيب لائحة المعلومات عن صحة لوري ثم تناول آلة بدت كأنها مسماع الكتروني.

أوضح الطبيب للوري أن الآلة هي مسماع دوبلر الذي يعمل من طريق بث اشارات "فوق صوتية" داخل جسمها وقياس موجات الصدى.

ألصق الطبيب الآلة بجسمها ثم رفع اليها السماعتين وهو يقول: "هل تريدين ان تسمعي؟"

سألت: "ما هذا؟"

قال: "اسمعي نبضات قلب طفلك."

وضعت لوري السماعتين على أذنيها فسمعت نبضاً سريعاً حاداً. فغمرتها فورة مفاجئة من المشاعر وترقرقت الدموع في عينيها ثم أعادت السماعتين الى الطبيب.

وأثار الطبيب مسألة فحص ماء النخط فقالت لوري: "فكرت في هذا الأمر كثيراً وبحثت فيه مع زوجي. الفكرة ترعبني، لكني أدرك أنها العمل المعقول."

قال الدكتور ناجي: "لن يكونَ الأمر بمقدار نصف ما تتوهمين. دعيني أعرّفك الى تريش باين."

تريش باين ممرضة يسميها الدكتور ناجي "مكتشفة اخطار الولادة." وهي أوضحت للوري لماذا تعتبر السن الخامسة والثلاثون الحد الذي تبدأ عنده مشاكل الكروموزومات.

قالت الممرضة: "اذا تيّسر لك أن تدرسي احوال عدد من النساء، أصبح في مقدورك قياس مدى الخطورة على نحو متلازم مع السن. نحن نعرف أن السن دون الثامنة عشرة تتسم بخطورة عالية جداً، كما نعرف أن السن بين الـ١٨ والـ٣٥ تمثل الفئة المتسمة بأقل مقدار من الخطورة. لكن الخطر في الواقع يبدأ في التزايد قبل الخامسة والثلاثين بزمن طويل.

"وفي أي حال ثمة خطورة ضئيلة تتصل بفحص ماء النخط كذلك. وهي تزيد الخطورة العادية بنسبة واحد في المئتين. فقط في السن الخامسة والثلاثين يتجاوز خطر الاصابة بعاهة وراثية هذه النسبة."

وسألت لوري: "تعنين أني لا أستطيع اجراء فحص ماء النخط الا اذا تجاوزت الخامسة والثلاثين؟"

اجابت الممرضة: "لا، اي امرأة يمكنها أن تجري هذا الفحص. لكننا نوصي بعدم اجرائه."

ثم قالت الممرضة ان الخطوة التالية تقضي بجمع معلومات عن تاريخ العائلة بحيث تستطيع آن جويل، مستشارة الشؤون الوراثية في المستشفى، تحديد مدى احتمال اصابة الطفل بأي عاهة وراثية.

وفي الليالي التالية أجرى بيل ولوري مشاورات منفردة مع أقاربهما عبر الهاتف للحصول على المعلومات المطلوبة. وحين استقبلتهما جويل بعد ثلاثة أسابيع بادرتهما بالقول: "انه تاريخ عائلي واف جداً. ليس ثمة ما يوحي بخطر غير عادي."

صور على الشاشة

التصوير بالذبذبة الصوتية العالية تمهيد ضروري لفحص ماء النخط. ومع انه ليس أدق الوسائل لفحص الجنين النامي فانه الأسلم. وآلة التصوير الصوتي تشبه جهاز الاستشفاف الصوتي العالي الذبذبة (Sonar transducer) الذي يبث موجات صوتية ويقيس ما يرتد منها. وفي الجسم البشري يبعث اتصال نسيجين مختلفين أصداء. والنبضات الآتية من هذه الاصداء تلقم دماغاً الكترونياً عالي السرعة فيظهرها صوراً على شاشة متوهجة.

في الاسبوع السادس عشر وصل الزوجان لوري وبيل الى المستشفى لاجراء هذا الفحص الحاسم. وأبدلت لوري بألبستها العادية ثوباً خاصاً وعرّفتها آن جويل الى الاختصاصية بالتصوير الصوتي.

وبعد محادثة وجيزة طلت الاختصاصية ظاهر بطن لوري بمادة لزجة وادارت جهاز التصوير ثم تناولت آلة تشبه "المشط الحامي" الذي تستعمله النساء لتجفيف الشعر. وانبعث من الآلة أزيز خافت حاد النغمة. عندئذ أدخل بيل الغرفة وخفتت الاضواء. وألصقت الاختصاصية الجهاز ببطن لوري وباشرت العمل. كانت الصور الاولى التي التمعت على الشاشة مشوشة وغير واضحة، فيما الاختصاصية تحرك

الجهاز ببطء جيئة وذهاباً على بطن لوري وهي تحرفه من جهة الى أخرى.

أخيراً عثرت على النقطة التي تبحث عنها، فأوقفت الجهاز فوقها تماماً وضغطت زراً. وتجمدت الصورة على الشاشة وصدرت قرقعة وخرير فيما الصور تسجل على فيلم. ونقلت الاختصاصية الجهاز الى موقع آخر فاستمرت القرقعة.

وحين ظهرت الصورة التالية انحنت جويل الى الامام وأشارت الى نقطة على الشاشة وقالت: "هذا قلب الجنين."

وأضافت: "انه يبدو طبيعيا." ثم ضغطت زراً فتجمدت الصورة وأعقبت ذلك قرقعة وخرير. وشعر بيل ولوري بالخيبة حين أضيئت الانوار ثانية.

فحص ماء النخط في علم التوليد الحديث ليس بدعة. فالاطباء والعلماء كان يسحرهم دائماً ذلك السائل المتكوّن في السلّى، أي الغشاء الداخلي الذي يحوط الجنين ويحتوي على خلايا جنينية.

وفي وسع العلماء اليوم أن يتكهنوا بالعاهات الوراثية والأيضية من طريق تحليل ماء النخط. ولما كان هذا الماء يحوي عدداً قليلا جداً من الخلايا الجنينية لا يكفي لكشف أي خلل في الكروموزومات، فمن الواجب زرع هذه الخلايا في المختبر على مدى بضعة أسابيع ثم تصوّر بمجهر قوي. وبما أن لكل كروموزوم مواصفات خاصة فمن الممكن تمييز الكروموزومات وترتيبها في ٢٣ زوجاً تمهيداً لدرسها.

وسيتولى الدكتور ماركوس بابكن تحليل ماء النخط لدى لوري.

وحين وصل الدكتور بابكن الى جناح التصوير الصوتي وقف بضع لحظات متأملا الصور التي أخذت للوري والتي كانت معلقة على ألواح مشعة. وأخذ يتكلم مع الاختصاصية بالتصوير.

كانت لوري ممددة على الطاولة وساقاها مستورتان بغطاء. ووقفت آن جويل الى الناحية الاخرى من الطاولة ووقف بيل عند رأس لوري. وفيما أخذ بابكن يحادث مريضته صححت جويل وضع الغطاء ورفعت ثوب لوري لتكشف وسط جسمها. وأدارت الاختصاصية الجهاز الصوتي، ومرة ثانية أضاءت الغرفة أنوار زرقاء خافتة. وألصق جهاز التصوير ببطن لوري، وهذه المرة لاح لها ما بدا بوضوح وجه طفل.

هذا هو الهدف

كانت المهمة الاولى العثور على جيب من ماء النخط أبعد ما يكون عن الجنين. اما المهمة الثانية فكانت تحاشي المشيمة وحبل السرة، اذ ان دم الأم والجنين يمر عبر الاثنين ويفصل بينهما غشاء لا تتجاوز كثافته حجم خلية واحدة. كما كانت المشيمة (الخلاص) في مكانها الطبيعي على الجانب الايمن من الرحم. والجيب من ماء النخط الذي ظهر في الصورة كان في أعلى بطن لوري قرب الية الجنين.

رفعت الاختصاصية الجهاز وضغطت بأصبعها بطن لوري. ثم مع عودة الانوار الى الغرفة رفعت الاختصاصية اصبعها وألصقت في المكان نفسه قطعة من البلاستيك مخروطية الشكل. وحركت

القطعة بين أصابعها برهة وجيزة قبل أن ترفعها وقد تركت على الجلد دائرة حمراء صغيرة.

قال الدكتور بابكن: "هذا هو الهدف. لقد وجدنا جيباً كبيراً مناسباً من ماء النخط تحت هذه البقعة تماماً وقطره حوالى أربعة سنتيمترات."

وبعد تطهير ظاهر بطن لوري ثلاث مراتٍ بمحلول معقّم رفع بابكن أنبوباً زجاجياً يحوي مادة ليدوكايين وهو مخدّر موضعي. وقال للوري: "الجميع يقولون ان هذا أسوأ جزء من العملية. ستشعرين لهنيهة بوخزة كلسعة نحلة."

أمسك الطبيب بالأبرة في وضع أفقي تقريباً ثم غرزها تحت الجلد. وارتجفت لوري قليلا وشهقت من دون أن تنبس بكلمة.

استدار بابكن نحو طبق أبيض من البلاستيك وتناول أنبوباً دقيقاً وطويلا من البلاستيك فلوى طرفه ثم سحب من داخله ابرة طولها ١٣ سنتيمتراً. وحرك الابرة فوق الدائرة الحمراء التي ارتسمت على بطن لوري وقد بهت لونها قليلا. وبعد ذلك وضع سبابته على قمة الحقنة ثم قبض بابهامه واصبعه الوسطى على قصبتها واخذ يضغطها نزولا حتى بلغ نقطة على عمق أربعة سنتيمترات من رأس الابرة. عندئذ وبحركة بطيئة وهادئة ضغط قمة الحقنة فيما هو يغرز رأس الابرة في لحم لوري.

لم تشعر لوري بالوخزة لكنها أحست الضغط. وفجأة اندفعت الابرة نزولا حتى لامست ابهام بابكن واصبعه الوسطى جلد لوري. وهكذا انغرزت الابرة الى عمق أربعة سنتيمترات تماماً في الجسم.

ومن دون أن يرخي بابكن قبضته نقل سبابته عن قمة الابرة وأخذ باليد الاخرى يسحب من داخل الابرة سلكاً صلباً من الفولاذ الذي لا يصدأ يسمى المرود (Stylet) . وهذا السلك يملأ تجويف الابرة

تماماً ومهمته منع انسداد مجرى الابرة بخلايا الانسجة فيما هي تنغرز في لحم الأم.

وناولت جويل الدكتور بابكن حقنة صغيرة. وبحركة سريعة وصل بابكن الحقنة بالابرة ثم جذب مكبسها فامتلأت بسائل نقي مصفر قليلا. وبهذه الطريقة ملأ حقنتين أكبر من الاولى ثم ثالثة أصغر منهما.

بعد ذلك استوى قائلا: "حسناً، انتهى الامر." ثم أمسك قصبة الابرة بيده اليمنى وضغط الجلد بأصبعين من يده



اليسرى حول الابرة المغروزة في اللحم وجذبها بخفة. وظهرت نقطة صغيرة من الدم حيث كانت الابرة، فوضع بابكن على المكان قطعة من القطن مبللة بالكحول.

أفلتت لوري يد بيل وأحست أن يدها تنضح عرقاً. ثم أغمضت عينيها.

وكانت اختصاصية التصوير غادرت الغرفة، فتناول الدكتور بابكن جهاز التصوير الصوتي لاجراء فحص اخير.

ومرة ثانية خفضت الاضواء، ومرة ثانية رأت لوري صوراً شبحية لطفلها الذي لم ير النور بعد. وفيما هي تراقب نقل بابكن الجهاز أمكنها أن ترى قلب طفلها ينبض. وتمتم الطبيب: "حسناً، حسناً. يبدو أن الطفل في أحسن حال."

أيام القلق

كان انتظار نتائج فحص ماء النخط بالنسبة الى لوري أشق مراحل هذه العملية كلها.

ونهار الاربعاء من الاسبوع الثامن عشر من الحمل حضرت لوري لاجراء الفحص الدوري وهي تحمل زجاجة مليئة بالبول المأخوذ في الصباح الباكر. وأقرت بأن شيئاً من القلق يساورها حول نتائج الفحص المنتظر. وتساءلت: هل ثمة طريقة لتقدير الوقت الذي سيستغرقه ذلك الفحص؟ فأجاب كرينشو: "لا بد من أن تبلغي خبراً خلال الاسبوع المقبل أو في غضون عشرة أيام."

وبعد ثلاثة أسابيع ويومين من أخذ عينة ماء النخط فتحت آن جويل ملفاً باسم "ادواردز" وألقت نظرة على التقرير داخله ثم مدت يدها الى الهاتف.

في لحظات التوتر الشديد يبدو الوقت كأنه الأبد. انها معاناة الهلع. وأدركت آن ذلك وهيأت نفسها لتكون عباراتها الافتتاحية مناسبة. وعندما ردت لوري سمعت صوت آن جويل: "مرحباً، أنا آن. أخبار سارة. كل شيء على ما يرام."

في الناحية الاخرى من المدينة وعلى الطرف الآخر من الخط مسحت لوري دمعة ثم قهقهت. فهي كانت اعدت نفسها لكل الاخبار السيئة. لكن الفرحة عقدت لسانها الآن.

وأخذ بطن لوري يتضخم بسرعة. وكان وزنها يزداد بمقدار كيلوغرام واحد كل شهر. ولكن الآن أخذ معدل الزيادة يتسارع ليصل الى كيلوغرام ونصف كيلوغرام شهرياً. وأخبرت الدكتور كرينشو بذلك عندما حضرت للفحص الدوري في أسبوعها الثاني والعشرين، فاوضح لها ان هذه الزيادة طبيعية.

ولم يكن فحص الاسبوع السادس والعشرين مختلفاً جوهرياً عن سابقاته في سوى أن لوري امتنعت عن تناول الفطور ذلك الصباح بناء على تعليمات الطبيب. وكان الدكتور بابكن يقوم مقام كرينشو في ذلك اليوم وطلب أن يجرى لها فحص للسكري. فمرض السكري يظهر فجأة في اثناء الحمل حتى بين النساء اللواتي لم يسبق لهن أن أصبن به واللواتي بقي مستوى السكر في دمهن طبيعياً نسبياً في مراحل الحمل الاولى. وتعرف هذه الحالة باسم "سكري الحمل" وتزول بعد الولادة.

الا ان داء السكري يسبب مضاعفات عدة. وأسوأ هذه المضاعفات والتي من

أجلها يجرى الفحص الآن، انه خلال الاسابيع أو الايام الاخيرة من الحمل تموت أجنة الامهات المصابات بالسكري فجأة داخل الرحم ومن دون انذار.

وتكثر النظريات حول سبب هذا الطارىء، وقد تناهى الى بابكن الكثير منها. لكن الحقيقة هي أن لا أحد يعرف تماماً لماذا تموت هذه الاجنة. ويعرف أطباء التوليد أن أسلم طريقة في هذه الحالات هي احداث المخاض عمداً أو اجراء جراحة قيصرية حالما تثبت الفحوص اكتمال نمو رئتي الجنين.

في هذه الاثناء تكون الخطوة الاولى تحديد العوامل المعرضات للخطر. وقد تخطت لوري هذه المرحلة بسلام.

حال طارئة

استمرت حياة بيل ولوري طبيعية. وبعد المضاجعة كان بيل يحب أن يستلقي في عرض السرير واضعاً رأسه على بطن لوري كما لو كان وسادة وثيرة. وفيما هو مستلق هكذا في اليوم الخامس من الاسبوع الحادي والثلاثين من حمل زوجته لاحظ أن شيئا ما ليس على ما يرام.

فقال لزوجته وهو يحف أذنه على أحد جانبي بطنها: "عجيب. هذا الجانب صلب كالحجر. هل أنت تشدين عضلاتك عمداً؟"

فردت لوري مستغربة وهي تتحسس بطنها حول السرة: "أفعل ماذا؟" ثم هتفت: "انك على حق. لم ألاحظ ذلك من قبل. لكني لا أشعر بأي ألم. عجيب. ربما بدأ طلق الولادة."

قال بيل: "توهمت أنك مصابة بتسمم في الدم وبداء السكري وبسرطان عنق الرحم و..." كان يتكلم ويعد هذه الادواء على أصابع يده.

واشارت لوري الى ان التصلّب بدأ يرتخي. وسألت زوجها: "هل تود أن تتحسس الفرق؟ كان صلباً جداً من قبل".

وكانا على وشك الاغفاء حين عاد التقلّص.

وكانت يد بيل لا تزال ملقاة على بطن لوري حين شعر أن العضلات تحت كفه تتقلص من جديد فصاح: "آه... آه..."

ومدت لوري يدها لتتناول الهاتف.

اتجهت الممرضة الى مركزها وجلست بعياء في مقعد خشبي عال. كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة والنصف مساء حين رن جرس الهاتف فمدت الممرضة يدها اليه وقالت: "هنا غرفة التوليد."

كان المتكلم الدكتور كرينشو الذي ابلغ اليها بهدوء ان لديه مريضة خاصة اسمها لورا ادواردز شعرت بطلق الولادة وأصابها تقلّصان فصلت بينهما عشرون دقيقة. انها في الاسبوع الحادي والثلاثين من الحمل وهي في طريقها الى المستشفى. وطلب من الممرضة أن تحضر ملف ادواردز وتخبر الاطباء المداومين في المستشفى ليتأكدوا من وجود سرير خال في قسم "العناية الفائقة" في جناح التوليد.

وصل الزوجان بيل ولوري في الساعة ١١،٥ مساء. وبعد أقل من دقيقتين كانت لوري ممددة على ظهرها على طاولة الفحص. وبينما الممرضة تقيس ضغط الدم أخذ الطبيب المقيم في المستشفى يمطر لوري بالاسئلة. نعم، انها لا تزال تحس التقلّصات التي تتعاقب على نحو

أسرع الآن. لا، لم يخرج أي ماء من الرحم. نعم، وجدت بقعة دم حين خلعت ملابسها.

قال الطبيب للممرضة: "جهزي حقنة وريدية للحال." ثم تحول الى لوري: "دعيني أفحص عنق الرحم لأرى ما اذا كان بدأ يتمدد."

وبعد الفحص أخذت الممرضة عيّنة معقمة من البول الذي استخرجته من المثانة بأنبوبة طبية، ثم عادت وعلّقت الابرة الوريدية في ذراع لوري اليسرى. وأبلغ الطبيب المقيم الى الدكتور كرينشو ان عنق الرحم متمدد قليلا لكنه متضائل ومسترقّ بمقدار ٥٠ في المئة. وكان الطلق يتوالى مرة كل ست دقائق. وباشر الطبيب اعطاء لوري السوائل وأرسل عيّنات من الدم والبول الى المختبر. وتمتم كرينشو معبرا عن رضاه ثم قال: "اذا لم يستجب الطلق للسوائل في وقت قصير باشر اعطاءها عقار ريتودرين وأبلغني للحال. واذا لم يجدِ هذا فسأنزل الى المستشفى لأولّدها. هل استفسرت عما اذا كان هناك سرير خال في جناح التوليد؟"

أجاب الطبيب المقيم: "أجل يا سيدي. جميع الاسرة مشغولة وقالوا لي انه ليس لديهم متسع للمزيد."

ران صمت طويل على الطرف الآخر من الخط. كان كرينشو والطبيب المقيم يعرفان معنى ذلك. ففي الاسبوع الحادي والثلاثين يواجه المولود احتمالا يفوق ٩٠ في المئة بالعيش بالعناية الفائقة في جناح التوليد. لكن حظه في الحياة ضئيل من دون هذه العناية.

وأخيراً تنهد كرينشو وقال: "سأتحدث اليهم. أما أنت فحاول أن توقف الطلق."

ان عقار الريتودرين بالنسبة الى حامل في المخاض المبكر قد يكون العقار المعجزة لايقاف تقلصات الرحم، غير أن له في الوقت عينه اعراضاً جانبية خطيرة. ويتيسر عادة تجنب هذه المضاعفات بتعيير الجرعة بعناية، لكن هذه المعالجة لا تخلو من الخطر، ولذا أحجم الاطباء عن اللجوء اليها قبل افهام بيل ولوري حجم الخطر والحصول على موافقتهما.

ووافق بيل ولوري على استخدام العقار.

خبر سار!

خلال دقائق نصب عمود ثانٍ بجانب سرير لوري في غرفة التوليد علق عليه جهاز الكتروني صغير أزرق للتعيير. وفي الدقائق العشر الاولى أعطيت لوري جرعة من الريتودرين بمعدل ١٠٠ ميكروغرام في الدقيقة (الميكروغرام يساوي جزءاً من مليون من الغرام) وهي أدنى جرعة فاعلة. وأعلى جرعة يوصى بها تكون بمعدل ٣٥٠ ميكروغراماً في الدقيقة، وعند هذا المستوى قد تكون للعقار أعراض جانبية حادة، لذا فثمة اعتبار آخر حاسم: انه معدّل نبض لوري. فاذا فاق المعدل ١٤٠ نبضة في الدقيقة وجب خفض الجرعة، وحينئذ قد تضع لوري مولودها.

كان الطبيب المقيم والممرضة في حركة دائمة. وكان أحدهما ملازماً لوري لفحص نبضها باستمرار والتدقيق في شريط من الورق يخرج من جهاز مراقبة الجنين بحثاً عن أي دلائل تشير الى أن

الجنين يعاني ضيقاً ولاحتساب الفواصل الزمنية بين التقلصات الرحمية.

وأحست لوري بطلق بعيد اعطائها العقار أعقبه طلق آخر بعد ست دقائق واستقر نبضها على معدل ١٠٠ في الدقيقة. وبعد اربع دقائق زادت الممرضة الجرعة الى ١٥٠ ميكروغراماً وبعد أربع دقائق أحست لوري تقلصاً جديداً. النبض ١٠٥. وبعد ست دقائق دهمتها آلام طلق آخر. وزادت الممرضة الجرعة الى ٢٠٠ ميكروغرام وارتفع النبض الى ١١٥. وبعد ست دقائق أخرى أحست لوري طلقاً جديداً. وانتظرت الممرضة أربع دقائق ثم رفعت الجرعة الى ٢٥٠ ميكروغراماً.

مرت دقيقتان والممرضة تراقب الجهاز ويدها على بطن لوري. انها تراقب النبض: ١٢٠ نبضة في الدقيقة والسرعة منتظمة. انتظار. ست دقائق ونصف دقيقة. النبض ١٢٠ ومنتظم. سبع دقائق. انتظار. سبع دقائق...

عاد الطلق بعد ثماني دقائق فهتفت الممرضة جذلا. الاصول الطبية الصحيحة كانت تقضي بأن الوقت مبكر جداً لطمأنة لوري وبيل، لكن الممرضة لم تقو على اخفاء فرحتها فقالت: "لا يمكنني أن أعدكما بشيء، لكني أظن اننا نجحنا."

وتركت جريان العقار عند حد ٢٥٠ ميكروغراماً وجلست تنتظر. وبعد تسع دقائق ونصف دقيقة عاد الطلق. وبقي النبض مستقراً على ١٢٠.

دخل الطبيب المقيم وبدا مسروراً. واتصل بالمختبر ثم ابلغ الى لوري وبيل النبأ السار الآتي: "انها مصابة بالتهاب في البول."

وسألت لوري متعجبة: "وهل هذا خبر سار؟"

فأجاب الطبيب: "بكل تأكيد. قد يكون الالتهاب هو الذي سبب الطلق."

وبعد دقائق أضافت الممرضة كيساً ثالثاً من السوائل الى شبكة الاجهزة والحقن الوريدية المعلقة بسرير لوري، وكان يحوي المضاد الحيوي أمبيسيلين وهو نوع اصطناعي من البنيسلين.

وعاد الطلق بعد ١٢ دقيقة ثم بعد ١٧ ثم ٢١ وأخيراً توقف.

فحص "الجرَس"

لزمت لوري الفراش في بيتها طوال الاسبوع. وكانت تتناول الريتودرين من طريق الفم جرعة كل أربع ساعات. وفي الاسبوع التالي فحصها الدكتور كرينشو ووجد أنها تعافت، لكنه اشار عليها بالبقاء في الفراش كلما أتيح لها ذلك لاسبوع آخر ومواصلة تناول الريتودرين.

في تلك الليلة حضر الزوجان أول صف تثقيفي عن الولادة قدمته تريش باين في جناح المكاتب في المستشفى. وكانت الغاية من هذا الصف تعريف المتزوجين - وكان هناك ثمانية ازواج - الى عملية الولادة وجعلها تجربة ايجابية الى أقصى حد ممكن. وعرضت تريش في البداية شريطاً مصوراً تخللته مناظر وافية في غرفة التوليد. وفي نهاية العرض لم يبق جزء من تجربة الولادة لم يعرض مرة واحدة على الأقل. وأبرزت تريش أسلوب الاسترخاء، وفي جلسات تالية درّبت المشاهدات على تمارين التنفس التي تساعد في المخاض.

واستقرت زيارات المستشفى على وتيرة أسبوعية منتظمة للفحص أولا ومن ثم لحضور الصف التثقيفي. وبعد ذلك أبلغ كرينشو الى لوري أنها تستطيع العودة الى العمل نصف نهار فقط. وفي الصف تحدث الحاضرون عن المشيمة وتمرنوا على التنفس.

وألفت لوري عادات جنينها في هذا الوقت، حتى انها تعلقت بها على نحو ما. وبدا أن الجنين يستطيب الحركة من أي نوع كانت. فكلما سارت لوري أو جلست تترجح في كرسي هزاز لزم الجنين الهدوء التام. ولكن اذا جلست هادئة في كرسي أو استلقت على السرير، أصبح قلقاً وغير مستقر. وفي بداية الامر كانت لوري تحس داخلها ملامسات خفيفة كما لو كان الطفل يتمطى، ثم يعقب ذلك عدد من الضربات المتقطعة، بعضها على درجة من القوة تبهر الانفاس.

ودأبت لوري على الذهاب الى عملها كل يوم وحضور الاجتماعات وهي جالسة في كرسي هزاز. أما بعد الظهر فكانت تقرأ بنهم خلال ما أصبحت تعتبره فترات هدوئها. وذات يوم غلبها الوسن وهي تقرأ خطة مضجرة لتنظيم شركة. ونامت نحو ساعة. ثم أفاقت متعجبة لانها استطاعت أن تغفو، فالجنين لم يكن يدعها تنام.

والواقع ان الجنين كان هادئاً بعد ظهر ذلك اليوم. وانتظرت لوري مترقبة بانتباه. الطفل لا يتحرك. ولما لم تصدر منه أي حركة حتى الثالثة والنصف عصراً تناولت الهاتف. وأشار عليها الدكتور بابكن بأن توافيه الى عيادته: "من واجبك أن تكوني دائماً يقظة." وكان ينوي أن يتأكد من أن المشيمة ما زالت تؤدي وظيفتها على النحو الصحيح.

المشيمة (Placenta) فريدة في طبيعتها ضمن فيزيولوجيا الكائنات الثديية. انها العضو الوحيد في الدنيا الذي يطرح بعد أن يؤدي وظيفته. انها آلة بيولوجية تستخدم مرة واحدة ثم تطرح.

انها، بمعنى أيضاً، طفيلية، لأنها تمتص الاوكسيجين والمغذيات من مجرى دم الأم ثم تضخ فيه النفايات الجنينية. لكنها تنتج أيضاً الهرمونات التي تتفاعل مع هرمونات الأم لتأمين حمل مستقر. والأهم من كل شيء أن المشيمة، مع الغشاء الجنيني، يشكلان حاضنة صغيرة، أي بيئة محمية، تتكوّن فيها حياة جديدة.

والمشيمة، انسجاما مع حقيقتها كعضو يطرح من الجسم، ليست مكوّنة لتدوم. فالقلب والكلية عضوان وجدا ليصمدا مدى الحياة، أما المشيمة فالحاجة اليها تقتصر على دوامها لمدة ٤٠ أسبوعاً في المتوسط.

وتكوين المشيمة يجعلها تنتهي عند هذا الحد. فبعد ٤٠ أسبوعا تظهر على معظم المشيمات دلائل الضمور. وفي الاسبوع الثاني والاربعين يبدأ القلق يساور المولّدين، اذ ان المشيمة التي ينقضي عليها ٤٢ أسبوعاً لا يمكن الوثوق بها. ويعمد كثيرون الى احداث المخاض اصطناعياً في الاسبوع الثاني والاربعين مفضلين ذلك على الوثوق بصمود المشيمة.

وثمة ثلاثة أنواع من الفحوص التي

يستطيع الدكتور بابكن اجراءها. واثنان منها موثوق بهما جداً لكنهما يستغرقان وقتاً طويلا وهما مزعجان ومكلفان ومحفوفان بالخطر. أما البديل الثالث فيعرف طبياً باسم "فحص الايقاظ بواسطة الصوت" (٣) وهو فحص غير مرهق للجنين لكن موظفي المستشفى يدعونه ببساطة "فحص الجرس" (Gong Test).

جنون الارتياب

أدخلت لوري غرفة التوليد الخالية حيث ساعدتها ممرضة لتصعد الى السرير وطلبت منها أن تكشف عن بطنها. وبعد ذلك حزمت الممرضة حول البطن جهازاً حساساً لمراقبة قلب الجنين وأدارت زراً فتصاعد من الجهاز أزيز وأخذ يرسم خطاً متعرّجاً يمثل نبضات قلب الجنين على شريط متحرك من الورق.

ورفع بابكن أسطوانة من المعدن سوداء اللون داخلها مكبر للصوت، وقربها من أذنه ثم ضغط زراً مرة واحدة ليتأكد من أنه يعمل على نحو صحيح. وبعد ذلك وضع الاسطوانة على بطن لوري على مسافة قصيرة من رأس الجنين.

في الاسبوع الثلاثين من الحمل يكون الجهاز السمعي لدى الجنين تطوّر الى حد التمام، لكن كل ما يسمعه الجنين عادة في هذه الفترة يقتصر على نبض قلب أمه وقرقرة امعائها ورنة صوتها حين تتكلم. وعندما ضغط بابكن الزر ملأ الرحم رنين حاد. هذا الرنين ليس عالياً لكنه غير عادي بالنسبة الى الجنين.

انتفض الجنين داخل الرحم وركل. وفوجئت لوري فشهقت عندما سدد طفلها اصابة مباشرة الى الحجاب الحاجز. وقالت: "أنا أعرف اني مصابة بجنون الارتياب."

فعلّق بابكن: "يمكنك أن ترتابي كما تشائين." ثم ضغط الزر ثانية فركل الطفل مرة اخرى داخل الرحم وقال: "في ما يختص بطفلك لا يسعك أبداً أن تكوني يقظة أكثر مما ينبغي."

وقام بابكن وأعاد مكبر الصوت الى مكانه ثم قطع شريط الورق الذي كان بارزاً من جهاز المراقبة وابتسم.

وخاطب لوري وهو يشير بيده: "أنظري هنا. انها رائعة. كل واحدة منها رائعة." ففي كل مرة تحرك الجنين كان الخط الذي يرسم نبضات قلبه على الورق يقفز ثم يستقر. وأضاف: "ان الطفل على خير ما يرام."

من العسير تحديد لحظة بدء المخاض. لكن كل كتب الطب تقول ان المرحلة الاولى تبدأ بتضاؤل وتوسع مطردين في عنق الرحم تجاوباً مع تقلّصات الطلق.

وتعلّمت لوري في الصف التثقيفي شيئاً واحداً: ان المخاض هو تماماً ما تعنيه هذه الكلمة، أي الجهد الشاق. وكانت تريش باين تقول: "نعم، انه مؤلم. وكل ما في العالم من تنفس عميق واسترخاء لا يمكن أن يجعله غير مؤلم. وكل ما نرجوه هو أن تدركوا أن الألم جزء طبيعي من الولادة، ويجب أن تتفهمه الام وتقبله، لأن توتر عضلاتها لا يؤدي الا الى تفاقم الألم."

---

(٣) Acoustic Stimulation Non — Stress Test

بدأ الطلق لدى لوري بعد تناول الفطور صباح يوم الأحد من الاسبوع التاسع والثلاثين من حملها. فنادت بيل.

قاس بيل بساعته تواتر التقلّصات، فوجد أنها تتوالى بفاصل زمني يراوح بين ١٥ و١٢ دقيقة. وجلسا ليلعبا الشطرنج، ثم قامت لوري للتمشي مع بيل. وفي الثانية بعد الظهر أخذ الطلق يتوالى بفاصل سبع دقائق ويزداد حدة. وحين تسارع الى تواتر من خمس دقائق اتصلت لوري بالدكتور كرينشو.

الرصانة والحبور

في طريقها الى المستشفى أخذت تفكر في أنها لم تمر بمثل هذه التجربة من قبل. فالطلق كان مزعجا، بل مؤلماً، انما لم يكن خاليا من شعور بالسرور. وما لفتها كان ذلك الشعور الغريب بالرصانة والحبور في آن. كانت متنبهة جداً لأخف الاصوات ولما يعتريها من أحاسيس، الا ان تنبهها العالي لم يكن مترافقا مع أي شعور بالذعر. كانت واثقة بأن كل شيء سيجري حسبما ينبغي.

ومن جهة اخرى كان بيل على وشك الانهيار. كان الوقت أصيل الأحد والسير خفيفاً على الطرق، لكن بيل كان يقود سيارته بتوتر فينحرف يمنة ويسرة ليتحاشى السيارات الاخرى ويطلق النفير ويشتم في حال من الهياج. وتأكدت لوري من سلامة حزام الأمان حولها وهي تهيب بزوجها ان يتمالك أعصابه. فامامهما متسع من الوقت.

قالت الممرضة وهي تسير أمام لوري الى غرفة الفحص: "تعالي يا حبيبتي. يجب أن نتمم الاجراءات الأولية ونلبسك ثوب المستشفى."

وفيما ذهب بيل ليوقف سيارته في المرأب أخذت الممرضة عيّنة من بول لوري وأخرى من دمها. وقاست حرارتها وضغط دمها. وبعد ذلك دخل الدكتور ناجي غرفة الفحص، وفيما هو يتكلم أخذ يضغط بطن لوري بيديه باحثا عن مكان الجنين.

قال الطبيب: "يجب أن افحص عنق الرحم في أثناء الطلق. آسف لأن هذا أشد الاوقات ازعاجاً لك."

انه على حق. فالفحص كان مزعجاً. وحين كانت أصابع الدكتور ناجي تضغط من جهة كان رأس الجنين يضغط من الجهة المعاكسة. وبلغ الألم الدرجة السادسة وفق مقياسها الوهمي المؤلف من عشر درجات. ولكن حين سحب الطبيب أصابعه هبط الألم الى الدرجة الثالثة أو الرابعة التي كان عندها قبل الفحص. وتنفست لوري الصعداء.

وفي ما بعد شدت الممرضة والطبيب المقيم جهاز مراقبة على بطن لوري لتسجيل نبضات قلب الجنين. وتواتر الطلق متلاحقاً. وبعد فترة عاد الدكتور ناجي وفحص شريط الورق البارز من جهاز المراقبة باحثاً عن اشارات "التباطؤ المتقدم" أي الانخفاضات في الخط المرسوم على الشريط التي تنذر بأن الجنين يعاني نقصاً في الاوكسيجين. ولم يجد أياً من هذه الاشارات. ولكن هل الامر كذلك حقاً؟ كانت ثمة اضطرابات أعقبت آخر طلق اعتراها، في مرتين متعاقبتين.

قال الطبيب: "أشعر ببعض القلق بسبب هذه الاشارات. واذا لم يكن لديك

مانع فسأتحول الى جهاز مراقبة داخلي واستعين بقطب كهربائي على فروة الرأس. فهذه توفر لي اشارات أضمن."

وخرج لدقائق وعاد حاملا أنبوباً من البلاستيك برزت من أحد طرفيه أسلاك دقيقة حمراء وخضراء. ولبس قفازين وأخذ يدخل الانبوب في جوف لوري حتى شعر أن الانبوب لامس قمة رأس الجنين. وعندئذ أدار مقبضاً بيده اليسرى فاخترق ملقط دقيق الطبقة الخارجية من فروة رأس الجنين ليثبت جهاز المراقبة في مكانه.

متعة الولادة

في هذا الوقت أصبح الطلق يتواتر بفاصل ثلاث دقائق، وصدرت عن لوري أنّة ألم حين دهمها تقلّص قوي جداً. ولم يفه بيل بكلمة لكنه مد يده يلامس بلطف بطن زوجته ويدغدغه بأصابعه. واسترخت لوري وأطلقت تنهدة عميقة ثم قالت برقة: "آه، هذا حسن."

وحين عاد الدكتور ناجي ليفحص اشارات الجهاز وجدها أكثر استقراراً من ذي قبل، لكنها أظهرت انخفاضات طفيفة بعد كل طلق. فقال للزوجين وهو يشير الى الخط المتعرج: "هذا ليس مقلقاً جداً لكنه كاف ليجعلني حذراً. أود أن آخذ عينة دم صغيرة من فروة رأس الطفل. ومن المؤسف أن هذا أيضاً سيكون مزعجاً لك."

واعترفت لوري: "اني منزعجة في أي حال. ولا أظن أن زيادة قليلة من الازعاج ستضر بي."

وفيما الممرضة تغسل فخذي لوري بمطهر بني فتح الدكتور ناجي حقيبة معدات طبية وأخرج أنبوباً مخروطياً أبيض من البلاستيك. وأدخله بيده اليمنى الى جوف لوري وأخذ يضغط بلطف واطراد حتى شعر أن رأسه لامس فروة الجنين.

وناول الطبيب المقيم الدكتور ناجي زجاجة رش فزرق منها على رأس الجنين بضع قطرات من سائل سريع التبخر. وانتفخت المجاري الدموية في فروة رأس الجنين تجاوباً مع البرودة المفاجئة من التبخر. عندئذ أدخل الدكتور ناجي مبضعاً في المخروط وفتح بعناية شقاً صغيراً في أحد شرايين فروة الرأس فبرزت للحال قطرة دم. وأبدل بالمبضع أنبوباً طويلا من الزجاج وسحب عينة صغيرة جداً من دم الجنين. وسرعان ما تقلصت مجاري الدم في فروة الرأس مع عودة الدفء اليها وتقلصت قطرات الدم. لكن الطبيب كان حصل على كل ما يريد. ودفع الانبوب الزجاجي الى الطبيب المقيم وأخرج المخروط البلاستيكي. وتنهدت لوري عميقاً من دون ان تقول شيئا.

قال الدكتور ناجي: "انتهى كل شيء، وسنرى النتائج في دقائق."

في مختبر صغير في الناحية الاخرى من القاعة وضع الطبيب المقيم الانبوب الزجاجي في جهاز الكتروني يقيس مستوى الحموضة والقلوية (PH) في الدم، اذ ان هذه هي أضمن طريقة للتأكد من أن الجنين يحصل على ما يكفيه من الاوكسيجين. واذا حرم الجنين الاوكسيجين فان خلايا جسمه تأخذ في افراز الحامض اللبني (Lactic acid) في مجرى الدم فينخفض المستوى عن الحد العادي.

وافاد الدكتور ناجي: "كل شيء يبدو انه سيجري على ما يرام." وما ان انهى كلامه حتى رأى عضلات وجه لوري تتقلص وقد دهمها الطلق من جديد. فقال لها: "اذا كان الطلق أشد مما تحتملين فيمكننا أن نوقفه بحقنة تخدير في النخاع الشوكي (٤) . واذا شئت أن نلجأ الى هذا الاجراء فعليك أن تقرري الآن، فبعد أن يكتمل التمدد يصبح الامر متعذراً."

وفكرت لوري لحظة. فالعرض مغرٍ، وكان الألم اشتد في الساعة الاخيرة حتى بلغ الدرجة السادسة أو السابعة في مقياسها الوهمي، وربما زاد. واعتراها عياء ووهن لكنها قالت بعد تفكير: "لا، لا أريد أن تفوتني متعة الولادة الطبيعية."

اللحظة الحاسمة

أصبح المخاض متواصلا وراوحت شدته بين الوجع والحريق بين طلق وآخر، وكلما بدأ طلق جديد كانت التقلصات المبرحة تصل في شدتها الى ما اعتبرته الحد الأقصى، أي الدرجة العاشرة في مقياسها. واستبد بها الذعر.

أخذ الطلق يتوالى بسرعة الآن حتى كاد أن يصبح مستمراً. وشعرت لوري بضيق تنفس. وكان بيل واقفاً بجانبها متوتر الاعصاب وهو يلامس بطنها ووركيها وكتفيها مهدئاً، كما كان يهمس لها أقوالا لم تفقه منها شيئاً.

وعندما دهمها الطلق التالي صرّت أسنانها وبذلت كل ما فيها من قوة لشد عضلات بطنها. وأخذ الألم يزداد باطراد حتى لم تعد تشعر بسواه. وأخيراً أصبح الألم غامراً فاسترخت لاهثة. وخف الألم حينئذ وكاد أن يزول تماماً.

فقال الدكتور ناجي: "حسناً، هذا مدهش حقاً. كرري ما فعلت وسيغدو لك طفل." وبددت هذه الكلمات ضبابية تفكيرها فرفعت نظرها الى وجه زوجها ثم أغمضت عينيها عندما مسح هذا وجهها بخرقة مبللة بالماء.

وبدأت موجة جديدة من الطلق فشدت عضلاتها بكل قوتها فيما الدكتور ناجي يحضها قائلا: "حسنا... شدي... شدي."

وبلغ الألم ذروته واستقر ثم انحسر مع زوال الطلق. وتفصد جسم لوري عرقاً غزيراً وأخذت ترتجف عياء.

واوضح الدكتور ناجي: "ان الطفل كاد أن يخرج، ويجب أن يخرج مع الطلق التالي." وحض لوري على ان توفر كل ذرة من قوتها "شدي عضلاتك الى أقصى ما تستطيعين."

قالت لوري لزوجها: "تمسك بي." ثم تنهدت عميقاً وصرت أسنانها. وخرجت زمجرة من بين أسنانها المطبقة تحولت أنيناً، لكنها واصلت شد عضلاتها. وبدا أن الألم يتفجر في دماغها.

وفجأة، في شهقة طويلة راجفة، انخفض الألم الى الصفر.

وانتهى الأمر. استرخت لوري وهي ترتجف وكادت أن يغمى عليها. وشعرت بزوجها يحتضنها بذراعيه.

سمعت لوري الدكتور ناجي يهتف من جانب السرير: "عظيم! مدهش! هذا

---

(٤) Epidural block وهو ادخال المخدر بواسطة إبرة رفيعة بين فقرات العمود الفقري في ظهر المرأة فيتخدر نصفها السفلي.

افضل ما رأيت منذ زمن طويل. والآن، من فضلك، توقفي عن الشد لدقيقة فقط. اعطني دقيقة لأسوي الاوضاع هنا."

وجاءت كلماته هادئة فرحة مشجعة. ولم تشعر لوري أن في كلامه ما يوحي بخطب حين قال: "أوقفوا الدم."

شكر الدكتور ناجي في سره القدر الذي لم يجعل لوري تطلب أن توضع بجوارها مرآة. فلو كانت المرآة مرفوعة لاتيح لها أن ترى رأس الطفل كما رآه هو: مواجهاً الأرض والعينان مطبقتان والوجه أرجواني بالدم المحبوس فيه بعدما التف حبل السرة حول العنق يخنقه.

حين انزلق الرأس خارجاً مد الطبيب يده اليسرى تحته ليدعمه. كان على وشك أن يتكلم ليثني على لوري حين برز الرأس كله ورأى حبل السرة ملتفاً حول العنق. وشد عليه ملقطين ثم أمسك بمقص صغير وقطعه.

كان واضحاً أن الدكتور ناجي شعر عندئذ بالارتياح وقال للممرضة: "حسناً، أعدي المحقنة الآن." والمحقنة عبارة عن طابة من المطاط لامتصاص السوائل. واخذ الطبيب يعمل بسرعة. فضغط الطابة ووضع فوهتها في فم الطفل للامتصاص. وكرر العملية لتنظيف المنخرين.

وحالما رفع الدكتور ناجي طابة المطاط سعل الطفل ثم صرخ بصوت خفيض. وشعر الطبيب بفورة من البهجة تغمر كيانه فتنهد عميقاً ليهدىء اعصابه ثم قال مخاطباً لوري: "اسمعي هذا الصوت، انه صوت طفلك."

ورفع الدكتور ناجي الطفل في يديه كما يرفع اللاعب الفائز كأس الظفر وقال للوري: "الآن اصبحت لك ابنة."

آلن دولب ■



- كن قادراً على الانفراد بنفسك. لا تضيع نعمة الوحدة.

السير توماس براون، طبيب وكاتب بريطاني

- كم من أحلام يقظتنا يصبح كوابيس حين يلوح خطر تحوله حقائق!

لوغان بيرسال سميث

- يقول الناس أن فلاناً لم يكتشف ذاته بعد. الا ان الذات ليست شيئاً يكتشف، بل شيء يصنع.

توماس ساس

- الطريق المختصرة هي غالباً أسرع الطرق الى حيث لا تقصد.

ك.ب.

- كن سعيداً. فهذه احدى الطرق الى الحكمة.

كوليت

- يجدر بالمرء أن يتوقف عن الكلام حين يهز المستمع رأسه موافقاً من دون أن يقول شيئاً.

هنري هاسكينز

- لا شيء أقوى من اللين.

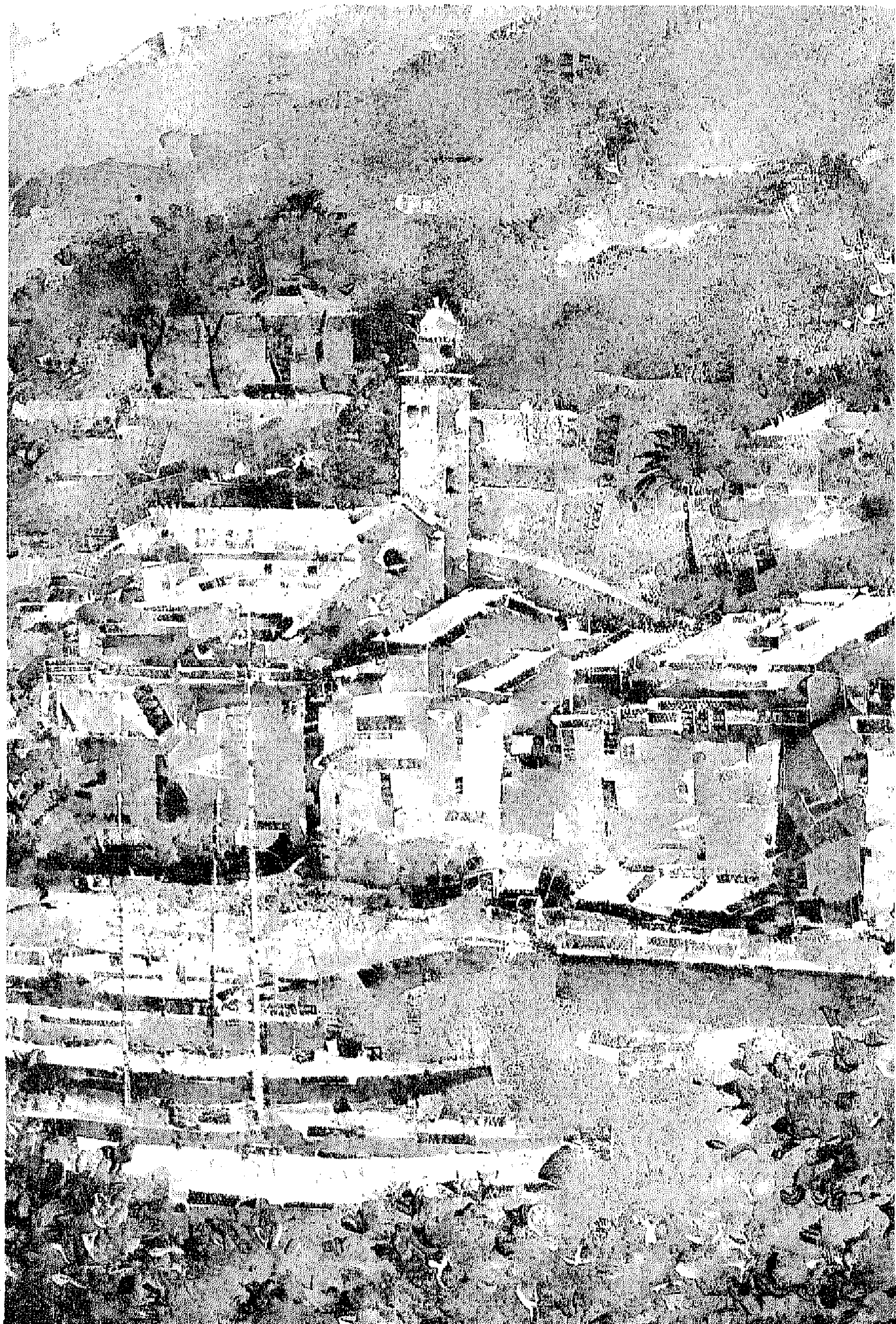
هان سوين، مفكرة صينية

- الاناقة هي الذوق السليم مع بعض الجرأة.

كارمل سنو

- عندما يقول رجل ان المال يصنع كل شيء ينجلي الامر: انه لا يملك شيئاً منه.

اد هاو، صحافي أمريكي



"الشتاء في المتوسط" للايطالي أنطونيو برباروّ